

T
109A

كلمة شكر

لابد لي في مستهل رسالتي المتواضعة هذه ، استجابة لواجب الوفاء ،
من تقديم الشكر الصادق الى حضرات الاساتذة الذين تطفوا بمساعدتي
في انجازها ، وأخص منهم أستاذي الدكتور احسان عباس ، الذي أشرف
على اعدادها وتجنشم كثيرا من الجهد في معاونتي وتوجيهي ، وكذلك أتقدم
بالشكر للجنة الامتحان التي تفضلت بقراءة الرسالة ومناقشتها واستدراك ما فيها
من خطأ أو تقصير .

عبد المهدى يادكارى

حزيران ١٩٦٧

T
109A

آل طاهر والحركة الادبية
في العصر العباسي

قدها
عبد المهدي الياداري

رسالة مقدمة الى الدائرة العربية
في الجامعة الاميركية ببيروت
للحصول على درجة الماجستير في الاداب

حزيران سنة ١٩٦٧

تصديـر

ظهر الطاهرية على مسرح التاريخ في ايران بين سنتي ٢٠٥ هـ - ٢٥٩ هـ (٨١٩ م - ٨٧٣ م) أيام الخلافة العباسية ، وساهم ابناءؤها واشتهروا في ميدانسي التاريخ السياسي والادبي ، وشغلوا مناصب هامة في الدولة العباسية منذ عهد المأمون ، واستطاعوا ان يحتفظوا بهذه المكانة الممتازة في وجه التقلبات والصعوبات خلال تلك الفترة ، واجتمع حولهم الشعراء والادباء ، والعلماء والفضلاء من جهات متعددة .

وقد أخذ الطاهريون من كبار أهل العلم والادب والحديث ، ومنهم تلقى العلم تلامذتهم ، وألفوا وصنّفوا في موضوعات ، وشجعوا أهل الادب وحملوا العلم . كما ولّى كثير منهم ومن بني عموئهم - وكلهم من آل مصعب - شرطة بغداد وإدارة الولايات لشقّة الخلفاء بهم في هذه المهمة وقد رتّبهم على تملّك الامور وحذقهم ومهارتهم في القيام بهذه الوظيفة الخطيرة وضبطهم لمقادير الامور واطلاّعهم بالأنظمة ومعرفتهم بتطبيقاتها . فلمس اسمهم في التاريخ وذاع صيتهم واحتفظوا بمكانة سامية طوال حكمهم الى أن زالت دولتهم .

وتبدأ هذه الاسرة بطاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن ماهان ، وتستمر حتى مجيئ يعقوب بن الليث الصفارى وطرده لمحمد بن طاهر الثاني ٢٥٩ هـ . ولقد قمت في دراستي هذه بتصوير الدور الذي قام به الطاهريون في مجالي التاريخ والادب ، والحضارة عامة ، خلال تلك الفترة المحددة . وفي سبيل هذه الغاية رجعت الى مصادر عديدة لأن اخبارهم كانت مبعثرة في الكتب ذكرها المؤرخون في مناسبات خاصة أو في المقارنات احيانا ، أو اكتفى كل مؤلف بذكر ما يخص بحثه وتأليفه . فالمؤلف الجغرافي

مثلا عندما تطرق الى نيشابور وهرات وسوشنج ذكر شيئا منها، وقد لا يذكر الكثير منهم كل المدن أو كل ما حدث بها ، ومن اهتم بالتاريخ ذكر من أخبار هؤلاء، ما كان يتصل بأخبار الخلافة ، وهكذا فقد رجب الخوصي في كتب البلدان والمسالك والممالك للتعرف على منطقة النفوذ الطاهري في خراسان والجبال ، وفي كتب التاريخ للتعرف على الحوادث التي ترتبط بنشاطهم في ظل الخلافة العباسية والحروب والمعاهدات ، وفي كتب الادب للعثور على أقوالهم المنظومة والمنثورة والملح والنوادر والمجاس والغناء وتشجيعهم لهذه الحالة الادبية بل والاطلاع على كتب الفنون والخطط لمعرفة المباني والمنشآت التي قد ساهموا في انشائها كخطط المقرئ وفيه ، وكانت بعض هذه الكتب غير مفهرس يصعب على القارئ الحصول على ما يقصده الا بقراءة الكتاب كاملا حتى تم لي هذا الوجيز .

وقسمت الكتاب في قسمين رئيسيين : الكتاب الاول يتضمن كل ما يتعلق بالتاريخ السياسي للطاهريين بخراسان ويشتمل على ثلاثة فصول هي : طاهر بن الحسين وتأسيس الدولة الطاهرية ، خلفاء طاهر بن الحسين ثم نظرة في الدولة الطاهرية . والكتاب الثاني يبحث في الدور الذي يلعبه الطاهريون في الحياة الادبية ويشمل على تمهيد وثلاثة فصول أيضا . الادباء والشعراء من الطاهريين ، آل طاهر والغناء واخيرا الادب والعلم في ظل بني طاهر . وقد ألحقت - في الخاتمة - ملحقا يبحث في الطاهريين والمصعبين الذين تولوا المناصب الكبرى في الدولة العباسية ، وأدارهم في الحياة الادبية عامة . وأملني أن يكون الكتاب هذا نافعا - وان لم يخل من نواقص - لمن يرغب في معرفة هذه الدولة التي حافظت^{على} الصبغة العربية رغم كونها ووجودها في ايران ، فشجعت التراث العربي لأنه تراث اسلامي ، وحافظت على اللغة العربية ، وكان لها دور لا ينكر في سياسة الدولة العباسية عامة .

تصديقر

المقدمة

الأسرة الطاهرية

مهدا - نسبها - بداية ظهورها

الاسرة الطاهريية

مهدا - نسبها - بداية ظهورها

١- مهد الطاهريين :

كان اقليم خراسان في العهد الاسلامي ينقسم الى اربعة ارباع ، نسب كل ربع الى احدى المدن الكبرى وهي : نيسابور (نيسابور) ومرو وبلخ وهراة . وكانت هذه المدن الاربع الكبرى مواضع للاقليم بصورة منفردة أو مجتمعة ، الا ان الامراء الطاهريين نقلوا دار الامارة الى ناحية الغرب فجعلوا نيسابور في أيامهم عاصمة الاقليم كله (١) .

وكانت كورة نيسابور - وهي أكبر مدينة في أقصى الارباع غربا - تضم معظم اقليم قوهستان . اذن فخراسان في العهد الطاهري اقليم واسع في البلاد الشرقية حسب المدلول الواسع ، وهو يشمل معظم قوهستان وكلها احيانا (٢) ، ثم توسع الطاهريون حتى أصبح نفوذهم يبلغ حدود الهند ، كما سيطروا على الري وكومان . وكانت نيسابور - فهي صدر العهد الاسلامي - تسمى ابرشهر ، وسماها المقدسي ايرانشهر ، ولما اتخذها الطاهريون عاصمة لهم كانت مدينة فامرة جليلة وليس بخراسان كلها مدينة أصح هواً وأفسح فضاءً وأشد مارة من نيسابور (٣) . وهي ذات مياه وافرة وخيرات كبيرة ، ومناخها جيد وتعد من مراكز الثقافة وتستمد أهميتها من موقعها عند ملتقى طرق القوافل (٤) .

(١) المسالك والممالك للاصطخرى : ١٤٧

(٢) المصدر نفسه : ١٣٤

(٣) المصدر نفسه : ١٤٦

(٤) هناك وصف رائع لنيسابور وصفها عمرو الليث الصفاري . راجع نهاية الارب للنويري

وفي بوشنج من مدن خراسان ، ولد طاهر بن الحسين مؤسس دولة بني طاهر (١) .
وكانت بوشنج تقع على مسيرة يوم الى الغرب من هرات وكانت في القرن السابع الهجري نحو
من نصف هرات . وظلت بوشنج بعد الطاهريين قائمة حتى استولى عليها تيمور المغولي
سنة ٧٨٣ هـ - ١٣٨١ م حيث نهبها . وبعدها اختفى اسمها من التاريخ (٢) .

نسب الطاهريين

وكانت تسكن في بوشنج اسرة قيل ان ابناها ينحدرون من رستم دستان (٣) ، وزعموا
انهم من أعقاب الاكاسرة وفهر ذلك وهي اسرة بني طاهر . فأصلهم اذن ليس معلوما بالضبط
ولكن معرفتنا بهم تبدأ من زريق الذي كان مولى طلحة الطلحات . وكان ابنا زريق - وهما
طلحة ومصعب - كاتبين في بدء الدعوة العباسية بخراسان يكتبان لابراهيم الامام وسليمان
بن كثير هناك (٤) .

وقد اضطرت المصادر في الجد الاعلى لهذه الاسرة ففي بعضها انه طاهر بن
مصعب بن زريق/ماهان وقيل : - زريق بن اسعد بن رادويه (اوزادان) (٥) . أما صاحب
تاريخ سيستان فانه ذكر النسب كما يلي : - طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزق مولى
علي بن أبي طالب عليه السلام (٦) . وأضاف المحقق المصحح الاستاذ المرحوم ملك الشعراء
بهار في حاشية تاريخ سيستان : "كذا ولكن المعروف زريق " . فأيهما أصح يا ترى ؟

-
- (١) وفيات الاميان ٢ : ٢٠٣
 - (٢) معجم البلدان مادة بوشنج .
 - (٣) التنبية والاشراف ٢٤٧
 - (٤) وفيات الاميان ٢ : ٢٠٦ ، الاخبار الطوال للدينوري ٣٣٥ ، الوزراء والكتاب ٨٤ - ٨٥
 - (٥) المصدر نفسه ٢ : ٢٠١
 - (٦) تاريخ سيستان ١٢٢

يرى ملك الشعراء - في المقدمة - ان تاريخ سيستان هذا يقابل أقدم ما كتب
بالفارسية كثر البلعمي في ترجمته لتاريخ الطبرى بين ٣٥٠ هـ - ٣٦٠ هـ (١٦١ -
١٢٠ م) وقيم لرايه دلائل كثيرة من حيث الانشاء ورسم الخط والابيات الشعرية
واللهجات القديمة في ايران ولا سيما خراسان ، والرجل خبير في فقه . فاذا كان كذلك
فان معناه ان تاريخ سيستان دون اواخر العهد الصفارى او في العهد الساماني . والدولة
السامانية خراسانية كما حبتهم الظاهرية والشعب هو هو ، وعلمهم بالاسماء والعائلات
والانساب أكثر من علم من كتبوا في غير خراسان أو قرأوا الكلمات والاسماء . ومن جهة اخرى
فان زريق قرية الشبه لرزتو لا سيما وان الواو قد بما كانت مذنبه أى انها كانت تمتد أكثر
ما عليه الآن وذلك بسبب رؤوس الاقلام القصبة ، فليس يبعد ان يكون الاسم الصحيح هو
رزتو . اما ورود " أسعد " في سلسلة النسب فرما جاء من اختلاط نسبه بنسب مسولاء
طلحة الطلحات . ولعل " رادان " أو " زادان " انما كانت تصحيفا آخر من لفظة " بياضة " X
الذى كان الجد السادس لطلحة الطلحات والتي يلفظها الفارسي " بيازه - أو بباده " .
ولكن أكان مصعب بن زريق (أورزتو) مولى لطلحة الطلحات ام لعلي بن أبي طالب عليه
السلام كما ذكر صاحب تاريخ سيستان ؟

تصرح المصادر ان سلم بن زياد - في خلافة يزيد بن معاوية (١) بعث طلحة
الطلحات واليا على سجستان (أى سيستان) سنة ٦٣ هـ - ٦٨٢ م (٢) وسجستان ملاصقة
لخراسان ومجاورة لغوشنج أولا ، كذلك نراه بسمرقند وقد ذهبت مينة بها (٣) . كما صرح ابن
مساكر بوجوده بخراسان (٤) . فلا نشك ان في وصول طلحة الطلحات الى خراسان ،

(١) تاريخ سيستان ١٠١ :

(٢) تهذيب ابن مساکر ٦٦ : ٢

(٣) المحسبر ٣٠٢ :

(٤) تهذيب ابن مساکر ٦٢ : ٢

وبوشنج من مدنها وفيها عائلة بني طاهر وعليه فالارجح والاصح ان زريق بن ماهان كان مولى طلحة الطلحات .

ولما كان طلحة بن عبيد الله بن خلف (طلحة الطلحات) خزاميا فقد أصبح مولاه خزاميا كذلك بالولا . وكان ابنه طلحة ومصعب كاتبى الدعوة العباسية بخراسان ، اذ كان طلحة بن زريق منهما هو المتولي لمكاتبة ابراهيم الامام من الدعاة وكان القيم بأمرهم وقراءة الكتب لهم بمحضر جماعتهم (١) . اما اخوه مصعب بن زريق ، جد طاهر بن الحسين ، فكان كاتباً لسليمان بن كير صاحب دعوة بني العباس (٢) . فكانا بذلك خير معين على نجاح الدعوة وتصير أمورهما الى النصر .

بداية ظهور الاسرة الطاهرية

ولاول مرة في التاريخ الاسلامي نصطدم باسم طلحة بن زريق بن ماهان في النفر الخمسة الذين وجههم الامام محمد بن علي - من شيعته - الى خراسان وهم : سليمان بن كير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب وخالد بن الهيثم وطلحة بن زريق وأمرهم بكتمان أمرهم ، وألا يفشوه الى أحد الا بعد أن يأخذوا عليه العهد المؤكدة بالكتمان ، وكان هؤلاء يدمون الناس سرا الى اهل بيت نبيهم ويبغضون اليهم بني أمية لما يظهر من جورهم وامتدائهم وركوبهم القبائح ، حتى استجاب لهم بشر كير في جميع كور خراسان (٣) وذلك بعد سنة ١٠٥ هـ = ٧٢٣ م (٤) . ثم يبرز اسم طلحة ثانية سنة ١٣٠ هـ = ٧٤٧ م في

(١) الوزراء والكتاب : ٨٤ - ٨٥ ، الاخبار الطوال : ٣٣٥

(٢) وفيات الاميان ٢ : ٣٠٦

(٣) الاخبار الطوال : ٣٣٥ - ٣٣٦

(٤) المصدر نفسه : ٣٣٤ ، الوزراء والكتاب : ٨٤

مهد ابراهيم بن محمد الامام مع الشيعة السبعين الذين اجتمعوا حول أبي مسلم الخراساني والذين فضلوا علي بن الكرماني على نصر بن سيار عامل مروان الاموي واختاروه (١) . أما مصعب بن زريق فكان أول أمره كاتباً لسليمان بن كير صاحب دعوة بني العباس بخراسان ، وكان مصعب بليغاً فمّن كلامه : " ما أحوج الكاتب الى نفس تسمو به الى أعلى المراتب ، وطبع يقوده الى أكرم الاخلاق ، وهمّة تكفه من دنس الطمع ودناءة الطبع " (٢) . ثم نراه على بوشنج أيام الخليفة المهدي ، ولكنه هرب منها عندما خرج يوسف بن ابراهيم المعروف بالجرم (٣) . أما ابنه الحسين بن مصعب فقد كان من قواد المأمون (٤) ولعله ولي على بوشنج ايضاً . وكان يتواضع للفضل بن سهل كثيراً ويعد نفسه وابنه طاهراً من أحقر موالي المأمون كما كان ذا قلب ضعيف لا يليق بالمقام الرفيع (٥) . ومات الحسين بخراسان سنة ١٩٩ هـ = ٨١٤ م وحضر المأمون جنازته ونزل قبره الفضل بن سهل ، وكان ابنه طاهر بالرقعة آنذاك فوجه المأمون اليه يعزّيه في أبيه (٦) . هذا ما كان من اخبار أسلاف طاهر بن الحسين ، الذي يبدأ به تاريخ الدولة الطاهرية ، فنلتفت الى دراسته ودراسة خلفائه .

(١) الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٣٠

(٢) وفيات الاميان ٢٠٦ : ٢

(٣) الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٦٠ هـ . النجوم الزاهرة ٢ : ٢٧ . وفيات الاميان

٢٠٣ : ٢

(٤) الوزراء والكتاب : ٢٩١

(٥) تاريخ البيهقي ١٤٦١ . البصائر والذخائر : ١ : ٦٤

(٦) الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٩٩

الدولة الطاهرية

الكتاب الاول

التاريخ السياسي

الفصل الاول

طاهر بن الحسين

وتأسيس الدولة الطاهرية

الفصل الاول

مهـد طـاهـر بن الحـسـين

(٢٠٥ - ٢٠٧ هـ (٨٢٠ - ٨٢٢ م)

تمهيد :

قد رأينا كيف ان الاسرة التي ينتهي اليها طاهر بن الحسين ، كانت على صلة ببني العباس وقضيتهم منذ بداية الدعوة ، وان كلا من طلحة ومصعب والحسين قد قام بدور واضح في خدمة الدعوة أولا والدولة ثانيا . وكان بلوغ حسين الى منصب " القائد " في مهـد المأمون بخراسان من الممكن ان يلفت النظر الى ابنه ويرشحه لبعض المناصب العالية فسي الدولة ، ولكن وصول طاهر الى قيادة الجيش تدخل في مجرى الاحداث مرتين ، مرة حين ساق الخلافة الى المأمون وقضى على الاميين وعلى نفوذ من يواليه من العناصر في الدولة ، ومرة حين حاول طاهر نفسه ان يعلن نوما من الاستقلال في الولاية التي أحرزها مكافأة له على جهوده في سبيل الخليفة المأمون .

٢- نشأة طاهر بن الحسين :

نشأ طاهر في قريته بوشنج نشأة حربية ، ان كان في شبابه كثيرا ما يجمع الجموع ويرد الشراة من بلدة وفهرها (١) . غير ان تلك الاحداث الصغيرة لم تكن تحرمه بعض لهو الشباب ، فقد أحب فتاة من جيرانه اسمها " ديدا " وصفت بجمال عجيب ، وكانت صناجة بارعة في صناعتها تنزل في موضع من نيسابور يقال له " دوران كوش " ولطاهر فيها أشعار

(١) كتاب بغداد ، ١٨٠

على طريقة الفرسان (١) . ولكن شؤون الحياة اللاهية لم تكن لتقف في وجه طموحه ، وكان طموحه متدرجا في صعوده ، اذ كان أول الامر يتمنى أن يخطب على منبر بلده وأن يكون في صندوقه مائة ألف درهم ، وحقق له الفضل بن سهل هذه الأمنية (٢) ، ثم امتلى به طموحه درجة أخرى فأخذ يتمنى ان يخطب على منبر مسرونها (٣) ، وقد مبر طاهر فيما بعد من طموحه الاول الصغير في قوله للمأمون في احدى المناسبات : " ذكرت لأُمير المؤمنين شربا شربته وأنا صعلوك ، وفي قرية كنت أتمنى أن أملكها " (٤) .

فيران الاحوال أتاحت له فوق ما كان يتمناه ، حين ندبه الفضل بن سهل للشخص الى الرى كي يلقي الجيش الذى أرسله الامين الى خراسان بقيادة علي بن عيسى ، على اثر اعلان الامين البيعة لابنه موسى من بعده ، ونزع المأمون من الخلافة ، ولا بد ان الفضل رأى في طاهر كفاية تؤهله لقيادة الجيش ، فيران هذا التقليد لم يكن يعجب الحسين والد طاهر ، ولذلك رجا الفضل الا يفعل معللا ذلك بأن طاهرا ابنه كان اذا دخل على علي بن عيسى ايام ولايته لخراسان وقف بين يديه وفرائضه تروى منه ، فيران الفضل أصر على ما ارتآه وتعلل الرواية ذلك لمعرفته بالنجامة وانه قال للحسين : " وقد مقدت له مقدا لا ينتفض نيفا وستين سنة " (٥) — وهي المدة التي عاشتها دولة الطاهريين .

(١) كتاب بغداد : ٦٢ - ٦٨

(٢) الوزراء والكتاب : ٢٩١

(٣) كتاب بغداد : ٩٢

(٤) تاريخ الحكماء : ٣٢٩

(٥) الوزراء والكتاب : ٢٩١ . والافاني ٣ : ١٩٩

٣ - ظاهر والقضا على جيش ابن ماهان ،

كان ظاهر يعد المهمة الموكولة اليه فرصة سانحة لتحقيق مظامحه ، ولهذا لم يستمع الى نصيحة ابيه حين حاول تخذيله من مهمته وقال له : " لم يذهب علي ما قلت ، ولكنني خفت ان لم أقبل ما دعيت اليه ، أن يقلد الامر غيري وأضم اليه فلئن أكون متبوعا أفضل من أن أكون تابعا " (١) . وتجهز ظاهر فجلس المأمون له لعرضه وعرض اصحابه فعربه طاهر بن الحسين معترضا وهو ينشد :

رويد تصاهل بالعراق جيانا كأنك بالضحاك قد قام ناد به

فتقابل المأمون بذلك واستدنى طاهرا ، فاستعاده البيت ، فأماه عليه . فقال الفضل بن سهل ، ذو الرياستين ، للمأمون : يا أمير المؤمنين ، هو حجر العراق (٢) . فقال المأمون ، أجل (٣) . وهكذا أشخص المأمون طاهرا في أقل من أربعة آلاف ، بينما كان الامين قد أرسل علي بن عيسى بن ماهان في اربعين ألفا في هيئة لم ير مثلها (٤) . وكان علي بن عيسى مغرورا في مدته ومدده ، محتقرا لطاهر ، مستخفا به لا يراه من شيء بل انه لما توجه الى الري كتب الى طاهر أن يقيم له الميرة (٥) .

ومضى علي بن عيسى حتى بلغ حلوان ، فاستقبلته مير مقبله من الري ، فسألهم من خبر طاهر ، فأخبروه انه يستعد للحرب ، فقال : وما طاهر ؟ ومن طاهر ؟ ليس بينه وبين

(١) الوزراء والكتاب ، ٢٩١

(٢) يريد الهركن/ انه الركن الذي يعول عليه .

(٣) الاغانى - دار الكتب - ٣ ، ١٩٩ - والاغانى ٥ ، ١٥١

(٤) تاريخ الخلفاء ، ٢٩٨ . والاخبار الطوال ، ٣٩٦

(٥) الديارات ، ٩٢

اخلاء الرى الا ان يبلغه اني جاوزت متبة همدان (١) . ثم سارحتى خلف متبسة همدان وراءه فاستقبلته مير اخرى ، فسألهم من الخير . فقالوا له : ان طاهرا قد وضع العطاء لاصحابه ، وفرق فيهم السلاح واستعد للحرب . فأقبل الحسن بن علي بن ميسى على ابيه فقال : يا ابي ، ان طاهرا لو اراد الهرب لم يبق بالرى يوما واحدا . فقال علي بن ميسى : يا بني ، انما تستعد الرجال لاقرائها ، وان طاهرا ليس مئدى من الرجال الذين يستعدون لمئلي ، ويستعد له مئلي . اما طاهر ، فقد جمع اليه رؤساء اصحابه فاستشارهم في أمره ، فأشاروا عليه ان يتحصن بمدينة الرى ، ويحارب القوم من فوق السور الى ان ياتي مدد من المأمون . فقال طاهر : ويحكم ، اني ابصر بالحرب منكم ، اني متى تحصنت استضعفت نفسي ، ومال أهل المدينة لقوته اليه ، وصاروا أشد علي من عدوى ، لخوفهم من علي بن ميسى ، ولعلمه ان يستميل بعض من معي بالاطماع والراى ان ألف الخيل بالخييل ، والرجال بالرجال ، والنصر من عند الله . ثم نادى في جنوده بالخروج من المدينة وان يعسكروا بموضع يقال له " القلوصة " . فلما خرجوا مهد أهل الرى الى ابواب مدينتهم فأغلقوها . فقال طاهر لاصحابه : يا قوم ، اشتغلوا بمن امامكم ، ولا تلتفتوا الى من وراءكم ، واعلموا انه لا وزر لكم ولا ملجأ الا سيوفكم ورماحكم ، فاجعلوها حصونكم .

وتواقف العسكران للحرب ، فصيبهم اصحاب طاهر الحملة . فانفضت تعبئة علي بن ميسى ، وكانت منهم جولة شديدة ، فناداهم علي بن ميسى وقال : ايها الناس ، نوبوا واحملوا معي (٢) . وحدث من رأى طاهرا انه كان يعبى الصفوف ، ويذهب ويجس ،

(١) الامتاع والموانسة ٢ : ٢٠١ . وروج الذهب - بولاق - ٢ : ٢٣٣

(٢) الاخبار الطوال : ٣٩٤ - ٣٩٨

وببده كسر من خبز ، ومع غلام له كوز من رصاص فيه ماء . فقال له : أيها الأمير ، ليس هذا وقت أكل . قال : معذرة اليك والى من لا يعرف خبرى ، ما دخل جوفى طعام منذ ثلاث ، لشغلي بهذا الامر ، وتخوفت ان احتاج الى نفسي فتخونني في هذا الوقت ففعلت ما رأيت (١) .

وقصد طاهر حاتم الطائي صاحب علم علي بن ميسى ، فجعله وكده (٢) وحمل عليه ، فلما دنا منه اذا به مكفر في الحديد لا تخلص اليه الضربة ، فرأى أمرا هالكا . فقال : ليس الا ان اضربه على البيضة (٣) فان فعل السيف فيها والا فهو التلف . فجمع يديه ثم ضربه على رأسه فقد البيضة والرأس ، حتى نشب السيف في ثناياه . فلما قتل حاتم اضطرب القوم ، وكان علي بن ميسى راكبا في قبة فنزل منها وقدم اليه شهرى اصداً ارجل ليركبه فطعنه داود سياه (٤) قبل أن يتمكن في سرجه فقتله وهو لا يعرفه ، وصار الى طاهر وقال : قد قتلت قاضي العسكر ، ثم اتى برأس علي بن ميسى (٥) وذلك سنة ١٦٥ هـ = ٨١٠ م .

وكان طاهر قبل هذه المعركة يخاطب الفضل بن سهل بالامرة فلما كتب اليه بعدها أسقط ذلك من كتابه (٦) ، وكتب يقول : أطال الله بقاءك ، وكبت أمدائك ، وجعل ممن يشنوك فداك ، كتبت اليك ورأس علي بن ميسى بين يدي وخاتمه في اصبعي ، ومسكره تحت أمري والسلام (٧) . فلما وصل الكتاب الى الفضل أنكروه حتى وقف على ما تضمن فقال :

(١) الديارات : ١٢١

(٢) الوكد : القصد والمراد .

(٣) البيضة آلة من حديد توضع على الرأس لوقاية الضرب ونحوه .

(٤) الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٦٥ هـ . مروج الذهب (ط . السعادة) ٣١٦ ، ٣

(٥) الديارات : ١٢٣

(٦) الوزراء والكتاب : ٢١٣

(٧) الفخرى لابن الطقطقي : ٢١٥ . مروج الذهب ٣ : ٤٠٠

حتى له (١) ، ونهق ، فدخل على المأمون فسلم عليه بأمر المؤمنين أى بالخلافة . ثم وصل رأس علي بن عيسى بعد يومين فطيف به في خراسان (٢) .

٤- تصديده لجيوش الامين الاخرى :

وبعد مقتل علي بن عيسى على يد طاهر بالرى ، فقد الامين لعبد الرحمن الابناوى على مشرين ألف رجل أو يزيدون (٣) ، وتقدم اليهم الا يغتروا كاغترار ابن عيسى ولا يتهاونا كتهاونه . فسار الابناوى حتى نزل همدان وحصنها ورثم سورها . ولما قدم طاهر السى همدان حدث بينه وبين الابناوى معارك واقتتل الطرفان قتالا عنيفا واستقام الابناوى السى أن قتل . وانتهى من انهزم من اصحاب الابناوى الى عبد الله واحمد ابني الحرشي - وكانا في جيش عظيم بقصر اللصوص فسبّره الامين معونة للابناوى - فلما بلغ المنهزمون قصر اللصوص انهزم القائدان أيضا في جندهما دون قتال حتى دخلوا بغداد . ودخلت البلاد لطاهر ، فأقبل يحوزها بلدة بلدة وكورة كورة حتى انتهى الى شلاشان من قسرى حلوان فخندق بها وحصن مسكره وجمع اصحابه . فأرسل الامين احمد بن يزيد في مشرين ألفا وعبد الله بن حميد بن قحطبة في مشرين ألفا ، فسارا وأقاما بخانقين ، وأقام طاهر بموضعه ودش الجواسيس والعيون ، وكانوا يرجعون في مسكر احمد وعبد الله أن الامين قد وضع العطاء لاصحابه وأمر لهم بالارزاق الوفرة ولم يزل يحتال طاهر في وقوع الاختلاف في جيش الامين حتى اختلفوا وانتقض أمرهم وقاتل بعضهم بعضا ورجعوا من خانقين من دون أن يلقوا طاهرا . وتقدم طاهر ونزل حلوان فلما نزلها لم يلبث الا يسيرا حتى أتاه هرثة في جيش من مند المأمون ومعه كتاب بنسليم ما حوى من المدن والكور الى هرثة ويتوجه هو

(١) تاريخ الخلفاء : ٢٩٩ :

(٢) الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٩٥

(٣) تاريخ الكامل حوادث سنة ١٩٦ . والاخبار الطوال : ٣٩٨ - ٣٩٩

الى الاهواز . ففعل طاهر ذلك وأقام هرثمة بخلوان وحصنها وسار طاهر الى الاهواز ،
وكان عليها محمد بن يزيد بن حاتم المهلبى وجرى بين الجانبين قتالا شديدا وقتل
المهلبى واستولى طاهر على الاهواز واستعمل العمال على اليمامة والبحرين ومكان . وسار
طاهر من الاهواز الى واسط وهرب منها السندى بن يحيى الحرشي والهيثم بن شعبة
خليفة خزيمه بن خازم ، واستولى طاهر على واسط . ووجه قائدا من قواده الى الكوفة
وكان عليها العباس بن موسى الهادى فلما بلغه الخبر خلع الامين وبايع للمأمون وكتب
بذلك الى طاهر ونزلت خيل طاهر فم النيل وغلب على ما بين واسط والكوفة .
وكتب المنصور بن المهدى - وكان ماملا للامين على البصرة - الى طاهر ببيعته وطامته .
وانت طاهر ببيعة المطلب بن عبد الله بن مالك بالموصل للمأمون وخلع الامين . وكان هذا
كله في رجب سنة ١٩٦ هـ = ٨١١ م ، فأقرهم طاهر على امالهم ، وولى داود بن عيسى
بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي مكة والمدينة ، واستعمل يزيد بن جرير بن يزيد
بن خالد بن عبد الله القسرى البجلي على اليمن ووجه الحرث بن هشام وداود بن موسى
الى قصر ابي هبيرة وأقام طاهر بجرجر . وأرسل الامين محمد بن سليمان القائد ومحمد
بن حماد البربرى فأوقع الحرث بن هشام وداود بهما وقعة شديدة واقتتلوا قتالا شديدا
وانهزم اهل بغداد . ثم وجه الامين الفضل بن موسى بن عيسى الهاشمي عاملا على
الكوفة في خيل فبلغ طاهرا الخبر فوجه محمد بن فلاح في جيش الى طريقه واقتتلوا قتالا شديدا
كأشد ما يكون من القتال فانهزم الفضل ومن معه . وتوجه طاهر نحو المدائن ووجه
قريش بن شبل والحسين بن علي المأموني اليها فانفتحت جيش البرمكي الذي كان عليها
من قبل الامين واضطرب ، فنزل طاهر المدائن واستولى على تلك النواحي . ثم سار طاهر
الى صرصر فعقد بها جسرا ونزلها وأقام بها مشمرا في محاربة الامين وكان لا يأتيه

جيشه الا هزمه فبذل الامين الاموال ، فاشتد ذلك على اصحاب طاهر وانفصل منه نحو خمسة آلاف ، ففرق الامين بين هؤلاء مالا عظيما وودعهم ومناههم وغلغ لحاهم بالغالية فسموا قواد الغالية ويعتبرهم الامين الى النواحي وفرق الجواسيس في اصحاب طاهر ووس الى رؤساء الجند فأطعمهم ورفبهم فشغبوا على طاهر وانضم كثير منهم الى مسكر الامين وجاءوا يحاربون طاهرا واقتتلوا فهزمهم طاهر وغنم مسكر طاهر السلاح والدواب . فأخرج الامين الاموال وفرقها في أهل الارياض دون اجناد القواد وبلغ ذلك طاهرا فراسل القواد وودعهم واستمالهم وأغرى أصافرهم بأكابرههم فشغبوا على الامين الذي رفض استمالتهم وأمر بقتالهم وأعد هؤلاء مع طاهر فتقدم طاهر الى موضع البستان الذي على باب الانبار في ذي الحجة ١٩٦ هـ = ٨١١ م .

٥- حصار بغداد وفتحها ومقتل الامين :

التف الجند والقواد حول طاهر ونقب المساجين في بغداد السجون وخرجوا منها ووثب الشطار على أهل الصلاح وفتن الناس وساءت حالهم (١) . أصبح الطريق امام طاهر مفتوحا الى بغداد ، فتقدم اليها وضرب حولها حصارا دام خمسة عشر شهرا ، فسد اثناءها الحال على الامين ، وتلف مسكوه ورميت القصور والمباني بالنيران والقذائف من المناجيق والعرادات ، وأوقع طاهر الرعب في القلوب ، وتلمس الوسائل المختلفة التي يبيت فيها الخوف في النفوس ، فسلم بيد الله بن خازجة على باب الانبار (٢) . ولما قتل

(١) الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٩٥ - ١٩٦

(٢) المحبر : ٤٨٨

الامين - قيل قتله قريش الدنداني مولى طاهر (١) وقيل قتله حميرويه فلام قريش المذكور (٢) -
نصب رأسه على باب بستان مؤنسة (٣) ثم بعثه مع الحسن بن مصعب معه الى المأمون
بخراسان (٤) . وتسلم الرأس الفضل بن سهل وأدخله على المأمون ، فلما رآه المأمون
سجد (٥) ثم نصب الرأس بمرور (٦) .

٦- نظرة في أعماله الحربية :

كان طاهر قويا ذا جرأة واقدام ، وهذه الصفات بالاضافة الى حنكته في الخطبة
الحربية قد مكنته من الانتصارات المتلاحقة . وقد أحرز لقب " ذى اليمينين " ، قيل لأنه في
حرره مع علي بن عيسى ضرب شخصا والسيف في يده اليسرى ، فقداه نصفين ، فقال فيه أحد
الشعراء : كلتا يديك يمين حين تضربه ، فلقبه المأمون " ذا اليمينين " (٧) ، وقيل
ان هذا اللقب يشير الى توالي الظفر (٨) ، ومهما يكن من أمر فان هذا اللقب يجمع معني
القوة الجسدية واليمن الذي يكفل لصاحبه النصر .

ومع ان المصادر لم توضح طبيعة خططه الحربية ، فانها اهتمت كثيرا بابرار جده (٩)
في مقابل استخفاف عدوه به ، ولعل الروايات في هذا الشأن انما أرادت لتقدم مسبرة

(١) تاريخ كريد ٢١٠ : ١ ، وتاريخ اليعقوبي ٤٤١ : ٢

(٢) شذرات الذهب ٣٥٤ : ١

(٣) المحبر ٤٦٣ :

(٤) الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٩٥ - ١٩٨

(٥) الوزراء والكتاب ٣٠٤ :

(٦) المحبر ٤٦٣ :

(٧) وفيات الاميان ٢٠٥ : ٢

(٨) المصدر نفسه ٢٠٦ : ٢ وقيل ان المأمون كتب اليه " يمينك يمين أمير المؤمنين
وشمالك يميني " (المضاف والمناسب : ٢٩١)

(٩) الوزراء والكتاب ٢٩٣ :

اخلاقية ، فقد صورت كيف ان الامين وقواده لم يكونوا مخلصين في الدفاع من قضية واضحة ، فاما الامين فانه حين جاءه الخبر بهزيمة قائده علي بن عيسى كان يتصيد السمك فقال لمن أخبره : وبيك دعني فان كوثرا - يعني خادمه - صاد سمكتين وانا ما صدت شيئا بعد (١) ، واما علي بن عيسى فقد بالغ في الاستخفاف من طاهر - حسبما مر بنا - وقد أكدت الروايات هذا المعنى على نحو آخر في خبر جاء فيه " ان علي بن عيسى سأل قوما وردوا من الري من طاهر فقالوا : انه مجد ، فقال : وما طاهر ؟ انما هو شوكة من افصاني وشرارة من ناري ، ثم قال لاصحابه : تالله ما بينكم وبين ان ينتصف انتصاف الشجر من الريح العاصفة الا ان يبلغه مبورنا عقبه همدان ، لأن السخال لا تقوى على النطح والنعالب لا صبر لها على لقاء الاسود فان يتم طاهر بموضعه يكن أول معرزة لظلمات السيوف وأسنة الرماح ، فقليل له : ايها الامير ، ان العساكر لا تسام بالتواني ، والحروب لا تدبر بالاعتزاز ، وان الشرارة الخفية ربما صارت ضراما والنهلة من السيل ربما صارت بحرا عظيما " (٢) . وليست هذه الرواية وأشباهها الا " حكاية حال " لتفسر ماملا من العوامل التي أدت الى انتصار طاهر في كل معركة خاضها .

على أن هناك عوامل أخرى أسعفت طاهرا على تحقيق غاياته ، فقد كان طموحه يدفعه الى أن يكون " متبوعا " لا تابعا ، ومثل ذلك لا يتم له الا باحراز نصر نهائي ، وكان حقه علي بن عيسى دافعا آخر فقد كان علي بن عيسى أهانه في خراسان ذات يوم وشده بحبل الى سارية (٣) ، ولم ينفك من تحقيره في كل مناسبة حتى كانت فرائض طاهر

(١) الوزراء والكتاب والكمال في التاريخ ١٤٥ : ٥

(٢) الامتاع والموانسة ٢٠١ : ٢

(٣) الديارات ١٢ : ١٢

تردد منه اذا مثل في مجلسه ، كما شهد بذلك الحسين بن مصعب والد طاهر . ولذلك
استغل طاهر في بلوفه الى فايته كل وسيلة ممكنة . استغل نفور اهل خراسان من علي بن
ميسى أيام كان واليا عليها سنة ١٨٠ هـ = ٧٩٦ م (١) ، وفرق العطاء في جيشه قبل بدء
المعركة مع علي بن ميسى (٢) وقطع " خط الرجعة " على جيشه - وهو الأقل مددا -
حين وضع امامهم أحد أمرين فاما النصر واما الموت (٣) واستعمل خطة التخذيل فخذل
قواد الامين من نصرته وخاصة القدامى منهم ، لأن الامين فرق أموالا على محدثي القواد
دونهم (٤) . وعلى الجملة كان كل مظهر من مظاهر الضعف في مدوه قوة له ، وكانت
معرفته بمظاهر الضعف مونا له ، وحسبنا ان نقرأ وصفه لمحمد الامين حتى ندرك كيف
كان طاهر قد درس نفسيات من يحاربهم وفهم حدودها ، قال يصف الامين حين سأله
المأمون ذلك : " كان المخلوع واسع الصدر ، ضيق الادب ، يبيح من نفسه ما تأتفه همم
الاحرار ولا يصغي الى نصيحة ، ولا يقبل مشورة ، يستبد برأيه ، ويبصر سوء ما قبلته ، فلا
يرده ذلك مما يهم به ، فقال له المأمون : فكيف كانت حروبه ؟ قال : كان يجمع الكتاب
بالتبذير ، ويفرقها بلا تدبير . فقال المأمون : لذلك حل ما حل به . اما والله لو ذاق
لذات النصائح ، واختار مشورات الرجال ، وملك نفسه من شهواتها لما ظفر به " (٥) .

بعد هذا يحق لنا ان نسأل : هل كان الابقاء على الامين ممكنا ؟ لعل طاهرا
لو ترك الى تقديره الذاتي لما كان يجزؤ على قتل الامين ، ولذلك تقول بعض الروايات

(١) الاخبار الطوال : ٣٩٠

(٢) المصدر نفسه : ٣٩٢

(٣) الاخبار الطوال : ٣٩٢ - ٣٩٨

(٤) مروج الذهب ٣ : ٤١٠ ، وتاريخ الخلفاء : ٢٩٩

(٥) زهر الآداب ٢ : ٢٢٥ ، وكتاب بغداد : ٢٢ (مع اختلاف يسير بين الروايتين)

انه استشار المأمون في ذلك ، فبعث اليه المأمون بقميص فيرمقور ، فعلم طاهر انه يريد قتله (١) ، ومع ما تحمله هذه الرواية من معنى " الاحجية " فان هناك حوادث حدثت جعلت طاهرا لا يجهل من قتله ، منها ان الامين اتفق مع هرثمة على الهرب من يد طاهر والوصول الى المأمون ، وكان يدرك ان وصوله الى المأمون بهذه الطريقة قد تنتج عنه مساومة بين الاخوين على ازاحة طاهر من الطريق ، كذلك فرما نسبت الى الامين اشعار هجا فيها طاهرا ولقبه " بالعبد " ونسب اليه نقض العهد . ووصلت الاشعار اذن طاهر فأوغرت صدره على الامين (٢) . فرأى ان التخلص منه يرضي سيده كما يحقق لديه رضى ذاتيا .

٧- طاهر " الخالع " وأثر ذلك :

لم يكن مصير امثال ابي مسلم الخراساني ليغيب من بال المأمون أو من بال طاهر نفسه ، فان " صانع الملوك " كثيرا ما يكون ضحية صنعه ، وليست كلمة " خالع " التي أطلقت على طاهر الا الوجه السلبي من هذه الحقيقة . ولذلك فان المأمون لم يمنحه الثقة الكلية ، وان لم يعامله معاملة ابي جعفر المنصور لقائده ابي مسلم . وكانت اول مظاهر ذلك ان المأمون حين استقامت له الامور " رد التدبير الى ذى الرياستين " ، يعني رئاسة الحرب ورئاسة التدبير - وامضاها على رأيه وكتب الى طاهر وهرثمة بتسليم ما في ايديهما من العمل الى علي بن ابي سعيد ابن خالة الفضل بن سهل ، وكان يعرف بذي القلمين (٣) .

(١) وفيات الاميان ٢ : ٢٠٢

(٢) انظر الشعر في معجم الشعراء للمريزاني : ٤٢٣

(٣) الوزراء والكتاب : ٣٠٥

وكان الفضل بن سهل ماهرة في تحيين الغرض لاثارة نفوس المأمون على الاعداء أو المنافسين وفعل ذلك بشأن طاهر ايضا ، وقد بدأ ذلك حين وصل رأس الامين ، اذ دخل على المأمون وقال له : " ما فعل بنا طاهر ؟ هل سيوف الناس والسندتهم ، أمرناه ان يبعث به اسيرا فبعث به مقبرا " (١) ، وهذا العمل من الفضل انما كان يرمي الى غايتين : الاولى ان يدفع من نفسه نتائج التحريض الذي قام به ضد الامين ، وتوصيته طاهرا بقتله (٢) ، والثانية ان يبعد طاهرا من ان يحتل منزلة عالية تضيق ما يريد من نفوذ لنفسه في الدولة ، وقد ظهرت نتيجة هذه السياسة حين مال المأمون نحو ابني سهل ووضع فيهما كامل ثقته . وتشير المصادر الى ان المنافسة بين طاهر والفضل قد استعلنت حتى اصبحت شغبا ظاهرا ، يقول الجهمتياري : " وقد كان الشغب الذي حدث بينهما ظهرا " (٣) مما يدل على انه صار أمرا متعالما ذائعا .

ولم يشأ طاهر ان يمعن في شغبه ضد الفضل ، اذ كان يعرف منزلته من قلب الخليفة ، فأرسل طاهر كاتبه عيسى بن عبد الرحمن الى الفضل بمسرو - وكان طاهر حينئذ في الجزيرة العرفانية - ليعتذر اليه ، فغيران عيسى بدل ان يهدي الامور زادا اشتعالا ، فكان يدخل مجلس الفضل وينزع قلنسوته - فعل ذلك مرارا - وفهم الناس ان ذلك منه استخفاف به ، ولما امتذر منه احد اصدقائه بأنه قد يكون محرورا أو انه قد يكسبون استأذن الامير في نزعهما ، أجاب : " والله ما بي اني محروروما استأذنت ولكني أريد ان يعلم الفضل أولا ثم من حوله انه أهون علي وأدق في ميني ما دام صاحبي - أمزه الله -

(١) الوزرا ، والكتاب : ٣٠٤ ، والعيون والحدائق : ٣٤١

(٢) التتبيه والاشراف : ٣٤٦

(٣) الوزرا ، والكتاب : ٣٠٩

حيا من هذه الشعرة بوقل شعرة من عرف دابته . . . (١) ويبدو ان الرسالة التي توجه بها ميسى لم تكن اعتذارا ، كما تقول الرواية ، وانما كانت متابا قاسيا من طاهر ، حتى قال الفضل لعيسى : "أفما خشيت في تحمل مثل هذه الرسالة القتل ؟" فقال ميسى : ما شككت في القتل ولكني ميلت بين ان آبي على صاحبي تحملها وبين ان اقبلها فرأيت أني ان لم اتحملها فجل لي القتل وحصلت لي مذمة المخالفة وان قبلتها كمت قد شكرت نعمته وأطعت أمره . (٢) وكل هذا يوصي الى ما كانت قد بلغت الامور بين الفضل وطاهر من خلاف ومنازعة ، حتى كان رسول طاهر يرجح انه مقتول اذا أدى رسالة صاحبه على وجهها .

وكانت هناك موجة من السخط على قتل الاميين ، لا تستطيع ان تنصب على الخليفة نفسه ، وانما كان من السهل ان تتوجه الى طاهر ، يقول صاحب العيون والحدائق : " فلما قتل الاميين ، أبغضه الناس " (٣) ، ولا يبعد ان يكون الفضل نفسه ذا يد في اذكا هذا الشعور بين الناس ، فقلت اشعار على لسان زبيدة ام الاميين تتهم طاهرا وتنصب النقمة عليه من ذلك قول خزيمة بن الحسَن : (٤)

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| أتى طاهر لا طهر الله طاهرا | فما طاهر فيما أتى بمطهر |
| فأخرجني مكشوفة الرأس حاسرا | وأذهب أموالي وخرّب أدوري |
| يعز علي هارون ما قد لقيتـه | وما مربّي من ناقص الخلق أمور |

(١) الوزراء والكتاب : ٣١٠ - ٣١١

(٢) المصدر نفسه : ٣٠٩ - ٣١٠

(٣) العيون والحدائق : ٣٤٢

(٤) تاريخ الخلفاء : ٣٠١ ، وبصورة اخرى في العقد ٣ : ٢٦١ وزيادات في الكامل

في التاريخ ١٦٨ : ٥

ومن ذلك قول أبي العتاهية ، وقيل ان زبيدة هي التي طلبت ذلك اليه ، (١)

ألا ان رب الدهر يدني ويبعد وللدهر ايام تدم وتحسد
أقول لرب الدهر ان ذهبت يد فقد بقيت والحمد لله^{لي} يد
اذا بقي المأمون لي فالرشيد لسي ولي جعفر ، لم يهلكا ومحمد

ولما كان المأمون يذكر مقتل اخيه كان يحاول أن يقتنع نفسه بأنه " ليس صاحبه ولا هو قاتله " (٢) .
ولم تكن زبيدة هي وحدها التي تحاول ان تثير المشاعر ضد طاهر ، بل هناك آخرون
منهم ابراهيم بن المهدي الذي يقول من قصيدة : (٣)

قولا له يا ابن ابي الناصر طهر بلاد الله من طاهر
لم يكه ان حز أوداجي — ذبح الهدايا بمدى الجازر
حتى اني يسحب أوداجي — في شطن هذا مدى السائر

ورثي الشعراء الامين بقصائد سمعها المأمون وتأثر لها ، ولو كانوا يعلمون انه يفكر ذلك
ما فعلوه ، حتى نسب اليه انه قال بعد قراءته لاحدى القصائد : " انا والله طالب بشأرك
اخي ، قتل الله من قتله " (٤)

واذا كما نعد هذه الكلمات والحكايات وامثالها منحولة ، فلا جدال في أنها — رغم
ذلك — تصور جانباً من شعور فئة من الناس ببغداد ، جازمت لمقتل الخليفة ، كما ان

(١) العقد ٢٦١ : ٣ ، وشذرات الذهب ٣٥٠ : ١

(٢) المصدر نفسه ٢٦١ : ٣

(٣) الكامل في التاريخ ١٦٥ : ٥ ، وتاريخ الخلفاء ٣٠٠ : ١ - ٣٠١

(٤) المصدر نفسه ١٦١ : ٥

الاشعار الاخرى التي قيلت لتصوير بطولة طاهر انما تمثل جانبا من السمات التي كانت تحسبها فئة اخرى ، فمما نسب الى طاهر قوله : (١)

قتلت الخليفة في داره وأنهبت بالسيف أمواله
وقوله : (٢)

ملك الناس تسرا واقتدارا وقتلت الجبابرة الكبارا
ووجهت الخلافة نحو مسرو الى المأمون تهتدر ابتدارا

وانذا صحت هذه الاشعار فان شيوعها بين الناس كان يزيد في حذر المأمون من طاهر ، الذي يتمدح بقتل " الخليفة " . وكان ابو ميسرة ابن الرشيد - أخو الامين والمأمون - لا يخفي نفقته على طاهر ، وانذا تجاوز الامر بينهما بعض الممازحات الجارحة سمعنا أبا ميسرة يقول في بعض قصائده بعد أن افتخر بنفسه ونسبه : (٣)

كيف أجعل كلبا نابحا اشـرى قد شانه مور الانعال والعور
من طاهر وحسين جذ أصلهما لولا الامام وأمر جرّه القدر

ذلك هو الجوال الذي كان يجعل " اخلاص " طاهر في خدمة المأمون ، يقابل بالتوجس والحيطه والحذر ولقد كان المأمون نفسه يستنكر مصرع اخيه ، فيستولي شعور بالندم والحزن ، يعكر عليه صفو الساعات . فقد دخل طاهر على المأمون ذات يوم ، وبعد

(١) تاريخ الطبرى : ١٦٥ : ٧

(٢) المصدر نفسه ١٤١ : ٧

(٣) اشعار أولاد الخلفاء : ٦٩

مضي بعض الوقت ، وهما معا يشربان في مجلسهما ، "بكي المأمون وتغرفت عيناه" (١) ، فأرسل طاهر الى الحسين الخادم ، صاحب شراب المأمون ، مبلغا من المال ليستفسر من بكاء المأمون (٢) . فلما كان في بعض خلوات المأمون وهو طيب خاطر قال له حسين الخادم : يا أمير المؤمنين ، لم بكيت لما دخل عليك طاهر ؟ فقال المأمون : ما لك ولهذا ويلك ؟ قال الحسين ، فمني بكائك . فقال المأمون : هو أمران خرج من رأسك أخذته ، قال الحسين : يا سيدي ، ومتى أبحت لك سرا ؟ فقال المأمون : اني ذكرت محمداً ، اخي وما ناله من الذلة ، فخنقتني العبرة ، ولن يغوت طاهرا مني ما يكره (٣) .

٨- منزلة طاهر بعد مقتل الامين :

اذا أخذنا الاشياء على ظواهرها حكمنا ان المأمون لم يعلن لطاهر تغيرا ، ولا طالعه بنفور ، بل ظل يعامله معاملة طيبة ويقربه ويدني مثزلته ، متغلبا بذلك على كل ما قد يعتل في نفسه من هواجس وشكوك ، مترفعا عن الاحقاد التي قد يتباد لها اثنان من المتنافسين على الرئاسة مثل الفضل وطاهر .

فقبل قدوم المأمون الى بغداد سنة ٢٠٤ هـ = ٨١٦ م عهد الفضل الى طاهر بولاية الرقة ، وقد يكون هذا ابعادا له ولنغوزه من العاصمة ، ولكنه لم يكن بتدبير المأمون نفسه ، غير ان المأمون انقاد فيه الى مشورة ابني سهل ، وكانا - فيما يبدو - يخافان من نفوذ طاهر . فولاه الموصل والشام والجزيرة والمغرب وجعل مركزه مدينة

(١) كتاب بغداد : ٢٣

(٢) وفيات الاميان ٢ : ٢٠٤ ، وفي الديارات : ٩٥

(٣) الاغانى - دار الكتب - ١٥ : ٢٣٤ - ٢٣٨

الرقعة (١) فيران الفتن هاجت ، وانتقد الناس على المأمون انقياده للفضل بن سهل ، وتذمر وجوه اهل العسكر الى المأمون من فساد الاحوال وذكروا بلا طاهر وحملوا على تصرفات الفضل بن سهل وكان فيما قالوه ، " وان طاهر بن الحسين قد أبلى في طاعتك وافتتح اليك ما افتتح وقاد اليك الخلافة ووطأ لك الامر ، وأخرج من ذلك كله ، وصار في زاوية من الارض بالرقعة ، وقد حظرت عليه الاموال حتى شغب جنده وضعف أمره ولو انه ببغداد لضبط عليك الملك وسام الدولة " (٢) . وكان فساد السياسة التي جرى عليها الفضل بن سهل من الاسباب التي أسرفت بالمأمون للذهاب الى بغداد .

فبين مقتل الامين وتقدم المأمون الى بغداد فترة تتميز بمحاولة ابعاد طاهر عن بغداد والاقبال من شأنه ، وتعرضه للشغب من قبل الجند في الرقعة بقطع الاموال منه ، ولكن المسوؤل الاول من هذه السياسة هو الفضل بن سهل ، الذي يبدو ان المأمون تخلص منه ومن نفوذه بتدبير منه أو بتدبير من الناقمين عليه (٣) . وبعد ان زال شبح الفضل أمام المأمون طاهرا الى سابق حظوته ، فكتب اليه قبل أن يصل بغداد بالعودة من الرقعة وموافاته بالنهر وان ، فقدم طاهر ودخل عليه فأمره المأمون أن ينزل الخيزرانية هو واصحابه (٤) . ثم أصبح طاهر من رجال المأمون المقربين ، فنراه في أول عيد من العام المذكور (قدم المأمون ١٤ صفر ٢٠٤ هـ = ٨١٩ م ، وقيل في ربيع الاول) يتغدى على مائدة المأمون (٥) .

(١) العيون والحدائق : ٣٤٤

(٢) المصدر نفسه : ٣٥٦

(٣) المصدر نفسه : ٣٥٧

(٤) كتاب بغداد : ٩

(٥) المصدر نفسه : ١٥

ثم عقد له المأمون لواء على المغرب كله (١)، أي جدد له الولاية التي كانت معقودة له بعيد مقتل الامين ، وفي عاشوراء من سنة ٢٠٥ هـ - ٨٢٠ م ولاء المأمون الجزيرة والشرط والجانبين - أي جانبي بغداد - وتعد طاهر للناس من بين (٢) اليوم الذي ولى فيه (٣) ، فأصبح طاهر بذلك رئيسا لشرطة بغداد ، خلفا للعباس بن المسيب بن زهير الذي كان قد كبر ولم يعد يستطيع حمل الحرية بين يدي الخليفة (٤) - وهي خصائص صاحب الشرطة - وأقبل طاهر على ادارة ما عهد اليه ، فعين مساعدين جدد ا يثق بهم ، وأخذ يتفقد السجون ، ويحاول أن يكفل الامن في المدينة .

وكان المأمون حين دخل بغداد " قد ضمن لطاهر قضاء كل ما يسأله من حاجة " (٥) ، وهذا يدل على أن المأمون ظل يعرف له يده في اقامة الخلافة له ، وكان طاهر يشعر انه لا يستطيع ان يحقق ما يريد من الامن في بغداد الا اذا كسب قلوب الذين كانوا من حزب الامين ، ولذلك كان أول ما سأل الخليفة فيه " العفو عن المجرمين في الفتنة والحقهم بما كانوا عليه قبلها في دواوينهم وطبقات قطائعهم " (٦) ، وألح الناس على طاهر بأن يسأل المأمون طرح الملابس الخضراء التي لبسها عند مهده لعلي بن موسى الرضا عليه السلام والعودة الى شعار السواد ، فتقدم طاهر من الخليفة وسأله أيضا " اقامة الدولة لاهلها ورد لباس السواد واطراح الخضرة " (٧) ، فأجابه المأمون الى ذلك ، ودعا بخلع

(١) كتاب بغداد : ٣٥

(٢) لعل الصواب من قد

(٣) كتاب بغداد : ٢٠

(٤) المصدر نفسه : ٢٠

(٥) المصدر نفسه : ٢٢

(٦) المصدر نفسه : ٢٢

(٧) المصدر نفسه : ٢٢

سواد وكساء بها وخلع على مدة من قواده اقبية وقلانس سودا (١) . وقد تشفع طاهر لدى الخليفة في أمور مختلفة ووفى المأمون بوعده ~~ووصفه~~ فلم يرد له طلبا ، وظل طاهر على منزلته منده ، فكان المأمون اذا خرج للنزهة ذهب طاهر في صحبتته بحكم وظيفته وعلاقته معا ، ويحسنا ابن طيفور ان المأمون خرج يوما في سنة ٢٠٥ هـ = ٨٢٠ م الى منتره له ومعه طاهر بن الحسين ، فبينما هويسايره اذ قال له : يا أبا الطيب (كنية طاهر) ما أطول صحبتة هذا البرذون لك ، قال : يا أمير المؤمنين ، بركة الدابة طول صحبتها وقلة علفها ، قال فكيف سيره ؟ قال : سيره امامه وسوطه منانه وما ضرب قط الا ظلما (٢) .

٨- توليته خراسان :

بقي طاهر على الشرطة ببغداد حتى شهر رمضان من عام ٢٠٥ هـ = ٨٢٠ م ، وتسبب الروايات حرصه على مغادرة بغداد الى تلك الحادثة التي تذكر فيها المأمون أخاه ، وان طاهرا لجأ بعدها الى صديقه احمد بن ابي خالد - وزير المأمون - وقال له : " فئيني من مينيته " ، فكان من ذلك ان سعى ابن ابي خالد له بولاية خراسان ، ولندع ابن طيفور يقص هذه القصة ، قال : " فركب طاهر الى احمد بن ابي خالد فقال له : ان الشنا مني ليس برخيص ، وان المعروف مندي ليس بضائع ، فغئيني من مينيته ، فقال له احمد : سأفعل ، فبكر علي فدا . قال : وركب ابو خالد الى المأمون ، فلما دخل عليه قال : ما نمت الليلة . فقال له المأمون : ولم ويحك ؟ قال لأنك ولّيت فسان خراسان ، فأخاف ان يخرج عليك خارجة من الترك فتصطلمه ، فقال المأمون : لقد فكرت فيما فكرت فيه . ثم قال : فمن ترى ؟ قال : طاهر بن الحسين . قال : ويلك يا احمد ، هذا والله خالع . قال : انا الضامن له

(١) كتاب بغداد : ١٠

(٢) المصدر نفسه : ٢١

قال له المأمون : فانفذ ، قال : فدعا بطاهر من ساعته ، فنزل في بستان خليل بن هاشم . (١) .

ويقول اليعقوبي في كتاب البلدان : " ثم احتال طاهر بن الحسين البوشنجي حتى ولاه المأمون خراسان ومهد له عليها " . (٢) وقد تستطيع نقطة " احتال " هذه ان تشككنا في الرواية التي تقول : ان المأمون بكى حين تذكر أخاه ، وان الامر كان تدبيراً من طاهر لنيل ولاية كبيرة ذات أرزاق وفيرة ، لولا ان اليعقوبي في تاريخه يشرح هذه الحيلة . الا انه ينسبها الى احمد بن ابي خالد لا الى طاهر ، وخلاصة ما يورده اليعقوبي (٣) :

- ١- ان طاهراً شكاً الى صديقه ابن ابي خالد برمه من المقام " الباب " ومحبتهم الخرج من بغداد ، وجعل له مكافأة قدرها ٣ ملايين درهم ان ضمن له ذلك .
- ٢- زور احمد بن ابي خالد كتاباً الى المأمون على لسان غسان بن عباد مامل خراسان يرجوه فيه ان يعفيه من ولاية خراسان .
- ٣- اقترح احمد على التو - حين استشاره المأمون في الامر - اسم طاهر فلم يبد المأمون تردداً في قبول ذلك .
- ٤- ماد غسان مستغرياً كيف فزل ، فلما طالعه المأمون ، قال له : انت استعفيتني ، فحلف له انه لا علم له بذلك .

(١) كتاب بغداد : ٢٤٠

(٢) كتاب البلدان لليعقوبي : ٣٠٧

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٤٥٦

اما ان طاهرا كافأ ابن ابي خالد على هذه الوساطة ، فأمر تنفق عليه المصادر وان
اختلفت في قيمتها (١) . واما ان يقدم ابن ابي خالد على هذه الحيلة فأمر مستبعد ،
مهما تصورنا مقدار علم المأمون ، واذنا صدقنا الرواية الاولى قلنا ، بأن تخوف طاهر من بكاء
المأمون وتذكره أخاه الأمين لم يكن الا حادثة صادفت حاجة الى وال قد ير يضبط أمور
خراسان ، فقد كان واليها فسان بن مباد غير قادر على ادارتها بحزم ، وحدث ان نشبت
ثورة للحرورية بخراسان - بقيادة حكمة الشاوي - فقام مبد الرحمن المطوعي بنيسابور
وجمع جموعا لمقابلتهم دون ان يستأذن في ذلك والي خراسان نفسه ، فرأى ابن ابي خالد
ان في ذلك خرقا لهيبة الدولة وأحب أن يكون لخراسان وال حزم ، وكان من المصادفة
حينئذ ان يشكو اليه طاهر أمر اقامته ببغداد ويطلب اليه ان يسعى ابعاده من جوار
المأمون (٢) .

ولا ريب في ان طاهرا نفسه كان يتشوق الى الاضطلاع بحكم ولاية كبيرة ، وكان قد
أخذ يستقل ما هو ادنى من ذلك من المهمات ، ولما ندبه الحسن بن سهل لاختتام ثورة
نصر بن شيث بمصر أجابه : " حاربت خليفة وسقت الخلافة الى خليفة واوثر بمثل هذا ؟
وانما كان ينبغي ان توجه لهذا قائدا من قوادى (٣) ، في هذا القول ما يصور مقدار ما
بلغه طاهر من ادلال على الخلافة ومعرفة بمكانته فيها ، وبسبب ما قاله ، صارمه الحسن بن
سهل ولم يعد يكلمه وغادر بغداد وهما متهاجران ، وربما أسرع طاهر في الابتعاد من جو
بغداد فرارا بنفسه مما قد يدبره له الحسن بن سهل . وعسكر طاهر شهرى شوال وذى

(١) البصائر والذخائر ١ : ٦٩

(٢) المصدر نفسه

(٣) كتاب بغداد : ٢٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٩٢

القعدة وظل مقيما في مسكوه منتظرا الامر بالتوجه الى خراسان ولليلة بقيت من ذى القعدة عام ٢٠٥ هـ = ٨٢٠ م توجه الى ولايته ، وخرج على مقدمته طلحة بن طاهر (١) .

١٠- طاهر في خراسان :

كانت مودة طاهر الى خراسان تمثل رجعة الى المعاهد الاولى ، وكانت فرصة ليرى الوطن ابنه وقد أقبل بعد غيبة طويلة وهو قد أحرز درجة عالية وأصبح يستطيع ان يستقل بتصرف الامور ويهب ويمنع ، وقد كان كل تكريم أو نصر أحرزه من قبل يقل في نظره من النصر الذي يشاركه فيه الشعور ابنا ، وطنه بل ابنا ، قريته بوشنج . ولقد قيل له ذات مرة بعد انتصاره على الامين وفتح بغداد : " ليهنلي ما أدركته من هذه المنزلة التي لم يدركها احد من نظرائك بخراسان ، فقال : ليس يهنيني ذلك لأنني لا أرى مجاز بوشنج يتطلع الي من أمالي سطوحهم اذا مرت بهم " (٢) .

وقد عبر طاهر عن هذا المعنى أوضح تعبير حين قال لأحد اصدقائه في مناسبة اقتضت ذلك : " خرجت من خراسان وأنا رجل من اهلها ان لم أكن من ارفعهم قدرا فلم أكن من أضعفهم حالا وليس بخراسان أهل بيت من أهل بيوتاتها ، ولا أهل نعمة الا وبيننا وبينهم معاشرة ومخاطبة أو مصاهرة ، أو مجاورة فهذا توسطنا بين القوم ، ومن كان هذا موقعه لم يخل من صديق ، وعدو ، وولي ، وحاسد ثم ندبت لهذا الامر فخشي الوالي ألا أنفي له فافتم رساءه ، ورأى ما كت فيه بين أظهرهم وتحرك من اسمى بينهم ما كان كافيا

(١) كتاب بغداد : ٢٤

(٢) وفيات الاميان ٢ : ٢٠٤

لي ولهم في يومهم ، وسر العدو والحاسد ورجا ان يكون قصورى من القيام بما اهدب بسى اليه تسقطني فخرجت على هذا الخطر العظيم فأعطى الله جل وفر أكثر من الامنية ولسه الحمد . ولم يكن لي غاية بعد ما فتح الله وأحسن الا ان ارجع بنعمتي وجاهي وفزى الي بلدى ودارى ، واخواني وجيراني ومعارفي ليشركوني في ذلك كما شركوني في الاعتماد به ، وليغيب العدو والحاسد من ذلك ما يغيظ . فلما ولاني أمير المؤمنين خراسان لم أضح ثيابي في منزلي حينما حتى ندمت وأظهرت ذلك لمن حضرنى من آنس به في الافضاء بمثل ذلك اليه . وفكرت فيما يلزمني من حق السلطان وحق الاخوان ومثلت فيما أوجب للصنفين فرايت اني ان وفرت على السلطان كل حقه أخللت بالاخوان ، واذا أخللت بهم واخطأتهم ما كانوا يقدرون قالوا : لا كان هذا ولا كان يومه الذى كما نؤمله وتعلقت اطمانا به ، وان وفرت عليهم ما كانوا يقدرون في أنفسهم لم يجز ذلك في التدبير وأخللت بالسلطان ولم يكن ذلك حقه علي ولم يتحملة لي أيضا . (١) .

ولذلك كانت ايام حكمه في خراسان مجالا لتآلف الناس ، ورعاية الحقوق ، واكرام ذوى السابقة ، واشاعة البر في من تربطهم به ادنى رابطة . وقد نستطيع ان نرسم صورة جزئية للناحية الادارية في دولته من خلال الاخبار نفسها :

١- رئاسة الحرس : لمحمد بن يقطين (وكان ابن رجل ابزاري)

٢- الحجابة : لعيسى بن عبد الرحمن (وكان في الاصل كاتباً)

٣- ديوان الخراج : لسعيد بن الجنيد (وكان من قبل بستانيا)

٤- ديوان التوقيع والخاتم : لشخص يكنى بأبي زيد

٥- ولاية سمرقند : للعباس بن عبد الله بن حميد بن رزين

فاما محمد بن يقطين فقد يحسن تولي رئاسة الحرس ، وان لم يكن لأهله فيها قدم سابقة ، ولكن الغرابة في حال الذين ولاهم الحجابة وديوان الخراج وديوان التوقيع ، وقد سئل طاهر من السر في ذلك فكانت اجابته :

أ) ان عيسى بن عبد الرحمن خراساني الدار ، وهو كاتب تمتع بلباقة الكتاب وظرفهم ويحسن الوساطة بين الامير والناس ، ويعلم الداخلين على الامير أدب الخطاب ، ولذلك فهو يستطيع ان يؤدي عمله المنوط به ، على أن طاهرا ماد فرقا الى وظيفة أعلى ، وما كانت الحجابة الا حظوة في سبيل هذه الترقية .

ب) واما توليته البستاني أمر الخراج فانها أوجب ، ولكن طاهرا كان ينتقم بهذه الوسيلة وهذه التولية من الموظفين البغداديين اللذين ندبوا للسفر معه فأبيا وهما موسى بن خاقان ومحمد بن يزداد ، فأراد أن يثبت لهما انفسه يستطيع أن يولي على شؤون الخراج " حمارا " لا يفقه شيئا فيه ، ومع ذلك تضبط أمور المالية ، وجعل له نائبا يفهم في هذه الشؤون هو موسى بسن الفضل .

ج) وان توليته ابا زيد ديوان التوقيع فما ذلك الا لأنه من لدات طاهر نشأ الاثنان معا ، فأحب ان ينتفع صاحبه بوظيفة لا خطر فيها لانها لا تحتاج الى الكتابة ثم ان طاهرا يتصفح عمله بعده ويراجعه قيا من الخلل .

د) واما اعطاء سمرقند ولاية لابن رزين ، فما ذلك ايضا الا رعاية للعلاقة القديمة ، لأن جده رزينا وجد طاهر قدما خراسان في وقت واحد وانشأ على المسودة

والاكتلاف ، وسرى ذلك في الامقاب ، ومع ذلك كان ابن رزين يتسخط ويريد أن تمتد ولايته بحيث تشمل كل ما وراء النهر (١) .

ولا يخفى ان طاهرا حين كان يضع في وظائفه اناسا قليلي الكفاية لمجرد افداق المعروف عليهم ، انما كان يعرف انه هو المسؤول في النهاية من أوضاع ولايته ، وان سهره على الامور كان يحول دون حدوث الخلل فيها . ولكن هذا الوضع كان يتيح النقد الكثير لهذا النوع من الادارة ، وهذا ما يمثل قول طاهرا ايضا : " وددت ان الناس كلهم عرفوا مذكرى فيما آتي واذر لتخف علي المثونة ويسلم صدرى للجميع " (٢) ، ولكن أتى للناس أن يعلموا أية " فلسفة " تلك التي توجه الحاكم ، وهم يرون بمستانيا يتولى شؤون الخراج في الدولة . ومن غريب الامر - وقد عرفنا كيف كان طاهر يعتمد العلاقات في توزيع الوظائف وفي الشفاعات - ان ينسب الى المأمون قوله فيه : " ما حايى طاهر في جميع ما كان فيه احدا ولا مالا احدا " (٣) . على انه كان في خلال طاهر نفسه ما يجعله واليا محببا الى الرعية ، فقد مرفناه ايام عمله ببغداد رئيسا لشرطة المأمون ، يسعى في قضا حوائج الآخرين ولا يسأل شيئا لنفسه ولا لولده (٤) . وكان كريما معطاء ، حسن الدفاعة ، سهل الحجاب ، شديدا على المفسدين والمشغبين . وكان طاهر ذكيا ليس في معرفة الملاح ودرك الحواس والنوايا وتفسير المقاصد فحسب ، وانما ذكاؤه شمل معلومات مكتسبة كذلك ، فانه يعرف الجمل والعبارات بمحلها وفصولها وصفحاتها من مصادرها ويطبق الامور بحسب ذلك فيرجع السي مرجعها . وقد ذكر التوحيدى ان ذا اليمينين قعد يوما للمظالم ، فعرض عليه رقعة رجل

(١) كتاب بغداد : ٦٢ - ٦٦

(٢) المصدر نفسه : ٦٣

(٣) المصدر نفسه : ٦٨

(٤) المصدر نفسه : ٢٢

ادعى أجره على رجل آخر ، وأحال المدمى عليه على رجل آخر . فوقع طاهر : " يرجع الى
الفصل الثاني - الصفح الثاني - من كتاب كلية ودمنة " . فرجع ، فوجد فيه : " أجره
الاجير على من استأجره " . فعمل بذلك (١) .

١١- الدستور الطاهري :

وإذا كان هناك من صلة بين القواعد السياسية النظرية والتطبيق العلمي فيجب أن
نستأنس في هذا المقام بكتاب كتبه طاهر بن الحسين لابنه عبد الله حين ولي حرب نصر بن
شيث ، وهو كتاب شاع بين الناس وكتبوه وتدارسوه ولما اطلع عليه المأمون قال : " ما أبقني أبو
الطيب شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسة واصلاح الملك والرمية وحفظ
البيعة وطاعة الخلفاء " وتقوم الخلافة الا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم فيه ، ثم أمر المأمون بأن
ترسل نسخ من ذلك الكتاب الى جميع العمال (٢) . ويمكن ان نجمل ما تضمنه ذلك
الكتاب في الامور الآتية :

- ١- التمسك بالاوامر الدينية .
- ٢- اختيار الاعتدال في جميع الامور .
- ٣- النظر في شؤون الرمية .
- ٤- اقامة الحدود حسب ما رسمته الشريعة .
- ٥- تنظيم الامور المالية .

(١) البصائر والدخائر : ٦٣ - ٦٤

(٢) كتاب بغداد : ٣٤

٦- الاعتماد على الشورى من ذرى الثقة والحكمة والفقہ .

٧- احترام القضاء .

٨- التحرى في اختيار العمال .

٩- تعهد الفقراء والمساكين واهل الصلاح والمرضى وحمله القرآن .

١٠- حسن معاملة الرعية واداء الحقوق .

١١- الاعتبار بمن مضى من اهل السلطان .

١٢- التحرى من شؤون العمال وتصرفاتهم .

ويدل الكتاب بمجمله - وهو متداخل في كثير من المواضع - على أن طاهرا كان ذا فلسفة متكاملة في الشؤون السياسية وانه لم يكن قائدا عسكريا وحسب . ويكفي ان نمثل على افكاره النظرية بمنظورين الاول يتصل بالشؤون المالية والثاني في التحرى في اختيار العمال .

ففي الاول يقول : " واعلم ان الاموال اذا كثرت وزخرت في الخزائن لا تنثر واذ كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف المؤونة منهم نمت وزكت وصلاح به العامة وتزينت به الولاة وطاب به الزمان واقب فيه العز والمنعة . فليكن أكثر خزائنك تفريق الاموال فسي صارة الاسلام واهله ، ووفر منه على اولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف رعيته من ذلك حصصهم ، وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله وكت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيته وملك أقدر " . (١)

ويقول في العمال : " واعلم انك جعلت ولايتك خازنا وحافظا وراميا وانما سمي اهل

ملك رعبتك لانك راعيتهم وقيمتهم تأخذ منهم ما أعطوك من عندهم ومقدرتهم وتنفعه في قوام
أمرهم وصلاحهم ، وتقويم أودهم ، فاستعمل عليهم في كور ملك الرأي والتدبير والتجربة
والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعناق ، ووسع عليهم في الرفق والرزق ، فان ذلك من
الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت واسند اليك ، ولا يشغلنك عنه شاغل ، ولا يصرفنك عنه صارف
فانك متى آثرته وقمت فيه بالواجب ، استدميت به زيادة النعمة من ربك ، وحسن الاحدوث
في ملك ، واحرزت المحبة من رعبتك ، وأمنت على الاصلاح ، فدرت الخيرات ببلدك ، وفشت
العمارة بناحيته ، وظهر الخصب في كورك فكثر خراجك ، وتوفرت اموالك ، وقويت بذلك على
ارتباط جندك ، وارضاه العامة باضافة العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمود السياسة
ومرضي العدل في ذلك مند عدوك . واجعل في كل كورة من ملك امنيا يخبرك اخبار
ممالك ، ويكتب اليك بسيرهم وامالهم حتى كأنك مع كل عامل في ممله معين لأمره كلها (١) .
ذلك نموذج مما يمكن ان نسميه " الدستور الظاهري " أو الفلسفة السياسية التي كان
يؤمن بها طاهر بن الحسين .

١٢- نواة الدولة الظاهرية (٢٠٥ هـ - ٢٠٧ هـ - ٨٢٠ م - ٨٢٢ م)

يمكننا ان نتصور بأن ولاية خراسان تحت أمرة طاهر كانت حسب نظامها العام ،
صورة مصغرة من الدولة نفسها ، فهناك نظام الحجابة ورئيس نظام الحرس ، والدواوين التي
تحتاجها الولاية لتصرف أمورها . وقد مر بنا من امثلتها ديوان الخراج - وهو من أهم
الدواوين - وديوان التوقيع والخاتم ، ولا بد ان نضيف اليها سائر ما كان في عاصمة
الخلافة من دواوين ، كديوان الرسائل وديوان البريد ، وديوان الجيش وغير ذلك . وكانت

الولاية شاسعة متباعدة الاطراف ، ولذا اختار طاهر ولاية فرقهم على النواحي وحدد لكل منهم اختصاصه ، واذا قرأنا ما كان يجرى في الواقع على ضوء ما جاء في الدستور الطاهري قدرنا ان طاهرا اختار اولئك العمال - في الغالب - من ذوي الرأي والخبرة والتجربة والعلم بالسياسة ، وانه وظف في كل ناحية " أمنيا " يطالعه بأخبار العمال وأعمالهم وسيرهم ، وانه رتب شوون الخراج ترتيبا محكما ووزعه بالحق والعدل والسوية ، وانه اهتم بالقضاء ، " لأنه ميزان الله الذي يعتدل عليه أحوال الجميع في الارض " (١) .

واتخذ طاهر مدينة مرو عاصمة له كما كان يفعل ولاية خراسان من قبله ومنها أخذ يصرف الامور في ولايته المترامية الاطراف ، ولم يأخذ نفسه بأسباب الاتيين المعتقد نفسي حياته اليومية ، فهو في مجلسه يضع الكتب والدواة ، فاذا جاء وقت الطعام رفعت هذه من امامه ، واحضرت المائدة ، ودخل اصحابه على حسب نوبتهم في الاكل معه ، فمن كانت له نوبة بقي ، ومن لم تكن له نوبة انصرف ، الا ان يشتهي هو دعوة رجل منهم من غير نوبته (٢) .

ولكن ما الذي كان يربط بين الولايات وعاصمة الخلافة ؟ كانت في كل ولاية من ولايات الدولة العباسية اربعة مظاهر تعبر بها عن ولائها للخليفة وتبعيتها له ، اولها : أن يكون النقد المتداول فيها مضروبا باسم الخليفة العباسي ، والثاني : أن يكون الدعاء على المنابر يوم الجمعة باسمه أيضا ، والثالث : ان يكون السواد شعارا لها ، والرابع : ان تؤدى قسما مفروضا من الخراج لخزينة الدولة .

وحين تقلد طاهر بن الحسين ولاية خراسان كانت ما تزال تحتفظ بالمظاهر الثلاثة

(١) كتاب بغداد : ٣٠

(٢) المصدر نفسه : ٦٤ - ٦٥

الاولى . اما خراج خراسان في أيام بني طاهر فانه لم يكن يدفع الى خزينة الدولة ، بل كان ينفق في شؤون خراسان نفسها ، بل كانت الدولة تدفع قسما من المال لخراسان بدلا من أن تأخذ منها . يقول اليعقوبي : " كان خراج خراسان يبلغ في كل سنة من جميع الكور اربعين ألف ألف درهم سوى الاخماس التي ترتفع من الثغور ، ينفقها آل طاهر كلها فيما يرون ، ويحمل اليهم بعد ذلك من العراق ١٣ ألف ألف سوى الهدايا " (١) . ولهذا لا نستغرب ان يعطي المأمون طاهرا ١٠ ملايين درهما من الخزانة (٢) ونجد جغرافيين آخرين (٣) ان خراج خراسان وما ضم الى عبد الله بن طاهر من الكور والاموال كان على النحو الآتي :

| | |
|------------------|---|
| ٤٤٠ ٨٤٧ ٠٠٠ درهم | |
| ١٣ | رأسا من الدواب للركوب |
| ١ ٠٠٠ | شاة |
| ١ ٠٠٠ | رأسا من سبي الغزو (١٠٢٠ عند ابن الفقيه) قيمتها ٦٠٠ ألف درهم |
| ١ ١٨٧ | ثوبا من الكرايس (لم يذكرها ابن الفقيه) |
| ١ ٣٠٠ | قطعة فضة ، مرور وصفائح حديد |

واذا أخذنا المال المعين - بعين الاعتبار - وجدنا ان تقدير ابن خرداذبه (وابن الفقيه) أكثر بكثير مع ما ذكره اليعقوبي (بينما يقارب تقدير قدامة ما ذكره اليعقوبي

(١) بلدان اليعقوبي : ٣٠٨

(٢) كتاب بغداد : ٢٤

(٣) ابن الفقيه : ٣٢٨ - ٣٢٩ وابن خرداذبه : ٣٩

اذ جعل الدراهم ٣٧ مليوناً (١) . ولهذا الفرق سببان : أولهما : ان ما ضم من الكور والامال الى مبد الله بن طاهر كان يزيد بكثير مما كان يجبى أيام من قبله . ثانيهما : ان التقدير الذي جاء به اليعقوبي لم يتضمن الاخماس . وعلى أية حال فان مقدار الجباية في زمن آل طاهر قد زاد كثيرا مما كان عليه الحال أيام هارون الرشيد في ناحية المال العيين ، وقل كثيرا في الدواب والاثواب . ففيما يلي تقدير للجباية أيام الرشيد (٢) :

| | |
|-----------------|--------------------|
| ٢٨ ٠٠٠ ٠٠٠ درهم | |
| ٢ ٠٠٠ | نقرة فضة (بالمن) |
| ٤ ٠٠٠ | برذون |
| ١ ٠٠٠ | رأس من الرقيق |
| ٢٧ ٠٠٠ | نوب |
| ٣٠٠ | رطل اهليلج . |

فأول ما يميز ولاية خراسان اذن في عهد طاهر وخلفائه انها كانت مستقلة في التصرف بخراجها ، وقد حاول طاهر في السنة الثانية من حكمه بمسرو ، أن يسقط المظهر الثاني من هذه التبعية أعني الدماء للخليفة على المنبر : ففي سنة ٢٠٧ هـ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ولم يدع للمأمون ، وإنما قال : اللهم اصلح أمة محمد بما اصلحت به أولياءك ، واكفها مؤنة من بغى فيها وحشد عليها من الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات اليمن (٣) . ترى هل كان طاهر قد استطاع حلالة الاستقلال ، فأراد أن يحقق أكبر قسط ممكن

(١) الخراج : ٢٥٠

(٢) الوزراء والكتاب : ٢٨٣ - ٢٨٤

(٣) الديارات : ٩٥ ، وتاريخ الطبرى : ١٦٩ ، وكتاب بغداد : ٧٤ ، والكامل في التاريخ (حوادث سنة ٢٠٧) .

منه ؟ استبعد ذلك ، لأن ولاية خراسان كانت بحاجة سند مادي من الدولة ، ولكن لا بد أن تكون هناك اسباب مباشرة أدت به الى هذا الامر . وتتفاوت المصادر في تصوير تلك الاسباب . فأما اليعقوبي فان في كتاب البلدان يحمل بقوله : " وبلغه سو رأى من المأمون ، فأظهر خلافا لم يكشف فيه ، وبلغ المأمون ذلك فيقال انه احتيل له بشربة " (١) . ومبارة اليعقوبي على ايجازها باللغة القيمة ، فهي تحدد لنا ان المأمون ساء رأيه في طاهر ، ثم هي تشير الى ان خلاف طاهر لم يكن ساطعا واضحا ، ولكنها لا تحدثنا لم تغير رأى المأمون فيه . وأما صاحب العقد فيورد قصة مسهبة تدل على ان المأمون كان ينوى الغدر بظاهر منذ البداية ، وقد جاء فيها :

ان المأمون أدب وصيفا له بأحسن الآداب وعلمه فنون العلم فأهداه الى طاهر مع الطاف كثيرة من طرائف العراق وقد واطأه على أن يسته ، وأعطاه سم ساعة ، ووعده على ذلك بالاموال الكثيرة . فلما انتهى الوصيف الى خراسان وأوصل الى طاهر الهدية قبلها طاهر ، وأمر بانزال الوصيف في دار ، وأجرى عليه ما يحتاج اليه من التوسعة في التراماته وتركه أشمرا . فلما برم الوصيف بمكانه كتب الى طاهر : يا سيدي ، ان كنت تقبلني فاقبلني والا فردني الى أمير المؤمنين ، فأرسل طاهر الى الوصيف وأوصله الى نفسه . فلما انتهى الوصيف الى باب المجلس الذي كان فيه أمره طاهر بالوقوف عند باب المجلس وقد جلس طاهر على لبد أبيض وقرع رأسه وبين يديه مصحف منشور وسيف مسلول . فقال طاهر : قد قبلنا ما بعث به أمير المؤمنين فترك فانا لا نقبلك ، وقد صرفناك الى أمير المؤمنين ، وليس مندي جواب اكتبه الا ما ترى من حالي ، فأبلغ أمير المؤمنين السلام وأعلمه بالحال السني رأيتني فيها .

فلما قدم الوصيف على المأمون ، وكلمه بما كان من أمره ، ووصف له الحال التي رآه فيها ، شاور المأمون وزراءه وسألهم من معناه ، فلم يعلمه واحد منهم . فقال المأمون : لكنني قد فهمت معناه ، أما تقريعه رأسه وجلوسه على اللبد الأبيض فهو يخبرنا بأنه عبد ذليل ، وأما المصحف المنشور فانه يذكرنا بالعهود التي له علينا ، وأما السيف المسلول ، فانه يقول : ان نكثت تلك العهود فهذا يحكم بيني وبينك ، اغلقوا لنا باب ذكره ولا تهيجوه في شيء مما هو فيه (١) .

والرواية بعد ذلك تشبه " اللغز " وهي فضلا من هذا تغفل الإشارة الى أي سبب يحفز المأمون للتخلص من طاهر ، ثم هي توحي الى عهد لظاهر على الخليفة ، مما لم ترد اليه إشارة في مصدر آخر .

وأقوى الروايات في هذا الصدد ما أثبتته صاحب الديارات فقد ذكر ان الشراة كثرت بخراسان ، فوالى المأمون الكتب الى طاهر يحثه على حريم دون هوادة وينكر عليه التضجيع في أمرهم ، فامتذر طاهر باستفحال أمرهم وقوة شوكتهم وانه محتاج الى جيش أكبر من الجيش المعد لديه ، فاستأ المأمون من ذلك ، وكتب اليه كتابا عنيفا جاء فيه : " لهمت أن أردك الى خبت أبيك " (٢) ، فكان رد الفعل عند طاهر اسقاطه اسم الخليفة من الدماء يوم الجمعة (٣) .

١٣ - نهاية طاهر بن الحسين :

ان الخلاف الذي رمز اليه طاهر بقطع الدماء للخليفة ارتبط في بعض الروايات بخبر

(١) العقد الفريد ٢ : ٢٠٤ - ٢٠٥

(٢) في الاصل الى " حيث " والقراءة المثبتة ترجع للدكتور مصطفى جواد والمعنى فيه اشارات الى ان أباه حداد .

(٣) الديارات ١٤١ - ١٥٠

من محاولة للتخلص منه قبل استفحال أمره ، ولهذا اضطرت الروايات في شأن وفاته ، ويمكننا تصنيفها على النحو الآتي :

١- ان طاهرا بعد صلاة الجمعة التي تميّزت بقطع الدماء - وبعد صلاة العصر من اليوم نفسه على التحديد - استمدى اليه صاحب البريد بخراسان وهو كلثم بن ثابت بن ابي سعد ، لأنه كان يعلم ان صاحب البريد لا يستطيع - بحكم وظيفته - ان يسكت من تبليغ الخبر بقطع الدماء الى الخليفة وكان صاحب البريد يعلم انه لا بد ان يعرف طاهر بالخبر لأنه يتصفح البريد قبل ارساله ، ولذلك استعد كلثم للموت - أي افتسل بغسل الموتى واثتزر ولبس قميصا وارتمى ردا وطرح السواد - وبدلا من ان يموت كلثم ، حدث حادث لظاهر في جفن مينييه وفي مآقيه فسقط ميتا (١) . وهذه الرواية قد تسمى "تقدير العلاقة بين الاعراض التي ظهرت في العينين وبين حادث الوفاة" ولكلها تريد ان تؤكد ان طاهرا توفي في اليوم الذي أعلن فيه الخلاف ، ولم يكن هناك وقت يسمح بتدخل بغداد في موته ، كما سنرى في روايات اخرى ، وان بقاء كلثم على قيد الحياة يشير الى قصر المدة بين اعلان طاهر الخلاف وحادث وفاته . وتضعف قيمة الرواية اذا اعتبرنا ان كلثوما خاف من الموت فلم يكتب شيئا لدار الخلافة ، وانها انما صيغت لتفسر اخلاص كلثم في اداء واجبه .

٢- ان طاهرا أصيب بحمى وحرارة وانه صلى العشاء الآخرة ، ثم التفت في دواج

(١) كتاب بغداد : ٢٤ ، وبعضها في الديارات : ٩٥ وتاريخ الطبري (حوادث سنة ٢٠٧)

ونام ، وسمعه الخادم وهو يقول بالفارسية قبل ذهابه للنوم : "در مرك نيز مردی باید" - يعني انه يحتاج في الموت أيضا الى الرجولة ، ولكنه لم يقم كمعادته مبكرا لصلاة الصبح . وجاء مساء علي واحمد ليعوداه ، فأخبرهما الخادم انه ما يزال نائما وانه لا يجسر على ايقاظه ، فقام مساء فدخل عليه ، فوجداه ملثما في دراج ، وحركاه فاذا به قد مات ، ولم يعلما الوقت الذي توفي فيه ، ولا وقف أحد من خدمه على وقت وفاته " (١) . وتختلف هذه الرواية عن سابقتها في تحديد الزمن ، ولا تفتقر اقترانا مباشرا بين قطع الدوا ولكنها تجعل المرقن المباشر السبب للوفاة ، وتريد فتصور احسان طاهر بوطاة المرقن وكيف انه كان يتحسب الموت .

٣- ان طاهرا عاش بعد قطعه الدوا اسابيع ووصل الخبر الى المأمون فشق عليه ودعا احمد بن ابي خالد الذي كان ضمن طاهرا لدى توليته خراسان وقال له : "وبالله لئن لم تنظف لاصلاح أمره كما كت ضمنت فسادا لأضربن منك" ، فبعث ابن ابي خالد بهدايا الى طاهر وفيها كاخ ابي مسمم لعلمه ان ذلك اللون محبب اليه ، فأكل من الكاخ مع تدراج مشوية فمات بعد يومين (٢) . وهذه الرواية لا تعترف بصاحب البريد ولا بدوره في ابلاغ الخبر والنتائج المترتبة على ذلك .

٤- ان الخبر بخلاف طاهر وصل الى المأمون ، وانه لجأ الى ابن ابي خالد ، ولكن

(١) كتاب بغداد : ٢٣ وتاريخ الطبري (حوادث سنة ٢٠٢) والعيون والحدائق : ٣٦٤

(٢) الديارات : ٩٥ .

بدلاً من أن يأمره بالتلطف لاصلاح حاله ، أمره أن يسافر من توه الى مسرو
ليحضر طاهرا - وكان الوقت ليلاً - فرجاء ابن أبي خالد أن يسمح له بالمبيت
الى الصباح . فتشدد أولاً ثم اذن له ، وفي الليل جاءت خريطة البريد من
خراسان تنبئ بوفاة طاهر (١) . وتلتقي هذه الرواية من حيث التوقيت مع
الرواية الاولى ، لأن كلثوما بعث بخبرين متواليين : الاول بقطع الدعا ، والثاني
بحادثة الوفاة .

هـ - ان الخبر بخلاف طاهر وصل الى مسامع المأمون فاستدعى ابن أبي خالد وقال
له : يعتني بثلاثة آلاف درهم أخذتها من طاهر (يعني مكافأته لأنه ضمن له
ولاية خراسان) فقال احمد : انا أخرج وأكفيك أمره ، ثم ورد كتاب من طاهر
علي احمد يسأله ان يوجه اليه محمد بن فرخ العمري وكان أحب الناس الى
طاهر فقال أحمد للمأمون : ان محمد بن فرخ العمري يقوم بما كنت أقوم به ،
فاقطعه مدة قطائع ووصله بمال عظيم ، ونفذه الى خراسان فأقام مند طاهرا
شهرًا حتى توفي طاهر ، فيقال ان ابن أخي العمري سقاه سما فقتله (٢) .

وهكذا تضطرب الروايات بين وفاة طبيعية وقتل مدبر ، ومن الصعب أن نحكم أيها
أقرب الى الواقع ، ولكن ليس من المستبعد أن يكون طاهر قد ذهب ضحية طموحه في أن
يعلن استقلاله عن الدولة ، فأما الروايات التي تحاول ان تربط بين خلافه ونهايته فانها
تذيّل القصة بأن الخبر حين جاء الى المأمون قال : " للبدن وللغم " الحمد لله الذي
قدمه وأخرنا " (٣) . وأما الروايات الاخرى فيتفق معها تأييد المأمون وأسفه عليه وقوله
فيه : " انه لا يعرف احدا من نصحاء الخلفاء وكفاتهم فيمن سلف عصره ومن بقي من ايام
دولته على مثل طريقته ومناصحته وغنائه واجرائه .

(١) الديارات : ٩٥ ، كتاب بغداد : ٧٤ ، تاريخ الطبري (حوادث / ٢٠٧) والعيون
والحدائق : ٣٦٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٥٧ (ط . بيروت) .

(٣) كتاب بغداد : ٧٥ ، والعيون والحدائق : ٣٦٥ .

الفصل الثاني

خلفاء طاهر بن الحسين

١- ولاية طلحة

٢- ولاية عبد الله

٣- طاهر الثاني

٤- محمد بن طاهر الثاني

١- ولاية طلحة بن طاهر

٢٠٧ هـ - ٢١٣ هـ = ٨٢٢ م - ٨٢٨ م

خراسان بعد طاهر بن الحسين :

توفي طاهر بن الحسين وله من العمر ثمانية وأربعون عاماً ، وتختلف الروايات في تصوير ما حدث بعد وفاته على النحو الآتي :

١- ان طلحة ابنه طلب الى كلثوم بن ثابت صاحب البريد بأن يكتب الى الخليفة بوفاة أبيه وانه ضبط أمر الجيش من بعده ، وكاناً صاحب البريد على هذا . . . ألف درهم ومائتي ثوب (١) . وهذه الرواية تؤيد الى ان كتابة صاحب البريد كانت تشاء على طلحة وإشادة بمقدرته ، فوضعت المأمون امام الامر الواقع ، فأمر المأمون طلحة على ما هو عليه .

٢- ان خبر الوفاة حين بلغ المأمون لجأ الى مستشاره الكبير احمد بن ابي خالد ، يسأله : قد مات ، فمن ترى ؟ قال : ابنه طلحة ، قال : الصواب ، فاكتب توليته ، فأقام طلحة والياً على خراسان بعد موت أبيه (٢) .

٣- رواية اصحاب الاخبار والتاريخ : وهي تقول ان الجند وثبوا بخراسان مندماً مات طاهر ونهبوا بعض خزائنه وسلاحه ومناعه فقام بأمرهم سلام الابرش الخصي

(١) كتاب بغداد : ٧٤ ، والعيون والحدائق : ٤٥٣

(٢) كتاب بغداد : ٧٤

وأعطاهم رزق ستة أشهر حتى رضوا وسكوا ، ثم ان المأمون جعل سلطان عبد الله بن طاهر - وكان يومئذ يحارب في مصر - جعله يمتد بحيث يشمل الشام وخراسان أيضا ، فأناوب عبد الله في خراسان أخاه طلحة (١) .

وعلى الرغم من اختلاف هذه الروايات وتفاوتها في بعض التفاصيل فإنها جميعا تنتهي الى القول بأن طلحة هو الذي تسلم مقاليد الامور في خراسان وظل فيها حاكما مدة سبع سنين ، دون أن يتدخل اخوه عبد الله في شؤنها . والناظر الى حال الدولة العباسية حينئذ يستطيع ان يتصور مبلغ ما ناله الطاهريون من نفوذ في عهد المأمون . فكان عبد الله بن طاهر ، يهدى الغنم في الشام ومصر وكان طلحة واليا في خراسان وكان اسحاق بن ابراهيم المصعبي صاحب الشرطة بمد ينة السلام . وان تولية طلحة بعد أبيه ، ان دلت على شيء ، فإنها تدل على أن المأمون لم يكن يخشى من والي خراسان الخضوع للميول الانفصالية ، وان قطع طاهر للدعاء انما كان نزوة لم يجزؤ عليها خلفاؤه من بعده . وفي سبيل أن يثبت المأمون ولاية طلحة أرسل اليه جيشا بقيادة احمد بن أبي خالد ، وكانت المشكلة المزمنة التي عانى منها طاهر من قبل هي قوة الحرورية ومجزء من القضاء عليهم ، فأصلح احمد احوال الولاية ودبر أمور طلحة (٢) . واعترافا بصنيعه وهب له طلحة ٣ ملايين درهم ومروضا بمليونهم ووهب لكاتبه نصف مليون درهم (٣) . ويبدو ان هذه الصلات كانت متبادلة بين اصحاب رؤوس الاموال ، ان نجد ان احمد بن أبي خالد نفسه

(١) كتاب بغداد : ٧٥

(٢) العيون والحدائق : ٣٦٥ - ٤٥٤

(٣) المصدر نفسه : ٤٥٤

بيعت الى طلحة بمليون درهم ليشتري بها لنفسه ضيعة في السواد (١) .

ولمست لدينا اخبار كثيرة من طلحة ، فقد كان في عهد ابيه قد تدرب في شؤون القيادة ثم ولاء ابوه اعمال سيستان (سجستان) سنة ٢٠٦ هـ = ٨٢١ م (٢) ، ويبدو انه شغل بعض فترة من حكمه بمحاربة الشراة في خراسان ، وأصيب بضربة في وجهه (٣) . وقد اهتم ابن طيفور بايراد طرف من اخباره وأكبرها يدل على ميل الى الشرب والسماع وممارسته فن الصيد ، والسخا ، بالمال على الاصحاب والقاصدين (٤) .

٢- وفاة طلحة بن طاهر :

كان لطلحة كاتب اسمه علي بن يحيى بعث المأمون في طلبه فسافر الى بغداد فخرج طلحة في تشييعه - وكان حينئذ يبلغ - ولما عاد الى منزله أكل من " المبرقظ بالريتا " فاشتكى بطنه وفي اليوم الثاني توفي (سنة ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م) ، وقد رثاه شاعره ونديمه ابو السحيل ، فما قاله :

| | |
|---------------------------|------------------------------|
| يا قبر طلحة فيك مئوى سيد | لمسودين مهذبين كرام |
| من معشر تروى السيوف أكفهم | لا يحشرون سوا هذا للظامي (٥) |

(١) كتاب بغداد : ١٢٨

(٢) تاريخ سيستان : ١٧٧

(٣) كتاب بغداد : ٩٤

(٤) المصدر نفسه : ٩٣ - ٩٥

(٥) المصدر نفسه : ٩٥ - ٩٦

٢- ولاية أبي العباس ، عبد الله بن طاهر

١- نشأته

ذكرت المصادر التاريخية انه لما مات عبد الله سنة ٢٢٠ هـ = ٨٤٤ م - أيام
الوائقي - كان عمره ٤٨ سنة وتسعة واربعين يوما (١) ، وبذلك يكون قد ولد عام ١٨١ هـ
الموافق ٧٩٦ م ، كما صرح بذلك عبد الله نفسه (٢) . وبما ان هذه الاسرة لم تخرج من
خراسان الى بغداد الا بعد فتح بغداد فيكون عبد الله هذا قد نشأ بخراسان وبوشنج ،
وعندما خرج أبوه لمحاربة ابن ميسى بالرى كان عمره ١٣ سنة تقريبا ، ولكننا لم نجد له
ذكرا الا بعد خروج طاهر الى خراسان سنة ٢٠٥ هـ = ٨٢٠ م . اما تصريح المأمون بأنه
قد تبني عبد الله (٣) ورأه ، يومى الى ان المأمون قد أحبه وهو بخراسان فأخذه معه
الى بغداد - وقد لا يكون ذلك - اذن فكان عبد الله بن طاهر ابن ثلاث وعشرين
عندما خرج والده الى خراسان ، وظل عبد الله ببغداد يرافق المأمون . وولاه المأمون
الرقعة بعد خروج ابيه منها (٤) حوالى سنة ١٩٩ هـ أو ٢٠٠ هـ = ٨١٥ م . ثم ولاه
الشرطة ببغداد (٥) ، كما كان كبير حجاب المأمون (٦) .

٢- اعمال عبد الله بن طاهر الحويصة في الشام ومصر

وفي سنة ١٩٨ هـ = ٨١٣ م أظهر نصر بن سيار بن شيث العقيلي الخلاف على

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩ : ٤٨٩

(٢) كتاب بغداد : ٨٦

(٣) الديارات : ٨٦

(٤) اعلام النبلاء للطباخ ١ : ١٧٩ ، وكتاب بغداد : ٧٥

(٥) المحاسن والمساوي للبيهقي : ٢٠٨ ، وكتاب بغداد : ٤٠ ، والمجبر : ٣٧٦

(٦) تاريخ البيهقي : ٢٩

المأمون وكان يسكن كيسوم ناحية شمالي حلب ، وكان في عنقه بيعة للأمين وله فيه هوى ، فلما قتل الأمين أظهر نصر الغضب لذلك وتغلب على ما جاوره من البلاد وملك سميماط واجتمع عليه خلق كثير من الأعراب وأهل الطمع وقويت نفسه فعبث الفرات الى الجانب الشرقي وحدته نفسه بالتغلب عليه ، فلما رأى الناس ذلك منه كثرت جموعه وزادت مما كانت (١) .

وكان من أمره ان حصر حران . وفي شهر رمضان من سنة خمس أو ست ومائتين وتسعين المأمون عبد الله بن طاهر مصر ومحاربة نصر بن شيث ، فأقام عبد الله على محاربته خمس سنين وحاصر كيسوم سنة ٢٠٩ هـ = ٨٢٤ م ، وضيق عليه حتى طلب الأمان على شرط أن لا يسطا بساط المأمون فلم يقبل المأمون ، واضطر نصر الى ذلك فأمر المأمون ان يكتب عبد الله له الأمان . ووصل الى المأمون سنة ٢١٠ هـ = ٨٢٥ م (٢) .

وكانت مصر مسرحا للفتن والثورات ، حيث كانت نار الفتنة القديمة قد اندلعت بين عرب الشمال وعرب الجنوب مرة أخرى حينما أقبلت جماعة من الأندلسيين واستولوا على الإسكندرية ، وكانت الثورات قد اشتدت في مصر فاضطر المأمون الى تعيين عبد الله واليا على مصر سنة ٢١٠ هـ = ٨٢٥ م للقضاء على الاضطرابات . فاستطاع عبد الله في فترة وجيزة ، اكراه الأندلسيين وارقاهم على الانسحاب ، وإعادة الآلة الحكومية في مصر من جديد واقرار النظام ، ثم التفت الى اصلاح البلاد وبدأ في ذلك ولكنه اضطر الى العودة الى العراق ، فعادت الثورات الى أشد ما كانت عليه حتى اضطر المأمون الى الحضور بنفسه الى مصر (٣) .

(١) الكامل في التاريخ (حوادث سنة ١٩٨ - ٢١٠) ، وتاريخ الطبرى ومروج الذهب ،

كتاب بغداد : ٢٥ - ٢٧ - ٢٨ ، والديارات : ٨٦ - ٨٧

(٢) المصدر نفسه

(٣) كتاب ولاية مصر للكندى : ٢٠٤ ، والولاية والقضاة للكندى : ١٨٠ ، والنجم الزاهرة

٢ : ٤٦١ ، وكتاب بغداد : ٨١ ، وكتاب الديارات : ٨٨

وكان مقام عبد الله بمصر ١٧ شهرا ومثيرة أيام ، ثم خرج منها في رجب سنة ٢١٢ هـ الموافق ٨٢٦ م . فأقام قبل المأمون سنة واحدة ، فسيره المأمون الى بابك الخرمي ، فأقام بازائه بالدينور سنة تقريبا . وكان قد شرط على المأمون انه اذا ظفر ببابك رجع على الباب ، فبينما هو كذلك ، اذ وقعت احداث في خراسان اضطرت المأمون ان يحول اليها عبد الله فامتثل عبد الله امره ، وكان حينئذ واليا على الجبال وارمينية وآذربايجان (آذربيجان) (١) .

٣- توليته خراسان :

ولما توفي طلحة بن طاهر أواخر السنة ٢١٣ هـ = ٨٢٧ م أرسل المأمون القاضي يحيى بن اكثم الى عبد الله يعزله في أخيه طلحة ويهينه بولاية خراسان (٢) . ومات المأمون سنة ٢١٨ هـ = ٨٣٣ م فأقره المعتصم - وكانت في نفسه حزازات من عبد الله (٣) - ثم جاء الواصل سنة ٢٢٧ هـ = ٨٤١ م فأقره أيضا . وفي سنة ٢٣٠ هـ = ٨٤٤ م توفي عبد الله بعد ان حكم خراسان ١٧ سنة ، كان قد ضبط فيها خراسان ضبطا ما ضبطه أحد من قبله ودانت البلاد له واستقامت عليه الكلمة (٤) . وكان موته بعلة الخوانيق "مرض الخناق" بعد ان مرض ثلاثة ايام من وجع في حلقه (٥) وتوفي وهو وال على خراسان والرى وجرجان (٦) سنة ٢٣٠ هـ = ٨٤٤ م .

-
- (١) الديارات : ٨٩ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٦٣
 - (٢) تاريخ الطبري ٢ : ١٧٠
 - (٣) تاريخ الطبري ٢ : ١٨٥ و ٢ : ٢١٠ ، والديارات : ٩٠ والصدقة والصديق : ١٢٨
 - كتاب بغداد : ٨١ وأعلام النبلاء : ١٩٢
 - (٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٨٠
 - (٥) النجوم الزاهرة ٢ : ٢٠١
 - (٦) تاريخ بغداد : ٩ : ٤٨٨

٤- شخصية عبد الله بن طاهر :

لعله أبرز شخصية من آل طاهر - بعد أبيه - وأشدّهم إخلاصاً للدولة العباسية ، وللمأمون على وجه الخصوص ، وكان المعتمد سيّء الرأي فيه أولاً ، فلما رأى إخلاصه أصبح يؤثّره ويقدره (١) ، وكان هذا الإخلاص سرّ شخصيته بحيث حال بينه وبين الشروع إلى المال أو إلى الانقلاب على مولاه ، ولما دخل مصر سنة ٢١١ هـ = ٨١٦ م بعث إليه مبيد بن السري - لما مانعه دخول مصر وعلم أنه مأخوذ - ألف وصيف ووصيفة ، مع كل وصيف صينية فضة وزنها ألف درهم وفيها ألف دينار في كيس حرير ، ومع كل وصيفة صينية ذهب وزنها ألف مثقال ، وفيها ألف درهم ، وبعث بهم ليلاً . فرد ذلك عبد الله إليه . وكتب إليه : " لو قبلت هديتك ليلاً لقبلتها نهاراً ، أتمدوني بما ؟ فما آتاني الله خير مما آتاكم ، بل انتم بهد يتكلم تفرحون . ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أدلة وهم صاغرون " . فطلب بن السري الأمان ، فأمنه وخرج إليه ، ودخل عبد الله مصر (٢) .

وكان من نزاهته وإخلاصه للمأمون بحيث يراه المأمون أنه يزيد على جميع أهل دهره . فقد قال يوماً لأهل مجلسه : هل تعرفون رجلاً يزيد على أهل دهره نزاهة وحسن سيرة ؟ فذكر قوم أناساً فأطروهم ، فقال : لم أرد هؤلاء . فقال أحدهم : ما نعلم أحداً مثل هذا النعت إلا عمر بن الخطاب . فقال المأمون : غفراً ، لم أرد قريباً ولا إخواناً . فأمسك القوم جميعاً . فقال المأمون : ذاك عبد الله بن طاهر ، وليته مصر وأموالها جمة فوجد لعبيد الله بن السري (من الأموال) ما تنصر عنه الصفة ، فما تعرّض منه لدينار ولا درهم

(١) الديارات : ٨٨ ، والصدقة والصديق : ١٢٨ ، وكتاب بغداد : ٨١

(٢) الذخائر والتحف : ٢٥ ، وكتاب بغداد : ٢٣ ، والمستطرف : ١ : ١٦٢ ، وخاص الخاص : ٨٩

ولم يخرج من مصر الا بعشرة آلاف دينار وثلاثة افراس وحمارين . ثم أنشد المأمون نسي
عبد الله :

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| حليم مع التقوى شجاع مع الردى | ند حين لا يندى السحاب سكوب |
| شديد مناط القلب في الموقف الذى | به لقلوب العالمين وجيب |
| ويجلو امورا لو تكلفت فـيـره | لمات خفانا أويكاد يـسـذوب |
| فتى هو من غير التخلّى ما جسد | ومن غير تأديب الرجال اديب (١) |

وهكذا نجد المأمون يخاطبه خطاب الاخ العطوف ويعدّه مضدا له وثيقا يفرح لفرحه ويحزن
لحزنه وهو صديقه المثالي (٢). فلما فتح عبد الله بن طاهر مصر كتب اليه المأمون في أسفل
كتابه :

اخي انت ومولاى السـذـى أشكر نعماء
فما أحبيت من أمـر فـانـي اليوم اهواه
وما تكره من شـيـ فـانـي لست اهواه
لك الله على ذا ك لك الله لك الله (٣)

ولم يكن المأمون وحده الذى خاطب عبد الله بالاخ وانما فعل ذلك المعتصم ايضا (٤) .

ومن تواضع عبد الله بن طاهر وحيه للعلماء واحترامه لهم انه لما دخل عبد الله بن
طاهر مصر قصد محمد بن يوسف الفاريايى الزاهد وكان يقبضارية وبينها وبين الطريق

(١) الديارات : ٨٨ ، وكتاب بغداد : ٩٢

(٢) كتاب بغداد : ٨٣ والمصادر الاخرى

(٣) الصداقة والصديق : ١٢٦

(٤) العقد الفريد : ٢ : ٤٤٩

أميال ويبعد الله في خيله ورجله . فجاء صاحب لواء عبد الله حتى وقف على الباب ثم جاء
عبد الله فوقف . فخرج ابن لمحمد بن يوسف وسلم على عبد الله . فقال له عبد الله : أردت
الشيخ . فقالوا لمحمد بن يوسف : عبد الله الأمير بالباب ومظموا أمره . فقال الفاريابي :
لا اخرج اليه . فكلما جهدوا لم يقبل . فقالوا له : ما نقول للأمير ؟ فاضطجع الفاريابي
وقال : قولوا له انه صاحب فراش . فرجعوا الى عبد الله وقالوا له : شيخ كبير صاحب فراش .
فقال عبد الله : ما جئنا الى هنا الا ونحن نريد الدخول عليه . فرجعوا الى الفاريابي
فقال : ما آذن له ، ثم قال : قولوا له صاحب بول . فلما اخبروا عبد الله بذلك . صعر
وجهه ثم قال : نحن في سوادنا أزهد من هؤلاء في صوفهم ، ثم مضى ، ولم يلقه الشيخ ولا
مرض له .

ولم يخرج عبد الله بن طاهر من اختبارات المأمون له ناصح الجيـن فحسب ، بل بذل
أقصى جهده ليبرهن للمأمون انه يحبه أشد الحب ويكن له أشد الولاء ، فيفضل البقاء فسي
جواره على أن يولي مصر أو خراسان أو غيرهما . ولقد رأينا كيف قاد الى بغداد من هـر
فسيره المأمون الى بابك الخرمي وقد شرط على المأمون انه اذا ظفر ببابك رجع على الباب
ليقيم بحضرة المأمون ويختار بخلافته على خراسان من أحب من اخوته (١) وهو الذي اختار
اخاه طلحة بدلا من نفسه (٢) . ولما كان واليا على خراسان كتب الى المأمون يظهر
اشتياقه لرؤية المأمون ويتجمل بخدمته ويستأنس بجواره . فكتب الى المأمون - من خراسان -
رسالة جاء فيها : " بعدت داري من ظل أمير المؤمنين ، وان كنت حيث تصرف لا اتغيا
الا به ، وقد اشتد الى أمير المؤمنين شوقي لأرى مجلسه وأشرف لخطابه ، واتجمل بخدمته ،
وانقح عقلي من حسن أدبه ، فلا شيء آثر مندي من قرره ، وان كنت في سعة وهبها الله به ،

(١) الديارات : ٨٩

(٢) اعلام النبلاء : ١ : ١٩٥

فان رأى أمير المؤمنين اذن لي في المصير اليه لأحدث بهذا للمنع علي ، واتهنأ بالنعمة التي آثرها لدى فعل محسنا ان شاء الله تعالى . فوقع المأمون في كتابه : قريك أبسا العباس الى حبيب ، وانت مني حيث كنت قريب ، وانما بعدت دارك نظرا لك ورغبة فيك وسموا واتبع قول الشاعر :

رأيت دنو الدار ليس بنافسع اذا لم تكن بين القلوب قريب (١)

اما شجاعته وهيبته في قلوب اعدائه فكانت أيضا من خصائصه البارزة ، ومن ذلك صبره ووقوفه لمحاربة نصر بن شيث خمس سنوات دون أن يمل وقد نقل لنا اصحاب التواريخ حكايات من شجاعته لا مجال لذكرها في هذا الوجيز (٢) .

وكان عبد الله ظريفا في اغلب حالاته فكها بسيطا في منزله ، مرحا . وكان قد جلس يوما بخراسان انصف فيه من وجوه القواد وأمرأ الاجناد ، وضرب الاعناق وقطع الايدي والارجل ومقد العقود . فلما زالت الشمس دخل داره . فتلقاء الخدم ، فأخذ هذا قباءه ، وآخر خفه ، وآخر رانه ، وبقي عبد الله في غلالة وسراويل . فرفع الغلالة على كتفه وجعل يقول :

النشر مسك والوجوه دنسا نير وأطراف البنان منسم

فاقتاظ منه الجلودى ، وكان أقرب من قلبه وأدل عليه ، ونزع ثوبه من مائه ورده الى حاله وقال له : تجلس اليهم مجلس الاسكندر ودارا بن دارا ، وتفعل السامة فعل علوية ومخارق ؟ فنظر اليه عبد الله نظر الصؤول ورد ثوبه على كتفه وقال :

لا بد للنفس ان كانت مصرفة الا التنقل من حال الى حال (٣)

(١) المنازل والديار ٥ ، ١٨٠ ، وخاص الخاص : ٨٩

(٢) الديارات : ٨٨

(٣) المصدر نفسه : ٨٩ - ٩٠

أما كرمه فقد ملك به القلوب وله في ذلك اخبار كثيرة ، فمن ذلك انه لما حل بمصر ، وزع جوائز كثيرة على الناس حتى لم يبق لديه شيء يعطي المعلي الطائي فاستدان له (١) . وجمع كاتبه احمد بن ناهيك ، في طريقه الى الشام ، هدايا كثيرة فلم يأخذ منها عبد الله شيئا ووهبها له جميعا وزاده عليها ، وسعث الى عبد الله بن السمط بهدايا كثيرة السي بغداد (٢) ، واحصي من كان في جيرانه ببغداد فبلغوا ٤ آلاف نفس ، فكان يقيم بموئنتهم وكسوتهم ، فلما خرج واليا على خراسان انقطعت الرواتب من الموئنة عنهم وبقيت الكسوة مدة حياته (٣) . ويقال انه افتك اسرى بألفي ألف درهم وتصدق بأموال كثيرة (٤) . ولما ولي الرقة واحضرت الرق والقصر بلغ ما وقع به من الهبات للناس مبلغا عظيما (٥) ، والحقيقة ان استقصاء مثل هذه الاخبار من جوده أمر عزيز .

وكان ظريفا في كلامه ، فجرى بين يديه يوما ذكر قصيدة ابن الرومي النونية في ابي الصقر . فقال عبد الله : هي الدار البطيخ ، فضحك الجماعة . فقال عبد الله : اقرأوا نسييها فانظروا اهي كما قلت ام لا ؟ وقد ظرف عبد الله فان نسييها قوله :

أجنت لك الوجد أغصان وكتبان
فهن نومان : تفاح ورومان

وقد قال ذلك الاخفش ايضا حين قرأها (٦) .

ومن سيرته انه كان يخاف عاقبة السوء فيحل مشاكل الامور منذ بدئها ، وهذا واضح

(١) تاريخ بغداد ٩ : ٤٨٤ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٠٠

(٢) تاريخ بغداد ٩ : ٤٨٥

(٣) اعلام النبلاء ١ : ١٩٤ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٤٨٦

(٤) اعلام النبلاء ١ : ١٩٤ وشذرات الذهب ٢ : ٦٨

(٥) كتاب بغداد ٨٧ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ١٩٦

(٦) نثار القلوب : ٥١٩

تمام الوضوح في همسه وكلامه للضبي الشامري من خوفه وقلقه من بذاة لسان دميل ومر هجاء (١) .
وكذلك في اهداءه جاريته . كما كان حليما قادرا على ضبط النفس وكظم الغيظ والعفو عن
الناس حتى اذا أهين ، والاخبار في هذا الباب ليست بقليلة نذكر منها هجاء محمد بن يزيد
الحصني له والقدح له والطعن به ، فلما هجاء وكان هجاؤه مرا لاذعا رأينا عبد الله مفا منه
عندما وقع الحصني في قبضته ولم انه مقتول ، اما عبد الله فانه لم يكتف بعفوه بل وهب له مالا
كثيرا (٢) .

وكان عبد الله يقتدى بملوك الفرس الذين كانوا يقولون : ان الملك يستغني عن كسوة
الصيف في الشتاء ، ومن كسوة الشتاء في الصيف ، وليس من اخلاق الملوك ان تخبأ كسوتها
في خزائنها ، فتساوى العامة في فعلها . فاذا كان يوم النوروز ، لبس خفيف الثياب ورقيقها ،
وأمر بكسوة الشتاء كلها ففرقت . فاقننى عبد الله بن طاهر هذا الاثر من آثارهم في النوروز
والمهرجان لا يترك في خزائنه ثوبا الا كساء (٣) .

ومع ما ذكرنا من سيرته الطيبة وظرف اخلاقه ولبنه فانه كان شديدا في موقع الشدة
فلا يغفر لعامله تقصيره وتكاسله وتوانيه وتفاعسه وخطأه وزلله وينبئه ويوبخه اذا كرر ذلك وأعاد .
فقد كتب الى الحسن بن عمر التغلبي احد معاليه يقول : اما بعد ، فقد بلغني ما كان من
قطع الفسقة الطريق ما بلغ ، فلا الطريق تحمي ، ولا اللصوص تكفي ، ولا الرمية ترضى ، وتطمع
بعد هذا في الزيادة . انك لمنفسخ الامل . وايم الله لتكفيني من قبلك أو لأوجهن اليك
رجالا لا تعرف مرة من جهم ، ولا عدى من رهم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (٤) .

(١) الاقاني ٢٠ : ١٣٥

(٢) معجم الادباء ١٢ : ١٩٤

(٣) التاج في اخلاق الملوك : ١٥٠

(٤) العقد الفريد ١ : ٥٩

وكان عبد الله بن طاهر من أكثر الظاهريين تشجيعاً للآداب والعلم فكان مجلسه موضع البحث والجدل والظرف والملح ، وفيه يقوم الشعراء بانشاء قصائدهم ، كما سنوضح ذلك عند دراسة الحياة الادبية في ظل الظاهريين ، هذا الى محبته في الفنا ومعرفته الاصوات ، واهتمامه بمجالس الطرب وان كان قد تاب من ذلك قبل موته وكسر جميع آلات اللهو ، وكان احترامه للعلماء ورعايته لهم من الامور التي جعلتهم يلتفون حوله (١) .

واخيراً يمكن ان يقال ان عبد الله بن طاهر كان يصح فيه انه "ميمون النقية" حتى قيل منه بأنه كان اذا حل بلدا حل معه الخير ، ولما قدم نيشابور بعد حرب الخوارج نزل المطر فيها بعد انقطاع فعّد الناس ذلك من يمينه (٢) .

٥- خراسان أيام عبد الله بن طاهر :

تسرف المصادر في الحديث من اعمال عبد الله بن طاهر الحربية في الفترة التي قضاها في الرقة ثم في مصر ، وتورد اخباراً وقصصاً من بعض تصرفاته وعن نواحي شخصيته ولكنها لا تهتم كثيراً بالتحدث منه في خراسان طوال السنوات التي قضاها هناك ، وهي مدة ليست بالقصيرة (٢١٣ هـ - ٢٣٠ هـ = ٨٢٨ م - ٨٤٤ م) ، ولا تحدثنا بالشيء الكثير من احوال خراسان نفسها في تلك الفترة ولكن بما اننا نحاول ان نتصور وجود "دولة" طاهرية لذا كان من الضروري ان تستأثر هذه الناحية بالاهتمام .

قد قدمت ان حادثة بابك وقيامه بالثورة بنواحي الجبال في آذربيجان هي التي كانت فاتحة توجيه عبد الله الى المشرق ، بعد الاعمال الحربية التي قام بها في القسم الغربي من

(١) طبقات النحويين واللغويين ١ : ٢٢٠

(٢) المستجاد من فعلات الاجواد ١ : ٢٣٢

الدولة ، وانه كان معلق النفس بالبقاء " بالباب " على خلاف ابيه طاهر من قبل ولذلك
اشترط على الخليفة ان يسمح له بالعودة الى بغداد حال انتهائه من اعماله ضد بابك .
فأقام بالدينور تسعة أشهر يستعد لقتال بابك ، وفي ما هو ماضٍ في استعداداته ورد
الى دار الخلافة كتاب من صاحب نيسابور يذكر ان الخوارج الشراة أفاروا على قرية من
قرى نيسابور تسمى الحمراء ، " فأحرقوا وسبوا وقتلوا النساء والاطفال ، فعظم ذلك على
المؤمن ودعا اسحاق بن ابراهيم وهو خليفة عبد الله بن طاهر على الشرط ويحيى بن
اكرم ويحث بهما الى ميد الله وكتب معهما كتابا بخطه الى عبد الله يقسم عليه ان يحول
مضربه من وجه بابك الى وجه خراسان ، فامتثل ما أمره به " (١) . وكان ذلك أول مهده
بخراسان .

استعد عبد الله بن طاهر للتوجه الى خراسان ، فأرسل الكتب الى من يهمه
مكاتبتهم فيما هو مقدم عليه ، ويحث اخاه محمد بن طاهر على مقدمة الجيش ، وانتدب لحرب
بابك علي بن هشام ، ولما اطمأن الى هذه الترتيبات لحق بجيشه حتى وصل الى نيسابور .
ودلته الاستطلاعات الاولى على أن المنطقة حولها هي " مش المارقة " ، ووجد ان ضبط
أمرها أهم بالتقدم من كل شيء ، لأنها في نظره أهم كورة من كور خراسان ، وكتب بكل
ذلك الى المؤمن (٢) . وتسكت المصادر عن طبيعة الأعمال الحربية التي قام بها ضد
الخوارج ، ولكن استتباب الأمور والامن في زمنه يدلنا على ان الحملات التي قام بها ضدهم
كانت ناجحة ، جعلتهم يلجأون الى السكنى مدة طويلة ، هنا اذا لم تكن قد قضت على
شوكتهم .

(١) الديارات : ٨٩

(٢) المصدر نفسه

وكان أول عمل عمله عبد الله ان خالف سنة الولاة الذين كانوا قبله ، ونظرا لما كان
براه من اهمية كورة نيسابور فانه اتخذ المدينة - نيسابور - فاصمة له دون مسرو ، وبني فيها
الشاذياخ والمنارة (١) . والظاهر ان نيسابور اجتذبت به فلم يعد يهتم كثيرا بالبقاء " بالباب "
قريبا من الخليفة الا حين يعتاده الحنين الى ذلك ، وهكذا تحولت عاصمة خراسان لأول
مرة من مسرو الى نيسابور .

اما سبب بناء الشاذياخ فقد تحدث عنه القزويني (٢) ، وذلك ان عبد الله بن طاهر
حين قدم نيسابور بعساكوه نزلوا في دور الناس فصبا ، فاتفق ان احد الجند قال يوما لرجل
من اهل نيسابور يغار كثيرا على زوجته الحسناء : " اذهب بفروسي واسقه ماء " . فلم يستطع
على خلافه ولكنه غيرة على امرأته قال لها : اذهبي انت بفروسي واسقيه حتى أحفظ انما
أمتعتنا ، واتفق ان رأى عبد الله بن طاهر هذه المرأة فاستغرب الامر لان مثل هذا العمل
لم يكن من شأنها ، فلما سألها من ذلك أخبرته بالحال ، فعندئذ تبته للامر ، ونقل جنده
الى ضاحية الشاذياخ ، وبني هنالك قصرا مجيبا واتخذ بستانا واسعا وبني الجند حوله
دورهم ، وبذلك كانت الشاذياخ هي " القصة " الحقيقية ، وكثرت فيها قصور آل طاهر ،
وكانت عظيمة ، كما انشئت لهم قصور في موضع آخر من ضواحي نيسابور ، اسمه " الميان " ،
وقد أشار موف بن محلم في شعره الى هذه المواضع فقال (٣) :

سقي قصور الشاذياخ الحيا قبل ودامي وقصور الميان
فكم وكم من دعوة لي بهيا ما ان تخطاها صروف الزمان

(١) بلدان اليعقوبي : ٢٧٨

(٢) أنار البلد : ٣٦٥ ، ومعجم البلدان " الشاذياخ "

(٣) معجم البلدان " ميان " صورة الارض : ٣٦٣ - ٣٦٤

وقد أفادت نيشابور من جعلها "عاصمة" فعمرت وكبرت وفزرت وعظمت أموالها ، حتى انتابها الكتاب والادباء بمقامهم بها وطراً اليها العلماء والفقهاء عند زيارتهم لها (١) .

واهتم عبد الله بن طاهر أثناء ولايته بالناحية العمرانية جملة ، ولذلك تشهر الكتب الجغرافية الى قري انشأها مثل رباط فراوة وكوفسي (٢) ، وعلى الاول وقف عبد الله أراضي اسدآباد كما اهتم بضبط نواحي ولايته حتى قال اليعقوبي في وصفه مبدء : " وأقام عبد الله بن طاهر على خراسان وأعمالها مستقيم الامر شديد السلطان ، والبلدان كلها مستقيمة اربع عشرة سنة " (٣) .

ويجب ان نذكر هنا ان ولاية عبد الله لم تقتصر على ولاية خراسان وحدها ، بل كانت تشمل ايضا مناطق الري وقص وجرجان ، وفي لاحق اضيفت الى هذه جميعا ولاية طبرستان بعد القضاء على بابك الخرمي (٤) . ولذلك نستطيع ان نقول : " ان "دولة" بني طاهر قد بلغت اقصى الاتساع في زمن عبد الله ، حتى أصبح هو "حاكم المشرق" الذي يتصرف بشؤونهم ، وتعتمد عليه الخلافة اعتمادا كليا في الاحتفاظ به وبالولايات المصاغة له هادئة موالية لها .

وهذه الولاية الواسعة التي تجاوزت خراسان ، كانت قد دخلت كبرها ، وقد رأينا في تقارير كتاب الخراج مبلغ الفرق بين ما كان يجبيه طاهر بن الحسين وما يجبيه ابنه عبد الله ، وكل هذا الدخل ، كان تحت تصرف عبد الله بن طاهر ، ينفقه في شؤون الولاية وفي

(١) صورة الارض : ٣٦٣ - ٣٦٤

(٢) معجم البلدان هاتين المادتين

(٣) الاغلاق النفيسة : ١٧٠

(٤) معجم البلدان مادة "طبرستان"

تشجيع العمران والعلم والآداب ، فلا غرابة اذا ازدهرت نيسابور خاصة وولاية خراسان والاممال المضافة اليها في ايامه .

٦- اعمال عبد الله بن طاهر في تأمين المشرق للدولة العباسية :

لقد بايع عدد غير قليل من حجاج خراسان سنة ٢١٩ هـ = ٨٢٤ م محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام بالمدينة لحسن سيرته وساروا جميعا الى جورجان فعظم اصحابه وأظهر أمره بالطالقان ، واجتمع اليه هناك ناس كثيرون وحدت بينه وبين قواد عبد الله بن طاهر وقعات بناحية الطالقان وجبالها فانهمز هو واصحابه واخيرا أخذه عامل نيسابور وعثه الى عبد الله بن طاهر حيث سيره الى المعتصم .

وكان الافشين ايام محاربة بابك لا تأتيه هدية من اهل ارمينية وآذ رايجان الا وجه بها الى اشروسنة فيجتاز ذلك بعبد الله بن طاهر ويكتب عبد الله الى المعتصم يعرفه الخبر ، يكتب المعتصم الى عبد الله يأمره باعلامه بجميع ما يوجه به الافشين ففعل عبد الله ذلك . فأنفذ الافشين مرة ما لا كثيرا فبلغ اصحابه الى نيسابور فوجه عبد الله بن طاهر ففتشهم فوجد المال في اوساطهم بالهمايين ، فقال : من أين لكم هذا المال ؟ فقالوا : للافشين ، فقال عبد الله كذبتم ، لو أراد اخي الافشين ان يرسل مثل هذه الهدايا والاموال لكتب يعلمني ذلك الامر بتسييره وانما انتم لصوص وأخذ المال فأعطاه الجند ، وكتب الى الافشين يذكر له ما قال القوم وقال : انا أكره ان تكون وجهت بمثل هذا المال ولم تعلمني وقد أعطيت الجند من المال الذي يوجه الي أمير المؤمنين ، فان كان المال لك ، كما زعموا ، فاذا جاء المال من عند أمير المؤمنين رددته عليك ، وان يكون في هذا فأمير

المؤمنين أحق بهذا المال ، وإنما دفعته الى الجند لأنني أريد أن أوجههم الى بلاد
الترك . فكتب اليه الافشين : ان مالي ومال أمير المؤمنين واحد . وسأله اطلاق القسم
فأطلقهم . فكان هذا سبب الوحشة بينهما . وجعل عبد الله يتتبعه ، وكان الافشين
يسمع من المعتصم ما يدل على انه يريد عزل عبد الله عن خراسان فطعم الافشين في ولايتها ،
فكتب مازيار يحسن له الخلاف ظنا منه انه اذا خالف مازيار عبد الله عزل المعتصم عبد الله
من خراسان واستعمل الافشين عليها . وكان سبب عصيان مازيار المعتصم هو ان مازيار كان
منافرا عبد الله بن طاهر لا يحمل اليه خراجه ، وكان المعتصم يأمره بحمله الى عبد الله .
فيقول مازيار : لا أحمله الا اليك ، فكان المعتصم ينفذ من يقبضه من اصحاب مازيار بهمدان
ويسلمه الى وكيل عبد الله بن طاهر يرده الى خراسان . فعظم الشر بين مازيار الذي كان
على طبرستان وعبد الله بن طاهر الذي كان على خراسان ، فكاد عبد الله يكتب الى المعتصم
حتى استوحش من مازيار فلما ظفر الافشين ببابك وأظهر المودة لمازيار وحرّض مازيار على
الخلاف مع عبد الله بن طاهر ترك مازيار الطاعة ومنع جبال طبرستان ، فكتب المعتصم الى عبد
الله بن طاهر يأمره بمحاربه وكتب الافشين الى مازيار يأمره بمحاربة عبد الله ، وأعلمه انه
يكون له عند المعتصم كل ما يحب ولا يشك الافشين ان مازيار يقوم في مقابلة عبد الله
ومقاتلته وان المعتصم يحتاج الى انقاذه وانقاذ مساكير غيره وهكذا وقعت الواقعة بين
عبد الله بن طاهر ومازيار وأرسل عبد الله عدة جيوش لمقابلة مازيار وكان على هذه الجيوش
الحسن بن الحسين بن مصعب ، ثم عبد الله ، الذي ذهب الى جرجان في جيش كثيف ،
وحيان بن جبلة في ٤ آلاف الى قومس ، ومحمد بن ابراهيم بن مصعب ، اخو اسحاق بن
ابراهيم بن مصعب ، وغيرهم . ثم أردفهم عبد الله بمحمد بن الحسن بن مصعب ، معه
الآخر . وحدقت الخيل بمازيار من كل جانب وحاربوا كثيرا . واخيرا أسر مازيار وسير

الى المعتصم بمسامرا، فضربه ٤٥٠ سوطا حتى مات وصلبه الى جانب بابك وذلك
سنة ٢٢٥ هـ = ٨٣٩ م .

وحبس الافشين في سامرا واستنطقه محمد بن عبد الملك الزيات ثم ابن ابي دواد
واخيرا بعث اليه المعتصم بطبق فاكهة ، فأكل منها ولم يلبث بعد ذلك الا قليلا حيث مات
فأخرجوه وصلبوه على باب العامة ليراء الناس ثم ألقى وأحرق بالنار وذلك في شعبان ٢٢٦ هـ
الموافق ٨٤٠ م .

٧- وفاة عبد الله بن طاهر :

واستطاع عبد الله بن طاهر بسياسته الحربية الدقيقة من اخماد الثورات المناوئة
لمركز الخلافة وتأمين المشرق للدولة العباسية بحيث جعل المعتصم يحبه بدلا مما كان
يكرهه سابقا . وتوفي عبد الله بعد أن وطد الامور وقمع الثورات المناوئة ومات وهو ابن
ثمان واربعين وهو أمير خراسان وكان اليه الحرب والشرطة والسواد والرى وطبرستان
وكومان وخراسان وما يتصل بها ، وكان خراج هذه الاعمال يوم مات ثمانية وأربعين ألف
ألف درهم .

(١) الكامل في التاريخ وتاريخ الطبرى ومرج الذهب (حوادث سنة ٢١٩ وسنة ٢٢٤ -
٢٢٦ .

٣- ابو عبد الله (١) طاهر بن عبد الله بن طاهر

(٢٣٠ هـ - ٢٤٨ هـ = ٨٤٤ م - ٨٦٢ م)

بعد ان قضى طاهر بن عبد الله فترة من حياته في بغداد وهو يتولى رئاسة الشرطة فيها (٢) ، انتقل الى خراسان في ولاية ابيه ، فلما دنت وفاة ابيه اوصى له بتولي خراسان وسجستان من بعده (٣) . وهذا يدل على أن عبد الله بن طاهر استقل برأيه في من يخلفه ، أولعله أراد من ابنه أن يضبط الامور حتى يرى الخليفة رأيه في من يوليه بعده .

ولما بلغ خبر وفاة عبد الله بن طاهر الى بغداد وكان الخليفة يومئذ هو الواثق (٢٣٠ هـ = ٨٤٤ م) أشار عليه محمد بن عبد الملك الزيات ان يعهد بخراسان الى شخص آخر من الطاهريين هو اسحاق بن ابراهيم المصعبي ، وفعلا اقتنع الواثق برأى ابن الزيات وزيره ، ولكن المنافسة بين ابن الزيات واحمد بن ابي دواد جعلته يعدل مسن ذلك ، وبميل الى رأى ابن ابي دواد ، اذ كان رأيه ان الطاهريين لبعدهم من دار الخلافة قد يميلون الى الاستقلال والانفصال وان بقا اسحاق بن ابراهيم - وهو احد كبارهم - في بغداد انما هو بمثابة رهينة في يد الخليفة ، ولندع احمد بن ابي دواد يقص خبر هذه الحادثة كما رواها الشاشتي في الديارات ، قال : " وجه الي الواثق فحضرت الدار فرأيت محمد بن عبد الملك واسحاق بن ابراهيم جالسين ومحمد يكتب الكتاب ، فلما رأني قلبه ، فتفألت ان الذي هما فيه سيقرب ، ودخلت الى الواثق فذكر لي خبر وفاة

(١) كذا كاه المرزباني في معجم الشعراء : ٤٦٢ وفي تاريخ سيستان : ٢٠٥ ان كنيته ابو الطيب .

(٢) المحبر : ٣٧٦

(٣) تاريخ سيستان : ١٩١

مبد الله بن طاهر وانه قد عمل على اخراج اسحاق بن ابراهيم الى خراسان وان يضم اليه خمسة آلاف رجل من الجند ويطلق ارزاقهم وان يطلق لاسحاق خمسة آلاف درهم معونة . فقلت : يا امير المؤمنين ، اسحاق رهينة القيم عندك ، فان أخرجه لم يكن في يدك من القيم شيء ، والجند ، فانت محتاج الى الزيادة فيهم ، فكيف تفرقهم ، لا سيما مع ما ينفق فيهم ، واخراج هذه الاموال لا وجه له . وها هنا ما هو خير من ذلك . قال الواثق : وما هو ؟ قال بن ابي دواد : طومار (١) بدرهمين نكتب فيه الى طاهر بن مبد الله بالتعزية من ابيه وتتجدد الولاية له ، وترجع ما تنفقه ، وتكون قد أتممت الصنيعة عند مبد الله وولده وأحسنست الخلافة فيه . فقال الواثق : الصواب ما قلت ، وأمر مبد الله بذلك والاضراب مما كان عمل عليه (٢) .

ويذكر اليعقوبي في تاريخه ان العهد بالولاية وصل الى طاهر سنة ٢٢٧ هـ وهذا التاريخ لا يصح لأن وفاة مبد الله والده كانت سنة ٢٣٠ هـ ، وقد بقي طاهر واليا بقیة حكم الواثق وايام خلافة المتوكل والمنتصر وبعض خلافة المستعین ، وكانت مدة ولايته ثمانی عشرة سنة (٣) ، كان في بعضها في صراع مع الشراة الذين يهاجمون المدن ويقطعون الطرق ويسلبون المارة ، وكان كلما قمع ثورة قامت ثورة اخرى (٤) . هكذا يقول صاحب تاريخ سيستان ،

(١) الديارات : ١١

(٢) المصدر نفسه

(٣) البلدان لليعقوبي : ٣٠٧

(٤) تاريخ سيستان : ٢٠٥

ولكن البيهقي يذكر انه كان " مستقيم الامور " - ولعله يعني انه كان كذلك في ولائه للدولة العباسية ، وكذلك كان فعلا لا يرد أمرا من أوامر الخليفة . كتب اليه المتوكل انه اذا ورد علي بن الجهم عليه يصلبه يوما ، فلما وصل بن الجهم الشاذياخ حبسه طاهر ثم أخرجه وصلبه مجددا نهارا كاملا ثم أنزل (١) . كما أطاع طاهر بن عبد الله المتوكل في قطع سرقة بست بقربة كشمير الوحيدة في الدنيا وحملها الى حضرة الخليفة علي ثلاثمائة جبل ، غير مبال بضجيج الناس ومويلهم وبكائهم ، ضاربا رغبة الشعب مرقص الحائط حتى انه رد ما ضمنوا له من المال لينصرف عن قطعها لأنه لم يجد بدا ممن الامتثال (٢) .

وكان طاهر بن عبد الله يحب العلماء ويحترمهم كما يحترم أساتذته كما سنرى عند دراسة الحياة الادبية والعلمية . ولما توفي طاهر في رجب سنة ٢٤٨ هـ بمدينة نيسابور كان له من العمر اربع واربعون سنة (٣) .

(١) البلدان : ٣٠٢ ، وفيات الاميان : ٣ : ٤٠

(٢) نوار القلوب : ٥٩٠

(٣) البلدان : ٣٠٢

٤ - ابو العباس محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر

(٢٤٨ هـ - ٢٥٩ هـ)

لما توفي طاهر بن عبد الله ، كان اصحاب المستعين ، من الاتراك ، قد أنسروهم ، ودبروا ان يخرجوا محمد بن عبد الله بن طاهر الى خراسان من العراق ، فقال المستعين لمحمد بن عبد الله ان ينفذ الى خراسان . قال له محمد ، ان اخي قد أوصى الي ابنه ، ولا آمن أن يكون في خروجي فساد البلد . فكتب المستعين الى محمد بسن طاهر بن عبد الله بولاية خراسان مكان ابيه (١) . وتوفي المستعين سنة ٢٥٢ هـ = ٨٦٦ م فجاء المهتدي وأقر محمدا مقامه وذلك سنة ٢٥٥ هـ = ٨٦٨ م ، وكذلك فعل المعتضد سنة ٢٥٢ هـ = ٨٦٠ م .

وكان يعقوب الصفاري من الذين يحاربون الشراة بادي أمره ، ثم قويت شكيمته وأخضع مدنا ووسط سلطانه فقرر القضاء على محمد بن طاهر (٢) . ومن الاسباب التي تذرع بها يعقوب للقدم الى نيسابور لجوء عبد الله السجزي الذي كان قد هرب منه ولجأ الى محمد بن طاهر ، فأرسل يعقوب يطلب الى محمد تسليمه ، فلم يفعل ، فسار يعقوب نحوه السى نيسابور (٣) . ولعل هناك عاملا آخر وهو ضعف محمد بن طاهر وخوفه من محاربة يعقوب ، وميل خاصته الى يعقوب ، وتهوين أمر يعقوب على محمد (٤) مع وجود بعض الاصحاب المخلصين الذين ظل بعضهم على ولائه له حتى بعد قدوم يعقوب (٥) ، وقد استغل يعقوب

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٩٤ ، وتاريخ سيستان : ٢٠٥

(٢) تاريخ سيستان ، ٢٢٥

(٣) الكامل في التاريخ ٥ : ٢٦٨

(٤) المصدر نفسه : ٣٦٩

(٥) تاريخ البيهقي : ٢٧٠ - ٢٧١

اضطراب الامور على الطاهريين يخرج الحسن بن زيد الطالباني بطبرستان (١) ، ومقتل مدد من العلويين الذين ثاروا في جهات مختلفة من خراسان ، مثل جعفر بن محمد بقرية من قرى الري ، ومحمد بن عبد الله بين السرى وقزوين (٢) .

ولما قبض يعقوب على محمد بن طاهر ، قيده وحمله واهل بيته ، وكانوا نحواً من مائة وستين رجلاً ، الى سجستان وسجنه في مسجد الجمعة (٣) هناك وذلك سنة ٢٥٩ هـ الموافق ٢٧٢ م ، فكانت ولاية محمد بن طاهر الثاني احدى عشرة سنة وشهرين ومثلاثة أيام (٤) . وظل سجيناً بسجستان الى أن قصد يعقوب فارس سنة ٢٦١ هـ فحمل محمد بن طاهر معه مفيداً (٥) وقصد بغناد ليحارب الخليفة سنة ٢٦٥ هـ = ٨٦٨ م فحمله كذلك (٦) ، كأنه يريد الناس ليعتبروا بمحمد ، ولما حارب الخليفة وانهمز يعقوب ومن معه وقتل منهم خلق كثير ، أطلق محمد بن طاهر من حديدته وخلع عليه وأنزل داره ، محمد بن عبد الله المتوفي ، وردت اليه عمله بخراسان وأطلق له خمسمائة ألف درهم (٨) .

(١) البلدان لليعقوبي : ٣٠٨ والكامل ٢١٧ : ٥

(٢) مقاتل الطالبين : ٦٧١ - ٦٧٩

(٣) الكامل في التاريخ ٣٦٨ : ٥ وتاريخ سيستان : ٢٢١

(٤) المصدر نفسه .

(٥) الكامل في التاريخ ٣٦٩ : ٥

(٦) تاريخ سيستان : ٢١٦

(٧) شذرات الذهب ٢ : ٢٣١ والديارات : ٨٣ وكلاهما بشي من الاختلاف في التاريخ .

(٨) الديارات : ٨٤

ومع أن الخليفة أطلقه ورد إليه معه بخراسان كوال عليها لم يتوجه إليها لأن شخصيته كانت قد تحطمت وخسر وجهته بعد القبض عليه يطوف البلاد مع يعقوب أسيرا مقيدا (١) . بل ظل بدار السلام ولم يزل مقيما بها حتى مات . وولاه الخليفة شرطة بغداد ، فكان ينوبه الحسين بن اسماعيل بن ابراهيم المصعبي (٢) ، فكان بذلك يحتفظ - اسما - اماره خراسان (٣) وشرطة بغداد الى أن مات بها (٤) سنة ٢٩٢ هـ = ٨٧٢ م ، ودفن بجوار عمه محمد بن عبد الله بن طاهر (٥) ، وقد قتل على يديه احمد بن الخصب الذي كان كاتباً لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر وذلك سنة ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م (٦) ، وبذلك زالت دولة الطاهريين بخراسان التي حافظت على ولائها التام للدولة العباسية ، ولم يعد محمد بن طاهر لاسترداد ملكه الا انهم احتفظوا بمنصب صاحب الشرطة الذي كان متداولاً بين ابناء ابراهيم المصعبي وطاهر بن الحسين حتى انتهت ذلك أيضاً بموت عبید الله بن عبد الله وذلك سنة ٣٠٠ هـ = ٩١٢ م ، فطويت بذلك صفحات تاريخ هذه الاسرة التي عاشت قرابة قرن واحد ، وانتهى بذلك حكمهم نهائياً .

-
- (١) المنتظم ٩٦:٦
(٢) المنتظم القسم الثاني من ٨١:٥
(٣) نفس المصدر والنجم الزاهرة ٦٥:٣
(٤) المنتظم ٩٦:٦ وشرذات الذهب ٢٣١:٢ وتاريخ بغداد ٣٧٧:٥ والنجم الزاهرة ١٧٢:٣
(٥) تاريخ بغداد ٣٧٧:٥
(٦) الفهرست ١٢٤

الفصل الثالث

نظرة في الدولة الطاهرية

الفصل الثالث

نظرة في الدولة الطاهرية

تولى خراسان من الطاهريين خمسة ولاء ، فكان يتتابع افراد من اسرة واحدة على حكمها مع استقلالهم النسبي في تصريف أمورها ، هو الذي يجعلنا نعد الطاهريين " دولة " هذا على ولاء افرادها جميعا للخلافة العباسية ، وقد مربنا كيف استغل هؤلاء الولاة في التصرف بأمور خراجها ، وكان يبلغ في مجموعه اربعين مليون درهم ، بل كانت الدولة ترضى منها بالهدوء دون أى شيء آخر ، بل هي تزودها بمبلغ من المال يبلغ احيانا ثلاثة عشر مليون درهم سوى الهدايا ، وتؤيد قوة الوالي فيها احيانا بجيش من مندها . ولكن قوة آل طاهر في خراسان كانت ايضا مستمدة من قوة الخليفة في بغداد ، لهذا كان الطاهريون في ابان حكمهم قادرين على تعقيب الشراة والخارجيين على الدولة ، ولكن ظهور الصفاريين كقوة جديدة تتحدى الخلافة العباسية نفسها أثبتت ان الطاهريين لم يكونوا من القوة بحيث تقوى في مواجهة الصفاريين دون عون الخلافة .

ولو حاولنا ان نتلمس الاسباب التي أدت الى زوال الدولة الطاهرية لوجدنا هذا السبب في طبيعتها . فالدولة الطاهرية لا تستمد القوة من ذات وجودها في خراسان ، بل تستمد قوتها من سند الخلافة العباسية لها ، فاذا ضعف السند امام تآثر قوى ضعفت الدولة التي تعتمد على عونه ، ولكن يضاف الى ذلك ان الطاهريين أفنوا كثيرا من قوتهم في تعقيب الشراة والخارجيين ضد الدولة ، لا في ولايتهم وحسب بل الولايات المجاورة التي كان يندبهم الخليفة لتمهيد الثورات فيها ، وربما قد رنا ان هذه الثورات قد كانت امتحانا

- مسيرا للجيش المستأجر ، وان هذا الجيش لم يكن يحمل من الاخلاص في نفوس افراده مما يشجعه على اخماد تلك الثورات هائلا .

أضف الى ذلك ان كثيرا من الخارجيين على الدولة العباسية في الولايات الشرقية كانوا من العلويين ، ففي ايام عبد الله بن طاهر خرج محمد بن القاسم العلوي بالطالقان يدومو للرضا من آل محمد فندبه الخليفة المعتصم لمحاربتة ، حتى قبض عليه (١) ، ثم خرج في ايام عبد الله ايضا يحيى بن مر العلوي فقبض عليه عبد الله بن طاهر وسلمه الى عمر بن الفرج الرخجي فضربه ثمانى عشرة مفرقة وجبسه بالمطبق ، ثم أطلق سراحه فعاد الى دموتة فقبض عليه احد الظاهريين وقتله (٢) ، ويحيى بن مر هذا هو الذى رثاه ابن الرومي بجيمته المشهورة .

وفي أيام طاهر بن عبد الله خرج علوى آخر هو ابراهيم بن محمد فقتل (٣) ، وثار جعفر بن محمد العلوى بالرى فقتله والى طاهر هناك (٤) ، كما قتل يحيى بن عيسى بقرية من قرى الرى ، الى غير ذلك من احداث كلها تشير الى ايقاعهم بالعلويين ممن خرج على الخلافة العباسية . وهذا نفسه قد باعد الشقة بين آل طاهر الحكام وبين الناس المحكومين ، اذ لا ريب في ان هناك جهات كثيرة في الولايات الشرقية كان أهلها ملسو الهوى وكان يسوهم ان يتصيد الظاهريون آل علي دون رافة بحجة اخلاصهم للدولة . فقد ترضى الدولة عنهم ولكن فئة غير قليلة من الشعب المحكوم اصبحت تمنى زوالهم ، وسببت

(١) مقاتل الطالبين : ٥٧٧

(٢) المصدر نفسه : ٦٣٩ - ٦٦٤

(٣) المصدر نفسه : ٦٧١

(٤) المصدر نفسه

الحكايات الشعبية من مثل هذا الشعور ، ان يروى لنا صاحب تاريخ سيستان ان يعقوب بن الليث الصفارى حين تخلص من قتل زنبيل في بستان خرج الى بعض اطرافها فدخل عمارة لصالح بن النضر قد أخذت تميل الى الخراب ، فقرأ كاتبه على بعض جدران القصر بيتين ترجمها لليث الى الفارسية ، وهي :

صاح الزمان بآل برمك صبيحة خروا لصيحتها على الانقان
وبآل طاهر سوف يسمع صبيحة فضبا يحل بهم من الرحمن

فقال يعقوب : لقد أخرجنا الله تعالى الى دار خربة ليطلعنا على مظالم آل طاهر ،
يسلطنا عليهم فنكفي المسلمين شرهم (١) .

وهنا يحسن بنا ان نتناول قضية مذهب الطاهريين ، فقد ذكر المرحوم السيد محسن الامين " ان طاهر بن الحسين وذريته كلهم شيعة ، نص عليه ابن الاثير في كتابه الكامل في حوادث سنة ٢٥٠ هـ (٢) ، ولما رجعت الى ابن الاثير وجدته يقول : " والطاهرية كلها كانت تشيع " (٣) فما هو الصحيح في هذا الصدد ، وأين هذا التشيع من تعقبهم للعلويين والقضاء عليهم خدمة للدولة العباسية ؟

هنا نعود الى محاولة المأمون ان يعهد بالخلافة من بعده لعلي بن موسى الرضا (عليه السلام) ، ان يورد البيهقي رواية تدل على ان هذه البيعة لم تتم الا بعد استشارة طاهر بن الحسين ، بل ان طاهرا كان هو الرسول الذي قال لعلي بن موسى : " اني أول

(١) تاريخ سيستان : ٢٠٢

(٢) ايمان الشيعة ٣٦ : ٣٢٤

(٣) الكامل في التاريخ (حوادث سنة ٢٥٠ هـ)

من يبايعك بأمر من مولاى أمير المؤمنين وإذا بايعك هذه البيعة يبايع معي ١٤٢ ألف فارس ورجال يأترون بأمرى ، فمد الرضا عليه السلام يده اليمنى ليتقبل البيعة كالمعتاد فمد اليه طاهر يده اليسرى ، فسأله الرضا : ما هذا ؟ فأجاب : ان يئامى مشغولة ببيعة مولاى أمير المؤمنين ويسراى فارغة ولذلك قدمتها اليك ، فأعجب الرضا بهذا الجواب وتقبل منه البيعة .^(١)

وفي كتاب "نسمة السحر" انه لما خرج ابو السرايا العلوى أراد الحسن بن سهل ايفاد طاهر بن الحسين لمحاربتة فجاءته رسالة تذكره بتشيع طاهر وفيها :

أتبعث طاهرا لقتال قوم

بخبهم وطاعتهم يدين

فبعث بدلا منه هرثمة بن أمية .^(٢)

كذلك نجد اسحاق بن ابراهيم المصعبى (وهو قريب آل طاهر) ينهى يحيى بن

هرثمة عن ايداء علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا ويقول له : "يا يحيى ان هذا الرجل

قد ولده رسول الله (ص) والمتوكل من تعلم ، وان حرضته على قتله كان رسول الله خصمك^(٣) .

كذلك كان علي بن الجهم مولعا بهجاء آل طاهر ، وكان ينسبهم في هجائه الى

الرفق^(٤) . ويذكر ابن خلكان ان طاهر بن الحسين كان من الشيعة ومن محبي آل البيت^(٥) .

فما هو وجه الحق في جميع ذلك ؟

(١) تاريخ البيهقي : ١٤٨ - ١٤٩

(٢) مقاتل الطالبين : ٥٣٥

(٣) مروج الذهب : ٤ : ١٢١

(٤) طبقات ابن المعتز : ٣٢٠

(٥) وفيات الاميان : ٢ : ٢٠٣

لا ريب في ان سرور طاهر بن الحسين ببيعة الرضا انما كانت صدى لارادة الخليفة نفسه ، والرواية واضحة حين تقول على لسان طاهر : " ان يمتلأ مشغولة ببيعة مولاى أمير المؤمنين " - ومعنى ذلك ان اخلاص طاهر في الدرجة الاولى هو للمأمون لا لعلي بن موسى الرضا عليه السلام . كذلك لا نستطيع ان نقول ان محاولة طاهر الاستقلال بخراسان كان من اسبابها غضبه لنقض بيعة الرضا ، لأن اسبابها لدينا واضحة معروفة . واذنا فرضنا ان طاهرا كان يخفي في نفسه بعض الميل للعلويين فان ظروف الحياة العسكرية والسياسية معا اضطرته لمداواة هذا الشعور وعدم اظهاره وان كل ما غلب على تصرفاته هو الولاء التام للخلافة العباسية . اما خلفاؤه فليس لنا ان نفترض انهم ورنوا شيئا من الميل للعلويين فقد كانوا مثل طاهر لا يقدمون على ارادة الخليفة شيئا ولو كانوا يؤمرون بقتل أى علوى . هذا وان اعتماد الخليفة عليهم في مطاردة العلويين يدل على ثقته بأنهم وقفوا جهدهم على خدمته دون سواء ، وان تكييلهم بالعلويين ليدل على أنهم لم يكونوا على شيء مسن الميل الشيعي لآل البيت ، ومن المستبعد ان نفترض بأنهم كانوا يتصرفون في الظاهر بوحى المصلحة ويضمرون عقيدة توالي آل علي عليه السلام . وهذا يفسر لم وجد الطاهر - من أنفسهم من بعد في خراسان وليس هناك مطف كبير على دولتهم ، بل استطاع الصافارى ان يستولي على خراسان من يدهم بسهولة . وقد يضاف الى ذلك ان آخر الطاهريين لم يكن من حيث الحزم والسياسة والقدرة على ضبط الامور بمستوى الامراء الذين سبقوه فلم يستطع مقاومة الصافريين ، وزاد من حرج الموقف ان جهوده كانت موزعة ضد عناصر مختلفة من الخارجيين على الدولة العباسية . اما الظلم الذى وجه الى الطاهريين فانه قد يعبر عن مشاعر علوية كانت تقاومهم في الخفاء ، كما يعبر عن ضغط أحسن الشعب لأن حروب الطاهريين كانت تكلف نفقات كثيرة ، وكثرة النفقات تؤدى الى وضع الضرائب الباهظة ، وهذا بدوره من أكبر الاسباب التي تثير تذمر الناس .

وقد نتصور ان دولة ابناؤها من الفرس ، وأقامت في بيئة فارسية ، قد أخذت
بالتقاليد الفارسية في الحكم وشؤون الإدارة والايمن وما الى ذلك ، ولكن المصادر لا توضح
لنا شيئا كثيرا من هذه الناحية ، ثم ان الاخذ بالتقاليد الفارسية في عهد قيام الدولة
الظاهرية لم يعد قاصرا على المناطق الفارسية وحدها بل كانت قد اصطبغت به الدولة
وأنظمتها كما اصطبغت به الاجناس المختلفة في شتى انحاء الدولة (وخاصة في العراق
والولايات الشرقية) فليس من السهل هنا أن نميز ما انفرد به آل طاهر في هذا الصدد .
الا ان الجاحظ يؤكد لنا ان آل طاهر قد ترسموا التقاليد الفارسية ترسما دقيقا وذلك
حيث يقول : " ولا نعلم احدا اقتفى آثارهم (الفرس) الا عبد الله بن طاهر " (١) .
والجاحظ يشير الى المهرجان والنبروز والى الهدايا وما يلبسه الاكاسرة في مثل هذين
اليومين والى ما يفرقونه على الناس ، ويقول : ان عبد الله بن طاهر كان يفعل ذلك فسي
النبروز والمهرجان " حتى لا يترك في خزائنه ثوبا واحدا الا كساء ، وهذا من أحسن ما
حكى لنا من فضائله " (٢) . ولنا ان نعد كثيرا من الشؤون الحضارية التي أخذ بها
الطاهريون أنفسهم مستمدة من الفرس ، فكان طاهر بن الحسين يهوى اللعب بالصوالجة (٣)
— وهي لعبة مرفها القدماء ، وكان عبد الله بن طاهر يحب اللعب بالشطرنج (٤) . وعلى
مثل هذا كان ابنه عبید الله ، وكان ذات مرة يلعب الشطرنج على رهن مقداره خمسون رطلا
من الثلج ، فغلب عبید الله فطلب الى أبي العينا ان يذهب ليحضر الثلج ، فعضى أبو
العينا مشيرا الى ابن ثوابه وقال له : ان الامير عبید الله يدعوك ، فلما دخل ابن ثوابه
على الامير قال ابو العينا مشيرا الى ابن ثوابه " قد جئتك بجبل همدان وما سبـذان

(١) و (٢) التاج في اخلاق الملوك ١٥٠ :

(٣) تاريخ بغداد ١٩ : ٣٥٤

(٤) الافاني (ط . دار الكتب) ٥ : ٣٥٣

ثلجاً فخذ منه ما شئت * (١) . وشهر من طلحة بن طاهر غرامه بالصيد بواسطة الجوارح (٢) .

ونقد ران الخراج الكبير الذي كانت تقدمه ولاية خراسان قد مكن الطاهريين - بعد الاتفاق على الجيش وشؤون الإدارة - من الاهتمام بالمنشآت العامة والخاصة ، وقد أشرنا الى شيء من هذه المنشآت فيما سبق ، وهنا نتوسع بعض الشيء في الحديث عنها .

فقد كانت للطاهريين خزانة للكتب ماهرة تجمع عدداً كبيراً من الكتب النفيسة النادرة ، وتعد الوحيدة من نوعها (٣) ، وقد تكون هذه المكتبة تأسست قبل عهد عبد الله بن طاهر ، ولكنه يعزى اليه الفضل في أنه جعلها ماهرة جلييلة (٤) ، وكانت هذه الخزانة تحتوى على نسخة من كتاب العين (٥) .

وقد بلغت حركة الطاهريين في الناحية العمرانية أوجها في أيام عبد الله بن طاهر اذا استتب فيه الأمن ، وانضبطت الأحوال ، وكان عهد أبيه وأخيه طلحة تمهيداً لعهد ، وكان عبد الله نفسه ذا شغف خاص بالعمارة ، لا اثناء ولايته على خراسان وحسب ، بل اثناء أعماله الأخرى في خدمة الخلافة . فانه لما فتح كيسيم ، مدينة نصر بن شيث ، أحدث فيها المياه والبساتين ورسم ما هدم منها وجدّد عمرانها وأحدث القنوات فيها (سنة ٢٠٩ هـ - ٢١٠ هـ) (٦) ، وفي مصر قام باصلاحات كثيرة ، فزاد في جامع القسطنطين مساحة تعادل مثله (٧) .

(١) معجم الادباء (ط . ٠ مرجليوث) ٦٤ : ٢

(٢) كتاب بغداد : ٩٣

(٣) الفهرست : ٤٢

(٤) الاقاني ٦ : ١٢٥ - ١٢٦

(٥) الفهرست : ٤٢

(٦) معجم البلدان مادة كيسيم

(٧) الانتصار لابن دقماق ٤ : ٥٩ - ٦٠

وكان عبد الله بن طاهر يجلب النباتات التي لا توجد في منطقة وياهر بغرسها واستصلاح الاراضي ، فهو الذي أدخل زراعة البطيخ الى مصر حتى صار ينسب اليه ويعرف بالعبدلي (١) ، ولما ولي الاقسام الشرقية ، أي الجبال وآذربيجان اتخذ الدينوري مقرا له وبني فيها قصرا ظل يعرف باسمه الى ايام ابي حنيفة الدينوري الذي رآه ووصفه (٢) ، وفي خراسان - ايام ولايته عليها - تابع هذا النشاط العمراني ، فأنشأ رباطا بموقع فسراوة في طريق خوارزم ليقم فيها المرابطون لحماية البلاد من الاتراك ، وأقام في ذلك الرباط ألف رجل ، ثم توسع هذا الرباط حتى أصبح مدينة (٣) ، كذلك فانه بنى رباط كوفن على ستة فراسخ من ابيورد ، وكان لهذا الرباط جامع في وسطه ، وهو مزود بأربعة ابواب (٤) ، وقد أشرنا فيما تقدم الى قصوره بالشاذياخ وقصور بعيان وهي التي ذكرها شاعره موف بن محم الخزامي كما تقدم (٥) ، ولطاهر بن علي بن طاهر رباط سمي باسمه تحول من بعد فأصبح مدينة فريزر المشهورة بأعقابها (٦) ، أما أثر الطاهريين ببغداد والعراق فانها ايضا كثيرة ، ولكنها خارجة من نطاق هذا البحث (٧) .

واما مناية الطاهريين باللغة والشعر والادب والغناء وسائر العلوم ، فسوف يتناولها

الحديث في فصل آخر .

-
- (١) تاريخ بدائع الزهور لابن اياس ١ : ٣٣ ووفيات الاعيان ٢ : ٢٧٤
 - (٢) الاخبار الطوال ٤٠٢
 - (٣) معجم البلدان مادة فراوة
 - (٤) معجم البلدان مادة كوفن
 - (٥) فوات الوفيات للصفدي ٢ : ١٤٨ ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٤ ومعجم الادباء ٢ : ١٨
 - (٦) بلدان الخلافة الشرقية ٤٨٦
 - (٧) معجم البلدان مادة سامرا والسباب لابن الاثير مادة الطاهري .

الكتاب الثاني

دور الطاهرين في الحياة الادبية

تمهيد في العوامل المساعدة في نشأة الطاهريين وثقافتهم

١- البيئية :

لم يمر على الفتح الاسلامي لايران أكثر من سنتين الا وكانت لغة الاسلام هي الوسيلة الوحيدة لنشر الآراء والانكار والعقائد والحركة الفكرية (١) ، اللهم الا عند من تمسكوا بالعبادة الزردشتية ولم يدينوا بالدين الجديد وهم قلائل . ودخل الفرس في دين الله أفواجا وتعلموا القرآن وما يتصل به من احكام . وكانت خراسان من المراكز المهمة فيقال انه خرج زردشت من الشرق ، وكان الاشكانيون من اقسام ايران الشمالية ومنها شمالي خراسان . ولما أسلم أهلها بدأوا يقطفون ثمار العلم والادب في لغة الاسلام ، وبرز من خراسان جمع كثير من العلماء والفقهاء والادباء وخدموا التراثين العربي والفارسي ، ولعبوا في الحقل السياسي والعسكرية وفي غيرها ، ولهذا فاننا نرى خراسان هي الاولى التي رفعت راية الاستقلال بعد الفتح الاسلامي ونجحت في ذلك فمنها كان الطاهريون ، والصفاريون والسامانيون وفيها تأسست الدولة الغزنوية والسلجوقية والخوارزمية ومنها خرج كثير من رجال الفكر والادب ومفاخر ايران في الميدان الثقافي لا مجال لذكرهم في هذا الوجيز . والسبب في ذلك هو ان خراسان - كما قلنا - كانت وريثة حضارة عريقة راقية فاحتفظت بما كان لها وازدادت الى ما لديها . فلقد كانت بمكتبة رأس الجسر ببخارا كتب جمعة قيمة وبينها ديوان شعر باللغة العربية للملك الساماني بهرام كور (٢) الذي نشأ في الحيرة عند المناذرة وبذلك عاش شعر العرب واتصل بشعراء العصر الجاهلي الذين كانوا يفدون الى بلاط النعمان والمنذر ،

(١) التاريخ الادبي لايران - ادوارد براون ١٢١

(٢) لباب الاباب - عوفي ١١١ - ٢١

ورأى هذا الديوان نور الدين محمد بن محمد موفي البخاري صاحب لباب الالباب ونقل لنا من شعر بهرام أبياتا اربعة في كتابه ، مما يدل على ان خراسان كانت مهد خزائن الكتب قد يمتلئها ، ولم تكن بخارا وحدها صاحبة المكتبات وراميتها ، فقد كانت - وهي من بلاد الله الواسعة بهذا - تضم مكتبات نفيسة وبها من الكتب المتقدمة والمتأخرة ، اذ كانت تحتوي على كتب الفرس الاوائل وما قبل الاسلام - ومنها ما تركها يزدجرد قائمة الى ذلك اليوم - (١) ثم الكتب الاسلامية . اذ كانت مدن ايران ولا سيما خراسان منها تترخر بالمكتبات ، فوجد ياقوت قد أخذ اكثر ما أراد في تأليف معاجمه للادباء والبلدان كان من خزائن مسرو ، وحينما فارقتها كانت تضم مئزر خزائن لم ير مثلها في الدنيا كسرة وجودة . ففي مكتبة العزيزية اثني مئزر ألف مجلد تقريبا ، وخزانة الكمالية ، وخزانة شرف الملك المستوفي ابي سعيد محمد بن منصور في مدرسته ، وخزانة نظام الملك الحسن بن اسحاق في مدرسته ، وخزانتان للسمعانيين ، وخزانة في مدرسة العميدية ، وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين ، والخزائن الخاتونية في مدرستها والضميرية في خانكساء هناك . وكانت الكتب بهذه المكتبات سهلة التداول ، فقد ذكر ياقوت انه كان لا يفارق منزله منها مئة مجلد وأكثر بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار فكان يرتع فيها ويقتبس من فوائدها بحيث انساء حبها كل بلد وألهاء من الاهل والولد (٢) هذا وان كان يشير الى عصر متأخر من عصر الطاهريين فانه قد يستأنس به للدلالة على هذه البيئـة العلمية التي كانت عليها حال خراسان فامة مسرو خاصة ، ولا شك ان نيسابور كانت تفوق اخواتها من هذه الناحية والنواحي الاخرى فليست هي بالقصبة النائية البعيدة المنزوية ، بل تقع في القلب والمركز فهي كملتقى للقوافل من جهة موقعها ، وهي كمصيف من حيث الجمال

(١) كتاب بغداد ٨٢

(٢) معجم البلدان مادة مسرو .

الطبيعي والطقس حيث قورن صباحها بمساء بغداد ولطافة لياليها ، فقال الشاعر الفارسي ،
" على الصباح نشا بور وخفتن بغداد " ، كما لها موقع استراتيجي ايضا ، ثم اتخذ
الظاهرين نيسابور عاصمة لهم كان من أهم العوامل في توسيع هذه المدينة التي احتضنت
العلماء في كل فن ، وتأسست بها مدارس ومكتبات وكل معاهد التعليم ، وكان من اساتذة
مدرستها فيما بعد الامام الغزالي الذي استقدمه فخر الملك بن نظام الملك الى نيسابور
للتدريس بمدرسته (١) . كما انشأ الظاهريون انفسهم مكتبة عظيمة بخراسان (٢) أشرنا
اليها من قبل .

وكان من اهل خوارزم علماء فقهاء واذكيا ، كما خرج من طوس ما لا يسع مقالنا
ذكرهم ، ومن بلخ وسمرقند وهراة . اما السرى فانها من امهات المدن وواسطة
مقدها (٣) وقد ذكرنا هذه المدن لأنها كانت تحت نفوذ الظاهريين منذ نشأة دولتهم
وضمن رفعتهم وداخل حدود ولايتهم للدلالة على ان الظاهريين نشأوا في مراكز العلم
وكانت تتوفر لديهم منابع الثقافة بأنواعها . ولذلك كان لهم النصيب الأوفر في التسليح
بسلح العلم والادب ومسايرة الركب التقدمي في العصر الذهبي يومذاك . اما من نشأ
منهم في بغداد فتلك هي العاصمة العباسية وقبلة العلماء والقصاد ومجمع طلبة العلم
واساتذته .

٢- الاسرة الطاهرية ومكانتها :

لم تكن هذه الاسرة خائفة وضيعة ، فقد سبق أن قلنا انها تنسب الى رستم الدستان

(١) معجم الادباء (مادة طوس)

(٢) الفهرست ٤٢ :

(٣) معجم الادباء (مادة خوارزم ، سمرقند ، بلخ ، نيسابور والسرى) .

أوالى ملوك بني سامان . وكان زريق مولى طلحة الطلحات الجواد الاديب فجوده مضرب
الامثال وهو أحد اجواد العرب الثلاثة أو الخمسة . ولا نشك في أدبه لأن أباه كان كاتباً
على ديوان البصرة لعمر ومثمان ، فهو الوالي وابن الكاتب حريص على نشر ثقافة الاسلام
وتعليم القرآن في البلدان المفتوحة ، فمن هم أقرب اليه من أهله وحاشيته ومواليه ؟ فمعلم
زريق الاول - ان لم يكن قبله احد - في العربية كان سيده طلحة ، وانتشر المعلمون
والمقرئون في الامصار ، واتصل الفرس بالعرب وتأدب الناس بأدب القرآن وثقافة الاسلام
فضلا من الثقافة الفارسية ، ومع الزمن هجرت الفارسية عند البعض وفقدت قداستها عند
البعض الآخر من الذين أسلموا من الفرس ولم يقدروا لها النجاح آنئذ لتقف امام تيار العربية
- لغة الاسلام والدين الجديد - الجارف ، كما وجدنا الدواوين قد عربت من قبل صالح
بن عبد الرحمن المسجستاني مولى بني تميم مع رفضه مئة ألف درهم من الفرس للاستماع من
التعريب (١) . فكان حانز الدين قويا يريدون نشره ونشر لغته مهما كلف الامر لأن الفرس
متسكون بالدين بطبيعتهم وهذا ما أثبتته التاريخ (٢) عبر العصور . وعائلة بني طاهر
كغيرها من الأسر الفارسية هومت الى تعلم أدب القرآن ولغة الاسلام ولا سيما اتصالهم
بولاة الامور كان عاملا مساعدا في ذلك ولا سيما فان احاطتهم بالعربية وآدابها تعمود
عليهم بالنعم كالولاية والنيابة كما صار لهم . ولكي يثبتون ولائهم التام لأسيادهم فقد
أقدم بعضهم على اباداة ما تبقى من الكتب التي نجت من أيدي الحد ثان فوقت في أيدي
ابن طاهر ، عبد الله ، وآل مصعب الذين كانوا فرس يدي المأمون والخلفاء من بعده كما
مر بنا قول المأمون في عبد الله واسحاق بن ابراهيم ، وكانت خراسان ذلك اليوم تعرف
العربية جيدا (٣) .

(١) الفهرست ٢٤٢ :

(٢) تاريخ ايران للممشرق كريستن سن يبحث عن الدين في ايران .

(٣) جمهرة رسائل العرب ٣ : ٢٧٧ - ٢٩٢

٣- الاتصال بفحول الادب :

وأخذ أبناء طاهر العلم من أفواه الرجال وتدربوا على أيدي اساتذة بارزين لا يقلون أدبا وثقافة من اساتذة الخلفاء وأبناء الخلفاء ، وسألتهم عن ذكراخبار كل واحد من أبناء طاهر البارزين وأفادتهم من رجال العلم والادب في حضرهم وسفرهم ان كان كبيرا ما يرافقهم الشعراء والادباء في رحلاتهم سواء في الحرب أو في السلم . فلتقفوا الفصاحة طبعها وبياننا وجلسوا الى الرواة وسمعوا منهم فكان لكل ذلك أثر واضح في خلوص مباراتهم وانطباعهم على البلاغة وتدوهم للآثار الادبية تذوقا دقيقا ، وفهمهم للحياة الادبية فهما واسعا عميقا وحُبهم لهذه الحياة من الناحية العقلية والمعنوية ظاهر في وصاياهم وكتبهم ، ومن الناحية المادية في أشعارهم الغزلية والغناء وفي الجوارى أوضح ، ان تلقوا صور هذه الحياة عنده اساتذتهم ، والرواة والكتب ، والشعراء الذين يتصلون بهم ويمدحونهم أو يهجوهم احيانا والمجالس التي كانت تعقد عندهم أو عند اصحابهم واقربائهم أو مجالس الخلفاء . فأخذوا ورووا وكان يعجبهم ويلذهم حركات العقول ، ويصغون الى النوادر والطرائف وما دق ولطف من المحاورات . فاستطاعوا بذلك ان يداخلوا الشعراء والادباء ويستبطنوهم ، كما استطاعوا اولئك ايضا ان يظفروا بآل طاهر كبيرا الى حد بعيد وينيدوا منهم .

٤- الاندية الادبية :

اذن فانهم احتفظوا بصفاتهم العسكرية والادبية معا وظل لهم الحرص على تلقيسي الادب وفنون العلم والمشاركة في النشاط الادبي في تلك الفترة من الخلافة العباسية . ولا نشك ان دور هؤلاء كانت من الاندية الادبية الممتازة لما كان لها من المنزلة العالية . فقد كان السراة ببغداد يؤلفون طبقة كبيرة تستمتع بالجاه والترف المختلفة . ومن أسرار

السراة أسرة آل طاهر أو المصعبيين ، وآل هاشم والريعيين وغيرهم . فأسرة آل طاهر - والتي نحن بصدد ها - تعتبر من أول الاسر البغدادية التي كانت تعنى بمجالس الغناء وفن الموسيقى مناية ظاهرة ، كما يؤخذ من اخبار المغنين وخاصة اسحاق بن ابراهيم الموصلي الذي كان من أخصاصد قائمهم ومن أكثر الناس صلة بهم .

٥- الاهتمام بالمجالس الغنائية :

وكانوا يهتمون بمجالس الغناء واقتناء الجوارى المغنيات والمباهاة بهن ، وكانوا يعلمونهن الاصوات والالحن فيجدون في هذه المجالس اشباعا لحاجاتهم العقلية وتحقيقا لما تنوذب اليه نوازهم المستقرة في أفاقهم . كما كانوا يجدون فيها استجابة لروح المنافسة الاجتماعية الموجودة في ذلك المجتمع ، وسنوضح هذه النواحي بالتفصيل في الكلام من كل واحد منهم .

ولعل طاهرا وابناؤه واحفاده واخوانه ووالده وجده مصعب يؤلفون مدرسة أدبية اذا ما عرفنا أنهم كانوا كلهم ادباء ، واذن فنحن امام مدرسة في الادب بفنونهم المختلفة من كتابة ونثر وبحثان في طلحة ومصعب ابني زريق ، وهما كاتبان في الدعوة العباسية ، ثم شعر ونثر وخطابة وحكم وامثال وتواقيع ، في طاهر وعبد الله وعبيد الله ومحمد وغناء وموسيقى في عبد الله وعبيد الله ومحمد بن الحسن بن مصعب وغيرهم .

الفصل الاول

الادباء والشعراء من آل طاهر بن خراسان

١- طاهر بن الحسين ذو اليمينين

١- ظاهر بن الحسين - ذو اليمينين

١- نظرة في شخصيته :

كان ظاهر بن الحسين شجاعا ، أدبيا ، له شعور حاد واحساس مرهف ، وكان صبرا على الشدائد ، ومحملا لها ، لا يتحمل قول الزور ولكنه يتحمل الجوع والعطش كثيرا ويقنع ببسيط المأكل وما يسد جوفه ، يحسن القيادة والتعبئة وتوزيع الجيوش ، وكان بصيرا في الحرب ، دقيقا في رسم الخطط ، يفكر ثم يفعل ويسير على تصميم واضح فاذا دخل المعركة لا تهمة نفسه ولا يهتم شيء سوى بلوغ النهاية والمنال . وكان عاقلا مدبرا له بعد النظر في الامور ، سريع الانتقال في درك الاشياء ، ملما بمعالجة القضايا ، موصلا للأرحام ، حافظا للقرابة وحافظا للصداقة ، محتاطا في الامور ، ذكيا متيقظا ، له احاطة بالقضايا العسكرية في عصره وسوق الجيوش مهيبا يوقع الرعب في قلوب اعدائه ، لينا مع الاحبة ، ابيا لا يتحمل انانية غيره وقصد السوء والغدر والنكاية حساسا لا تقبل نفسه التوهين والهزاء حتى من علي بن عيسى بن ماهان والمأمون والامين ، فكيف من صفار الناس ؟ وكان عالي الهمة (١) .

هذه الصفات بمجتمعها في شخصية ظاهر بن الحسين هيأت له المقدرة - بمساعدة الظروف - حتى برع في قيادته وحروبه ، ونجح في تربية أولاده على فنون الحرب وفنون الادب وانما فقد حياته لابائه وأنفته ، ولمع اسمه على رأس قائمة آل ظاهر في كلا المظهرين السياسي والادبي وخلد اسمه في التاريخ .

٢- نشأته وثقافته :

ولد في بوشنج عام ١٥٨ هـ = ٧٧٤ م ونشأ بها وترعرع ولم يدخل بغداد الا بعد مقتل الامين (١) ، فانه وان لم يقض صباه وأول شبابه في بغداد ولكن العصر ذلك كان عصر القوة والرخاء والعلم والادب ومصر بني السعيا من الذهبي سواء في العاصمة أو في ما يتبعها من الولايات .

وليس بين أيدينا ما يشير الى طفولته ودور صباه وليس هناك من اخبار من حياته الاولى ما يعيننا على الاطلاع والاخبار من تلك المرحلة الخطيرة من مراحل تكوينه الفكري والنفسي . فلعلمه دخل احد الكتاتيب في بوشنج أو تعلم على احد من شيوخ البلدة وحضر حلقات المسجد ثم المجالس التي يشترك فيها والده مع الشخصيات الاسلامية من قادة وشيوخ ورجال خراسان ذلك اليوم وكانوا كلهم يعرفون العربية جيداً . وكان طاهر نفسه محدثاً ، فحدث من عبد الله بن المبارك ، ومن ممة علي بن مصعب وروى عنه ابنائهم .

عبد الله وطلحة (٢) .

ولكننا لا نعلم على التحقيق من كيفية تعلمه ولا اصل امه وتربيتها ، ولا معلميه في بلده ولا اترابه ولدائه في صباه ، ولا غير ذلك من العوامل التي لها الشأن الاكبر في تربية الملكات ، وتلقين الاخلاق والمعادن التي ينشأ عليها الفتي فتطبع حياته بطابع خاص ، نتعذر في عقود العمر الآخرة احوالها واستحالتها ، ومن المعقول ان يكون قانون الوراثة أورثته خصائص دم وحكمتها ، ونظامها وأدبها ، وضم اليها الثقافة العربية ، فجاءت

(١) تاريخ سيستان : ١٢٢ وكتاب الحيوان للجاحظ ٣ : ٣٢٧ والتاج في اخلاق الملوك : ٣١

(٢) تاريخ بغداد ٩ : ٣٥٣

منازعه خليطة نافعة ومداركة متينة رصينة .

وكان طاهر بن الحسين يحب مصاحبة اهل الادب والعلم ويأنس بهم فيجالسهم ويقربهم اليه فيتزود منهم في سفره وحضره (١) . ومن أحسن ما يروى في هذا هو انه لما نزل طاهر بمرو حين مضى الى خراسان ، طلب رجلا يحدثه ليلة ، فقبل له : ما ها هنا الا رجل مؤدب ، فأدخل عليه ابو مبيد القاسم بن سلام ، فوجده أعلم الناس بأيام العرب وبأيام الناس والنحو واللغة والفقه . فقال له طاهر : " من الظلم تركك انت بهذا البلد " . فدفع اليه ألف دينار وقال له : انا متوجه الى خراسان الى حرب ، وليس أحب استصحابك شفقة عليك ، فانفق هذا الى أن أعود اليك . ولما عاد حملته معه الى سمر من رأى ودخل بغداد (٢) .

وكان منهجه في تأديب ابنه لا يخطف من منهج يحيى بن خالد البرمكي الذي بعث الى الفضل يقول له : " عاود ما هو أزين بك ، فانه من عاد الى ما يزينه أو يشينه لم يعرفه اهل دهره الا به " ، وكان قد بلغ يحيى ان ابنه مشاغل بالصيد واللذات وهو والى خراسان ، فلما ورد الفضل كتاب والده لزم المسجد والجدة طيلة النهار (٣) . أما عبد الله بن طاهر بن الحسين فكان قد انصرف ليلة من دار العامون وقد غلب عليه النبيل فبات في القبة الطاهرية من دار طاهر بمدينة السلام ، وكان أبوه بخراسان ، فتعلق طرف من الخيش (٤) وقد يبس بالشمعة ، فاحترقت القبة واحتل عبد الله فأخرج منها . واتصل الخبر بطاهر ، فكتب الى عبد الله يعذله ويؤنبه ويقول : " لو ورد الخبر

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز : ١٨٦

(٢) تاريخ بغداد : ١٢ ، ٤٠٥

(٣) وفيات الاعيان : ١ ، ٤٠٦ وروج الذهب : ٢ ، ٢٨٢

(٤) نسج من الكتان .

بوفاتك كان أسهل علي من وروده بفضيحتك ، وان يبلغ بك النبذ مبلغا لا تحس معه باحترق موضع انت فيه " . وأمره بالتجهز والخروج اليه . فأقلق عبد الله ذلك وكتبه جميع الناس وختم الكتاب وجعله تحت صلاة وتبين الهم عليه . فسأله المؤمن من خبره فكتبه . ثم سأل من يخصه ، فأعلمه ان كتابا ورد عليه لا يعلم ما فيه . فأقسم عليه المؤمن في احضار الكتاب ، فأحضره . فكتب المؤمن الى طاهر كتابا ، فصنع طاهر من ابنه (١) . هكذا كان طاهر يريد ابناءه ليعيشوا ولا يريد اشتغالهم بالشرب واللذات . ولتفكير انساني كهذا يحق ان يبقى مخلدا في صفحات التاريخ ما دام التاريخ حيا . فضائل الانسان بمعالمه الانسانية . وبمطالعة نشره (رسائله وتوقيعاته وخطبه وأقواله) وشعره يتبين لنا فصاحة لسانه وبلاغة كلامه وأدبه الجم . ولقد عد البعض كتابه الرسالة أو الوصية الدينية والشرعية والسياسية في عداد المؤلفات والكتب .

٣- نشره :

ويشمل هذا رسائله وتوقيعاته . ولطاهر بن الحسين رسائل عدة ، منتشرة في كتب التاريخ كالطبرى والكامل في التاريخ وتاريخ ابن خلدون الكبير وكتب الادب وكذلك توقيعاته . جمع ابن عبد ربه بعض ما توصل اليه منها ، وأقوال وخطب وحكم في مواقفه الحربية وأيام ولايته وقضائه استطاع بعض المؤلفين القدماء أن يحفظوا لنا من ذلك ما أمكنهم . وكان من هؤلاء ابو حنيفة الدينوري وابو حيان التوحيدى وغيرهما (٢) . واستطاع الدكتور صفوت في جمع شتات هذه الرسائل والتوقيعات بنسبة كبيرة وحفظها بصورة مجمومة في كتابه النفيس " جمهرة رسائل العرب " فأورد لطاهر بن الحسين ست قطع جزلة قوية كما أورد لعبد الله

(١) الديارات : ٨٦

(٢) الكامل في التاريخ وتاريخ الطبرى (حوادث سنة ٢٠٦ هـ) والعبود يوان المبتدأ والخبر ١ : ٥٤٦ - ٥٩٩ ، كتاب بغداد : ٢٦ - ٣٤ ، اعلام النبلاء ١ : ١٩٥ . العقد الفريد ٤ : ٢٢١ ، الاخبار الطوال : ٣٩٧ - ٣٩٨ ، البصائر والذخائر : ٦٩

بن طاهر ومحمد بن عبد الله وطاهر بن عبد الله ومبيد الله بن عبد الله . اما ما أورده ابن عبد ربه في " كتاب التوقيعات والفصول " فهي جملة كبيرة رائعة من التوقيعات وفصول العتاب والشكر وحسن التواصل والبلاغة وغيرها . وما ذكره الجهمشيارى الذى يعنى فناية فائقة بالوزراء وكيف وصلوا الى مناصب الوزارة والاممال الجسم التي قاموا بها ، وما اشر عنهم من أدب رائع يستحق التبجيل والتسجيل فأورد تحفا فالية من الادب الرفيع . وسنعرض هذه النماذج الممتعة - كلها أو بعضها - القوة البيان ، الرصينة الاسلوب ، الحلوة العبارة وكلها من الجمان الرائع الغد الفريد .

ولم يبق من طاهر سوى ما ذكرناه ولم يذكر له كتاب سوى كتاب الوصية الدينية والسياسية والشرعية ولعله هو الرسالة بعث بها الى ابنه عبد الله حين ولّاه المأمون أمر محاربة نصر بن شيث بالشام - والذى سميناها بالدستور الطاهري - فلما رأى الناس هذا الكتاب تنازموه وكتبوه وشاع أمره وبلغ المأمون خبره فدعا به فقرأ عليه . فقال : ما أبقى أبو الطيب ، يعني طاهر بن الحسين شيئا من أمر الدنيا والدين والتدبير والرأى والسياسة واصلاح الملك والرمية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقوم الخلافة الا وقد أوصى به . وأمر المأمون فكتب به الى جميع العمال في النواحي (١) .

ولعل الكتاب كان كبيرا بحيث قدوة ضمن الكتب كما قدوا صاحبه من جملة المؤلفين لأن ما نقله لنا ابن الاثير في كامل تاريخه هو بعض الكتاب وانه ثبت منه أحسنه (٢) . واننا نورد من هذا الكتاب نتقا لبيان اسلوبه وفهم محتواه . فانه كتب الى ابنه وقد بدأ باسم الله تعالى وأمره بتقوى الله وحده لا شريك له . ثم يأمره بحفظ الرمية وذكر المعاد ، ويأمره

(١) ايضاح المكون من أسامي الكتب والفنون في الذيل على كشف الظنون ٢ : ٧١١ ،

وهدية العارفين ١ : ٤٢٩

(٢) جهمرة رسائل العرب (الجزئين الثالث والرابع) ، ومعجم المؤلفين ٥ : ط .

بالعدل بين الرمية ، ومواظبة الفرائض والواجب الديني ، والافتقار بالسلف الصالح بعد الاخذ بسنن الرسول ، وايتار الفقهاء وكتاب الله والحث عليه ، ثم يأمره بالاقتصاد في الامور لا الافراط ولا التفريط ، وان لا يتهم احدا قبل أن يكشف أمره " فان ايقاع التهم بالبدا " (وفي الطسبري بالبراء) والظنون السيئة بهم مأثم " . ثم يأمره بحسن الظن بالاصحاب . فان فيه " قوة وراحة " ، والرأفة بالرمية والنظر في حوائجهم واخلاص النية ويذكرهم بأنه " مسؤول عما صنع عند الله تعالى . ويأمره بالايفاء بالعهد ، وقبول الحسنة والاعراض عن ميوب الرمية وقبول الصدق ، واقصاء اهل النميمه ، ومواصلة الضعيف وصلة الرحم ، وايتار الوقار والحلم والحذر من الحدة والطيرة والغرور ، واصلاح امور الرمية ومعاشهم ، وعدم موالاة الفاسق وتحقير الانسان ورد السائل الفقير وخلف الوعد والاسراع الى سفك الدماء .

وخلاصة الكلام انه يحثه في هذه الوصية أو الرسالة بالعمل الصالح والحد من ما هو ذنب وقبيح . وفي آخرها ينصحه ثانية بالاعتصام بأمر الله تعالى . ثم يدعو له ويسأل الله ان يحسن مونه ورشده وتوفيقه وكلاهما ويختم رسالته .

والرسالة هذه وغيرها من رسالاته وتواقيعه في غاية البلاغة وجزالة الالفاظ مع سهولة العبارة وقد وبتهما لا يسأم قارئها ولا يمل من اطنابها لأن الاطناب في موضعه حسن / لا يجاز في مقام مستحسن .

وبقراءة رسالة طاهر هذه يتبين لنا مقدار ثقافة الرجل ومعرفته وقدرته على الكتابة واسلوبه النثري ومنزلته الادبية ونوع تفكيره ودرجة اخلاقه فان المرء مخبوء تحت لسانه . وهنا تبدو معارفه الاجتماعية وما له من أدب رفيع . وله غيرها رسائل عدة منها ما كتبه لابراهيم

بن المهدي عندما فتح بغداد (١) . وكتب اليه بعض عماله كتابا وفيه : " قد وجهت الى الامير ثوب ديباج أحمر أحمر أحمر . فكتب اليه طاهر : " قد قرأت كتابك فعلمت انك أحق أحق أحق ، فاقدم أقدم أقدم والسلام " (٢) . وكتابه الى المأمون بعد قتله علي بن عيسى (٣) ، وكتابه بعد خروجه الى خراسان الى ابنه عبد الله ، وكان ببغداد ، حين غلب عليه النبذ في مجلس المأمون (٤) ، وكتابه الى أبي عيسى بن الرشيد (٥) ، وكتابه الى المأمون حينما حمل الى سرور رأس الامين (٦) ، وكتابه الى يحيى بن حماد (٧) ومعه لابنه الذي أسلفناه وفصلنا الكلام فيه ودرسنا بعضه وذكرنا مصادره المختلفة ، وله كلام في تعبئة جيشه بالسرى ذكره الدينوري ، ابو حنيفة ، (٨) وآخر له في حربه مع ابن ماهان ايضا (٩) .

٤- أسلوبه في نشره :

جاء طاهر بعد أن كان ابن المقفع وسهل بن هرون والجاحظ قد اوضحوا مذهبهم الادبي فأخذ من كل شيء أحسنه ، فنرى فيما بلغنا من نشره الوضوح في انشاء والركة في لفظه ، والترتيب من حيث المعنى ، واسلوبه أشبه باسلوب بين ابن المقفع وسهل بن هارون ، فباستقامتنا المقارنة بين اسلوب طاهر وسهل بن هارون وابن المقفع ، وحتى الجاحظ لأنه

-
- (١) العقد الفريد ٤ : ٢٤١ وجمهرة رسائل العرب ٣ : ٣٢٢
 - (٢) غرر الخصال الواضحة : ١٧٥ وجمهرة رسائل العرب ٣ : ٤٩٧
 - (٣) الوزراء والكتاب : ٢٠٥ تاريخ الطبري (حوادث سنة ١٩٥ هـ) وكذلك في الكامل وروج الذهب الفخري لابن الطقطي : ٢٩٥ ، المثل السائر : ٣٢٩ ، وجمهرة رسائل العرب ٣ : ٣٦٥
 - (٤) الديارات : ٨٦
 - (٥) جمهرة رسائل العرب ٣ : ٣٧١ من أدب الكتاب : ١٥١
 - (٦) جمهرة رسائل العرب ٣ : ٣٦٦ من تاريخ الطبري (حوادث سنة ١٩٨ هـ)
 - (٧) جمهرة رسائل العرب ٣ : ٤٨١ من كتاب بغداد : ٧١ - ٧٢ وعن اختيار المنظوم والمنثور : ١ : ٣٦٣
 - (٨) الاخبار الطوال : ٣٩٧ - ٣٩٨
 - (٩) الديارات : ٩٢

متأثر به في قليل أو كثير ، وكانت أذوارهم متلاحقة متلاصقة . ولعله قد تأثر بالجاحظ من ناحية استعمال الجمل المقتضبة الوجيزة المتوازنة بعضها مع بعض ، والتي لم يلتفت فيها كثيرا الى السجع . ويظهر ان طاهرا يمتاز برقة العبارة وسلاستها . وكان يرغب في اللفظ السهل ويرغب عن التكلف ، فاسلوبه الكتابي يشمل الايجاز في الكلام ، والسلامة من الفضول ، والبراءة من التعقيد ، والبعد عن التكلف ، والسهولة في الالفاظ ، واتزان العبارة وحسن السبك وعدم استعمال الغريب من المفردات . وهو في نشره - كما سنراه في شعره - رقيق اللفظ جزله ، واضح التعبير ، ساطع الفهم .

فأما من حيث المعنى فقد مر بنا من كتابه لابنه ووصف المأمون لهذا الكتاب بأنه يجمع السياسة والاخلاق وحسن المعاشرة وغير ذلك حتى عد الكتاب " كتاب الوصية الدينية والسياسية والشرعية وعرف بهذا الاسم . وكان خبيرا بما يريد كتابته فقد قال لكتابه - وهو يحارب الامين - " اكتبوا الى عيسى بن الرشيد كتابا ، تنقرون به اليه وتتباعدون ولا تطمعوه ولا تؤيسوه " (١) . وقال المأمون لطاهر بن الحسين يوما : " وصف لي ابنك عبد الله قال : يا أمير المؤمنين ، ان مدحته مبهته ، وان ذمته اغتبتة ، ولكنه قدح في كف منقف ليوم نضال في خدمة أمير المؤمنين " (٢) . فأعجب المأمون كلامه .

٥- نموذج من توقيعات طاهر بن الحسين (٣) :

ولقد احتفظت المصادر التاريخية والادبية جملة من توقيعات طاهر نوردنا هنا وهي : من طريف ما يروى انه كتب رجل الى طاهر بن الحسين رقة يسأله فيها صلة . فوقع طاهر

(١) جوهرة رسائل العرب ٣ : ٣٧٢ نقلا من أدب الكتاب : ١٥١

(٢) العقد الفريد ٢ : ١٣٠

(٣) العقد الفريد ٤ : ٢٢١ وجوهرة رسائل العرب ٤ : ٤٥٢ - ٤٥٣ ، وكتاب بغداد :

٧٠ - ٧٢ ، ومعجم الادباء ١ : ٢٤١ ، خاص الخاص : ٨٩

عليها ما مثاله : " ما شا' الله كان " فوقع الرجل في أسفلها : ان الله يشاء المعروف . فلما قرأها طاهر وجدها نعم الكلام فوصله (١) . ووقع في رقعة متصحج : سننظر أصدق أم كنت من الكاذبين . وفي رقعة مستبطن : اياه في الجواب : ترك الجواب جواب .

ورفع اليه مستمنح كذب في عدد ماله وكان طاهر يعرفهم فوقع : لا جواب لكذاب . ثم عاد وصدق في عددهم ، فوقع طاهر : الآن جئت بالحق . وأمر له بصلة . ووقع في كتاب رجل تظلم من انصار نصر بن شيث واصحابه فوقع طاهر : طلبت الحق في دار الباطل .

ووقع في قصة فهرمان له سوء معاملة : اسمح يسمح لك . ووقع في قصة رجل طلب قبالة بعض اعماله : القبالة مفتاح الفساد ولو كانت صلاحا ما كنت لها موعدا .

ووقع الى سندی بن شاهك ، وجاء منه كتاب يسأله الآمان : مش ما لم أرك . ووقع في قصة رجل شكى ان بعض قواده نزل في دار له وفيها حرمه : اذا رأيتني ناحية دارك فقد حل لك قتله .

ووقع في قصة رجل ان أخاه قتل في طاعة المأمون : سألك طاعة الله ، والله ولي جزاءه . ووقع في قصة رجل ذكر انه قتل في يوم واحد عشرة من اصحاب المخلوع : لو كنت كما وصفت ، لم يخفى علينا ما ذكرت .

ووقع في قصة رجل ذكر ان منزله أحرق بالنار : اخطأك من قصدك . ووقع في قصة قوم شغبوا على عاملهم : الشغب للفرقة سبب ، فلتجح اسماؤهم ، وتحسن آدابهم ، ويقطع بالنفي آثارهم .

- روقع في قصة مجبوس : يخرج ولا يحوج .
- روقع في قصة مجبوس آخر : يطلق ويعتق .
- روقع في قصة مستنح : يبلى حاله .
- روقع في قصة مستوصل : يقام أوده .
- روقع في قصة مستجير : أينا جاره .
- روقع في قصة مستأمن : يؤمن سره .
- روقع في قصة شاعر : يعجل نوابه .
- روقع في قصة قاتل : لا يؤخر قتله .
- روقع في قصة لص : ينفذ حكم الله فيه .
- روقع في قصة ساع : لا يلتفت إليه .

وروقع في خزيمة بن خازم : الأعمال بخواتيمها ، والصنيعة باستدامتها ، وإلى الغاية

ما جرى الجواد فحمد السابق وذم الساقط .

ورقع إلى عباس بن موسى الهادي واستبطأه في خراج الكوفة :

وليس أخو الحاجات من بات نائما ولكن أخوها من يبيت على رحل

ودخل على طاهر كاتب العباس بن موسى وكان ركيكا ، فقال : أخيك بن موسى يقروك

السلام . قال طاهر : وما تلى من أمره ؟ قال : أنا كاتبه الذي أطعمه الخبز . فوقع طاهر ،

يعزل العباس لسوء اختياره للكفاة .

وكتب أبو جعفر إلى عمرو بن عبيد . . أبا عثمان ، أمثي باصحابك ، فانهم أهل العدل ،

واصحاب الصدق والمؤثرون له . فوقع طاهر في هذا الكتاب : ارفع علم الحق يتبعك أهله .

ومن توقيعاته الطويلة ما وقع على رسالة يحيى بن حماد الكاتب النيسابوري حين كتب اليه رسالة طويلة ، فوقع اليه : " قلّة نظرك لنفسك حرمتك سني المنزلة ، غفلتك من حظك حطتك من درجتك ، وجهك بوضوح النعمة أحلّ بك الغير والنقمة ، ومعاؤك من سبيل الدوة اسلكك في طريق المشقة حتى صرت من قوة الامل معتاضا شدة الوجع ، ومن رجاء الغد معتبا بأياس الابد ، حتى ركبت مطية الخوف بعد مجلس الامن والكرامة ، وصرت موضعا للرحمة بعد أن تكففتك الغبطة على اني أرى أمثلا امريك ادماهما للمكروه اليك وأنفع حالتك أخيقهما متفلسا بقول القائل :

| | |
|--|---|
| إذا ما بدأت امرأ جاهلا | عن ببر تقصّر / حملـــــــــــــــــه |
| ولم تله قائلا بالجميـــــــــــــــــل | ولا عرف العز من ذله |
| فسمه الهوان فان الهوان | دواء لذي الجهل من جهله |

وقد قرأت كتابك باغراقك واطنابك فوجدت ارجاء عندك آيسه لك ، وأرقه في نفسك اقساه لقلبي عليك ، ومن صافه ما اذهبت وخامره ما ذكرت ، خرس من تشقيق وترويق الكذب والاقام ولعمري لولا تعلقك مني بحرمة المعاينة ، واتصالك مني بسبب المفاوضة ، وانحائي بهما لمن نالهما بسط المنفعة ، وقبض الاذى والمعرة مع استدامتي النعمة بالمعفو من ذى الجريمة ، واستدعائي الزيادة بالتجاوز من ذى الهفوة ، واستقالتي العثرة باقائتي الزلة ، لنالك من مقبوتي ما يؤذيك ومسك من سطوتي ما يتركك ، ويحببك ما اجتريت لنفسك من العجز ذلا وجهلا ، وما اخلدت اليه من الخمول وضعاً ، وبما حرمته من الفضل مقوبة ونقصاً ، وفي كفاية الله فني منك ، وفي مادته الجميلة موضا منك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل أقوى معين وأهدى

دليل (١)

(١) كتاب بغداد : ٧١ - ٧٣ وجمهرة رسائل العرب ٣ : ٤٨٢ من اختيار المنظوم والمنثور ١ : ٢٦٣

ومن كلامه : لا تستعن بأحد في خاص مملك الا من ترى ان نعمتك نعمته ، تسزل
عنه بنزالتها عنك ، وتدوم عنده بدوامها لك ، ولا يكون هذا الا عند من أكمله الله بالعقل (١) .

ومن فصيح ما قال طاهر قبيل وفاته ، حين صعد المنبر يوم الجمعة فأمسك من ذكر
ال خليفة قال : اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك ، واكفها مؤونة من بغى بها
وحسد عليها من لم الشعب وحقن الدماء واصلاح ذات البين (٢) . ومن كلامه في الفارسية
ليلة وفاته وكان آخر ما تكلم به حينما دخل فراشه قال : درمك نیز مردی باید " أى : في
الموت أيضا يحتاج الى الرجولة (٣) .

٦- شعره :

كان طاهر بن الحسين كما أسلفنا يقول الشعر لكنه لم يكن شاعرا يتكسب بشعره فيتفوق
بمدحه ولم يتعلم تجريح الناس والايقاع بهم فيعد من اصحاب المهجاء ولم ينحز الى الجهة
اللغوية فيستعمل الغريب وانما اطلعه على الشعر ومعرفته به وقراءته لاشعار الشعراء وحفظه
لها وتعرسه ومعاشرته للادباء ومنهم الشعراء ومناد متهم له ، كل هذه العوامل وتردد الشعراء
ببابه في امارته وولايته الشرطة وخراسان وذوقه وذكاؤه أثارت قريحته فقال الشعر . وكان
طاهر ذا احساس مرهف وشعور عظيم بليغ فتمت تلك القريحة القوادة وذلك الذوق والطبع
فبدأ يقول الشعر ولا ندرى متى بدأ ذلك فليس بين أيدينا من شعرا الا الضئيل اليسير وهذا
النز القليل لا يكفي للحكم عليه . ان قد يجوز ان يكون الشعر الذي بين أيدينا مما بقى
لظاهر هو من أحسن شعره أو من أردله ، وفي كلتا الحالتين لا يمثله تمام التمثيل . ثم اننا

(١) كتاب بغداد : ٧٠

(٢) نفس المصدر وتاريخ الطبري ٧ : ١٦٩

(٣) نفس المصدر

لا نجد شعره الا في كتب متفرقة للتاريخ والادب وغير ذلك ولا يدري ما هو من صنعه وما هو
لغيره أتى عليه في باب الاستشهاد وعلى هذا السبيل والتنقل . انما المعلوم انه كان اديبا
شاعرا يحب الادب وأهله . وكان لا ينفق عنده شيء من متعة الدنيا كما ينفق الادب (١) .
فما قاله في الفخر والاعتزاز لما قتل الامين ببغداد :

قتلت الخليفة في داره وأنهبت بالسيف امواله

وفي نفس المعنى قال في موضع آخر :

ملك الناس قسرا واقتدارا وقتلت الجبابرة الكبارا
وجهت الخلافة نحو مرو الى المأمون تبندرا ابتدارا (٢)

وكان اسماعيل بن جعفر بن سليمان واليا على البصرة خليفة لطاهر بن الحسين
فاساء اسماعيل محاورة محمد بن ابي مينة ، حتى تباعد بينهما وقبح ، وأظهر اسماعيل
تقصه وميئه ، فخرج ابن ابي مينة الى طاهر ليشكو اسماعيل ويسعى في عزله من البصرة ،
فبعد ذلك عليه بعض البعد ، وسافر طاهر بن الحسين الى وجه أمر بالخروج اليه فصحبه
ابن ابي مينة في سفره ، فتقدم طاهر من ذلك وأمر بإيصاله اليه . فلما دخل ابن ابي
مينة اليه ، سأله طاهر من حوائجه ، وأدناه وأمره برفعها ، فأنشده ميمية التي مطلعها :

من أوحشته البلاد لم يقسم فيها ومن أنسته لم يسم

وهي طويلة . فعارضه طاهر بن الحسين بميمية اخرى مرتجلا وقال :

من تستضفه الموم لم ينسم الا كرم المريض ذي السقم

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز : ١٨٦

(٢) تاريخ الطبري ١٦٠ : ٧

| | |
|-------------------------|------------------------------------|
| ولم يزل قلبه يكابد | تولد فيه الهموم من ألم |
| وقد سمعت الذي هتفت به | وما بأذني عنك من صمم |
| وقد علمنا ان لست تهجينا | لفاقة فيك لا ولا قدم |
| الا لحق وحرمة وعلسى | مُلك ربي الحقوق والحرم |
| انت امرؤ لا تزول عن كرم | الا الى مثله/الكـ ^{من} ـم |
| وانت من اسرة جحاجة | فازوا بحسن الفعال والشم |
| ان كنت مستقيا سماحتا | منا تجدك اليدان بالديم |
| أو تم في بحرنا بدلوك لا | نعدمك ملثا لهذا الى الونم |
| انا اناس لنا صنائعنا | في العرب معروفة وفي العجم |
| مغتتمو كسب كل محمدا | والكسب للحمد خير مغتتم (١) |

ثم احتكم عليه ابو عيينة عزل اسماعيل بن جعفر عن البصرة ، فعزله منها ، وأمر له بمئة ألف درهم ، فقال ابو عيينة قصيدة شكره لذلك (٢) .

وكان طاهر بن الحسين بخراسان قبل أن يتحرك به الحال يتعشق جارية في جيرانه يقال لها ديزاء . وكانت توصف بجمال عجيب . وكلنت صناجة بنيسابور بارعة في صناعتها تنزل في موضع يقال له " دوران كوش " بنيسابور ، وكان طاهر بن الحسين يختلف اليها وفيها يقول طاهر :

| | |
|-----------------------------|-------------------------|
| فيا ليت شعري هل أبيتن بعدها | بليلة مسرور بحيث أريد |
| وهل ترجعن خيلي الى ربطاتها | ويجمعني والمأزقين صعيد |
| وهل ترين ديزا مقامي وموقسي | إذا أضمرت نار وليس وقود |

(١) الاغاني ٢٠ : ٤٢ والشعر والشعراء ٢ : ٨٤٧

(٢) نفس المصدر .

ولما تحركت به الحال وصار الى مدينة السلام وقع في سجنه جارلديذا بجرح خفيف وطال
حبسه ولم يعرف احدا يشفع فيه فاحتال بمن يرفع رقعة لطيفة فوصلت الى طاهر تخبره انه
حبس بجرح يسير وليس له أحد يسعى في أمره وتوسل اليه بجوارديذا ، فلما قرأ طاهر الرقعة
كتب في ظهرها ،

ويا جاركد يذا لا تخف سجن طاهر وليك لو تدري عليك شقيق
أيا جارديذا انت في سجن طاهر وانت لديذا ما علمت طليق

ثم كتب في اسفل البيتين : يخلني سبيله ويعطني اربعة آلاف درهم ، وعليه لعنة الله فقد
حرك منا ساكنا . وديذا هي الجارية التي كانت تنزل مند ميدان زياد وقال فيها طاهر
بن الحسين قبل خروجه الى بغداد ،

اما أنى لك ديذا ان تزورني يوما الى الليل أو/تستزيرني^{أن} (١)

ولطاهر بيت شعر قاله لأسد بن ابي الاسد الذي التوى من الذهاب الى خوارزم وأراد
افساد أمر الجند وقائدهم فقال طاهر ،

لا تكونن جاهلا انت في البعث يا أسد (٢)

ولما كان طاهر ولي الرقعة خرج يوما راكبا وهو يتمثل ،

عليكم بداري فاهدوها فانها تراث كريم لا يخاف العواقبا
اذا هم ألقى بين مينيهِ مزمة وامرض من ذكر العواقب جانبها

(١) كتاب بغداد : ٦٢ - ٦٨ .

(٢) نفس المصدر : ٦٩

مأد حق مني العار بالسيف جانباً علي قضاء الله ما كان جالساً (١)

وولي طاهر رجلاً بعض النواحي فقال لكتبه : اكتب عهداً ، واترك في أسفل القرطاس
فضلاً . ففعل . فأخذ طاهر العهد وكتب في أسفله :

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| اعمل صواباً تتل بالحزم مأثرة | فلن يذم مع التقدير تدبير |
| فان هلك مصيباً أو ظفرت به | فانت عند أولي الالباب معذور |
| وان هلك على جهل وفزت به | قالوا : جهول امانته المقادير |
| انك بدنيا ينال المخطئون بها | حظ المصيبين والمغرور مغرور (٢) |

(١) كتاب بغداد : ٨٦ وتاريخ بغداد : ٣٥٤

(٢) لباب الالباب لاسامة بن منقذ : ٣٤١ - ٣٤٢

٢- عبد الله بن طاهر

١- شخصيته وثقافته :

ان رجلا يصنفه المأمون بالحلم والتقوى والشجاعة (١) ، والمرزباني ببراعة الشعر وحسن الادب (٢) لا يحتاج الى كثير من تعديقنا وتعريفنا ، لأن المأمون هو الذي رساه وتبناه والمرزباني أمرف بأدباء عصره وشعرائهم . فلقد كان ابو العباس عبد الله بن طاهر أديبا ظريفا ، جيد الغناء ، وشاعرا متوسلا بليغا . نسب اليه ابو الفرج اصواتا كثيرة أحسن فيها ونقلها اهل الصنعة . وله شعر مليح ، ورسائل ظريفة (٣) . ويكفينا وصف طاهر لابنه عبد الله في كلمات لنتعرف عليه . فقد قال المأمون لذي اليمينين يوما : صف لي ابنك عبد الله . فقال طاهر : " ان مدحته عبته ، وان ذمته اغتبتة ، ولكنه قدح في كف مثقف ليوم نضال في خدمة أمير المؤمنين (٤) . فانه جمع بهذه الكلمات ثقافته وأدبه وشجاعته ونشاطه . أما المأمون فقد رأى عبد الله فوق ما قاله أبوه فيه (٥) .

ولقد تأدب عبد الله في صغره وقرأ العلم والفقه ، وسمع من وكيع ومن عبد الله المأمون ، وروى عنه ابن راهويه - وهو أكبر منه - ونصر بن زياد وخلق سواهم (٦) . وروى هو عن سمع ومنهم أبوه ، وكان من آداب الناس وأعلمهم بأيام العرب وأجودهم قولا للشعر (٧) .

وكان يواخي اكفاه ، ويصحب نظراءه ، ومن يأمن من قدره ، وقب أمره وبواطن شره ، وكان

(١) الديارات : ٨٨

(٢) اعلام النبلاء : ١ : ١٩٢

(٣) وفيات الاعيان : ٢ : ٢٧٣

(٤) العقد الفريد : ٢ : ١٣٠

(٥) اعلام النبلاء : ١ : ١٨٠

(٦) النجوم الزاهرة : ٢ : ١٩١

(٧) طبقات الشعراء : ١٨٦

خبيرا في استنقاء جلسائه واصحابه فقليل منه انه لا دواء لمن لا حياء له ، ولا حياء لمن لا وفاء له ، ولا وفاء لمن لا اخاء له ، ولا اخاء لمن أراد ان يجمع بين اهواء اخلائه حتى يحبوا ما أحب ويكرهوا ما كره وحتى لا يرى من احد ختلا ولا زلا ولا تغريطا (١) .

ومن حسن أدبه كان يقول : ينبغي ان يبذل العلم لأهله وغير اهله ، فان العلم أمنع لنفسه من أن يصير الى غير اهله (٢) .

ومن اخلاقه وأدبه أنه قال له المؤمن يوما في دابة له : " قد طالعت صحبة هذه الدابة لك ؟ " فقال مبد الله : " من بركة هذه الدابة طول صحبتها وقلة علقتها . قال المؤمن : فكيف سيرها ؟ فقال : همها امامها ، وسوطها منانها ، وما ضربت قط الا ظلما (٣) . وقد نسب - فيما مر بنا - هذا الكلام الى أبيه ايضا .

٢- نظيرته النقدية :

وكان مبد الله ذا رأى في تفضيل العلماء ، أى انه كان يصرح برأيه في هذه الموضوعات كما رأينا يختبر الشعراء ، فقال : " علماء الاسلام اربعة : مبد الله بن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه ، والقاسم بن معن في زمانه والقاسم بن سلام في زمانه " (٤) . وكان يقدر للشعراء قيمة شعرهم ويقيم للجيد من ذلك وزنا . فقد كان ابن مطير الشاعر قد مدح أحد الولاة بأبيات جد ممتازة ، فأعطاه خمسة آلاف درهم . فلما أنشد لها مبد الله قال لمطير : لقد أخطأت ، فما ثمن هذه الا مائة ألف (٥) .

(١) المشي للوشاء : ٢٦١

(٢) الكامل في التاريخ : ٥ : ٢٧١

(٣) نمار الطوب : ١٦٨

(٤) طبقات النحويين واللغويين : ٢١٩

(٥) العقد الفريد : ١ : ٣٦٥

وكان عبد الله يقول : آفة الشاعر البخل ، فقال له محمد بن عيسى . وما مقدار ما يبخل به الشاعر ؟ قال : يقول احدهم من الشعر خمسين بيتا فيفسده بيتا يبخل ويطرحه (١) .

وكان يتتبع ادب القدماء وحكمهم . فقال له شيخ من الفرس : كانت الفرس تقول : لا توحش الحرفان أوحشته فلا ترتبطه . وكانت تقول : ادانيك الله تعالى تعمل الشرفاني اذا رأيته فاملا به رأيتك واقعا بك (٢) .

وكان عبد الله ذكيا ، له طبع جيد في القضايا الادبية وهو يروى الشعر والاخبار ، ورجل كعبد الله له دربة كثيرة ، والشعر كما قرّنه ابو الحسن القاضي الجرجاني علم يشترك فيه هذه الاسن فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز (٣) . وعبد الله ممن المطبوعين ، ذوى الذكاء والطبع واهل الرواية والدربة ولذا قال فيه المأمون :

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| ويجلو أمورا لو تكلفت تفسيره | لمات خفانا أو يكاد يندوب |
| فتى هو من فهم التخلق ماجد | ومن غير تأديب الرجال اديب (٤) |

٣- اسلوبه في الشعر والنثر :

اما اسلوبه في النثر والشعر فهو امتداد لاسلوب العصر ذاته ، أولا لأنه لم يشتغل بالفلسفة حتى يغلب عليه طابع خاص ، وهو لم يعاشرا با تمام ولم يفضل فينطوى الى التكلف وينخرط في التصنيع بل كان معاشرا لاسحاق الموصلي الذي كان شديد العصبية للاوائل .

(١) كتاب بغداد : ٩١ - ٩٢

(٢) نفس المصدر .

(٣) كتاب الوساطة : ٢١

(٤) الديارات : ٨٨ ، وكتاب بغداد : ٩٢

كثير الاتباع لهم . وهم بعيدون من التكلف والتعنع الا بعضهم . وما عدا اسحاق الموصلي فاننا نجد الشعراء الذين يرتادونه كان جلهم من المطبوعين ومنهم دعبيل الذي كان يزدرى بشعراي تمام الصانع المخترع ويطعن (١) . اذن فشعر عبد الله بن طاهر مطبوع حسن ، جنل مع مذوبة وفيه الملاحاة والظرف . ونثره سهل واسلوبه رائق وجمله قصيرة ومعانيها كثيرة ، بحيث يعجب المؤمن من حسن تعبيره وبديع لفظه وشمول معناه . فلما واني نيسابور كتب الى المؤمن ان أمير المؤمنين أنهضني الى هذا الثغر وبسبب ما قد غلب عليه من أمر الحمراء ، وما أحدثته المارقة بها . فاني وافيت نيسابور فوجدت ما حولها من المارقة ، ووجدتها أهم الكور ، والمهم انني أبدى وأدى . فأعجب المؤمن من الكتاب بهذه اللفظة ، ولم يزل الكتاب يتذاكرونها فيما بينهم (٢) .

٤- نثره :

ومن ظريف نثره ولطيف كلامه في الحب قوله عندما سأله المؤمن من ذلك ما هو ؟ فقال : اذا تفادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثت منها لمحة نور تستضيء بها بواطن الالهة ، فتحرك لاشراقها طبائع الحياة فيتنور من ذلك خلق حاضر للنفس ، متفصل بخواطرها بسى الحب (٣) .

ولعبد الله كتب ورسائل بعث الى الخليفة أو الولاة أو من حارهم ، هي في غاية الجودة وحسن الادب وردت بعضها في كتب التاريخ والادب متمعة ، لذيدة ، غير مملعة فمنها ما قل ودل ، ومنها كتابه الى اسحاق بن ابراهيم - وكان ببغداد - فبعث اليه عبد اللعين

(١) اخبار ابي تمام : ٦٣ - ٦٤ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٩١ - ٢٠١ - ٢٤٤ .

(٢) الديارات : ٨٩ .

(٣) العقد الفريد ٢ : ٣١٧ .

ظاهر من خراسان ، يسأله ان يوجه اليه بأقلام قصبية . يتبين فيها كثرة ممارسته في صناعة الكتابة والادب ومعرفته بالأقلام وتميزها واختيار الاحسن منها وهو وصف دقيق رائع للأقلام القصبية التي كانت تستعمل آنذاك ولا تزال تستعمل الى الآن في ايران لتجويد الخط ، فقال مبد الله ، (١)

"أما بعد ، فانا على طول الممارسة لهذه الصناعة ، التي غلبت على الاسم ، ولوت لزوم الاسم ، فحلّت محل الانساب ، وجرت مجرى الالقاب ، وجدنا الأقلام القصبية أسرع في الكوافذ ، وأمرني الجلود ، كما ان التجربة منها أسلس في القراطيس وألين في المعاطف ، ونحن في بلاد قليلة القصب ، ردئ ما يوجد بها منه . وقد أحببت ان تتقدم في اختيار اقلام قصبية ، وتتألق في انتقاها قبلك ، تطلبها في مظانها ومنابتها ، من شطوط الانهار ، وارحاء الكرم . وان تتيم باختيارك منها : الشديدة المجس ، الصلبة المعص ، النقيّة الخدود ، القليلة الشحم ، الكثيرة اللحم ، المكثرة الجوانب ، الضيقة الاجواف ، الرزينة الوزن فانها أبقى على الكتابة ، وأبعد من الحفي ، وان تقصد بانتقائك منها : الرقاق القضبان ، اللطائف المنظر ، المقومات الأود ، الملس العقد ، فلا يكون فيها التواء معج ولا أمت . وضّم الصافية القشور ، الخفية الابر ، الحسنة الاستدارة ، الطويلة الانابيب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتّلة القوام ، تكاد اسفلها تهتر من أعالها ، لاستواء اصولها بروءوسها ، المستحكمة ييسا ، القائمة على سوقها ، قد تشرب الماء في لحائها ، وانتهت في النضج منتهاها ، لم تعجل عن تمام مصلحتها ، وابان ينعمها ، ولا تؤخر الى الاوقات المخوفة ماهااتها ، ومن خسر الشتاء وفن الازداد . فاذا استجمعت عندك وأمرت بقطعها ذراعاً ذراعاً ، قطعاً رفيقاً تتحرز منه من ان تتشعث رؤوسها ، وتتشق اطرافها ، ثم مبات منها حزماً

(١) زهر الآداب ٢ : ٢٤٨ ، وصبح الاعشى ٢ : ٤٥١ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢١ ، وأدب الكتاب ٦٩ ، وجمهرة رسائل العرب ٣ : ٥٣٤

فيما يصونها من الاومية ، وعليها الخيوط الوثيقة ووجهتها مع من يؤدى الامانة في حراستها وحفظها وايصالها ، ان كان مثلها يتوانى فيها لقله خطرهما فند من لا يعرف فضل جوهرها ، واكتب معه بعدتها واصنافها واجناسها وصفاتها على الاستقصاء ، من غير تأخير ولا توان ولا ابطاء ، ان شاء الله تعالى (١) .

ونجد في رسالة بلاغة الجاحظ من حيث الجمل المقتضبة ، وسهل بن هرون من حيث السلاسة والركة ولا نرى رومة وصفه أقل مما فعله الجاحظ وابن هارون في وصف الكتابة والخط . ثم ادبه بقله استعماله فعل الامر فانه لا يقول : " اجمع فندك " ، بل يقول : " اذا استجمعت فندك " ، ودقته في الامر فانه يؤكده ان يكتب بعدتها واصنافها واجناسها وصفاتها ليطلعها على جوانبها المختلفة . ولم تكن هذه هي الوحيدة من بلاغته وانما جميع رسائله بلغت أقصى الجودة والكمال . وقد ذكرنا في سيرته مع ماله من توانى في عمله كيف راسله في شدة وفنف وهو الحسن بن عمرو النعلبي (٢) . واليك كتابه الى المأمون وقد أهدى اليه عبد الله فرليداً فكتب الى المأمون : " قد بعثت الى أمير المؤمنين بفرس ، يلحق الارانب في الصعداء ويجاوز الضباء في الاستواء ، ويسبق في الحدود جرى الماء ، فهو كما قال تأبط شرا :

ويسبق وفد الريح من حيث تنتحي بمنخرق من شدة المتدارك (٣)

وكان عبد الله يقول في حسن العشرة والمودة والاخوة : المال فاد ورائج ، والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وائرة (٤) . وأدب عبد الله بعض قواده ، فمات القائد ، فرفع اليه

(١) العقد الفريد ٤ : ١٩٩

(٢) المصدر نفسه ١ : ٥٩

(٣) زهر الآداب ١ : ٣٠٢ ، وثمار القلوب : ١٩٨

(٤) المستطرف ١ : ١٤٤

الناس يقولون : انه قتله ، فوقع : انما آدبنا فوافق الادب الاجل (١) . وكتب اليه بعض قواده يسأله حظ خراج الزيادة في ارزاقه ، فوقع في كتابه :

أني القوم أبصرت ذا كلّة فخيّر رأيت وخيّر يكون ؟ (٢)

وهناك كتابه الى عبید الله بن السري ونصر بن شيث (٣) وكتبه للمأمون بشأن نصر بن شيث (٤) ، وخطبته في الناس عندما تيسر لقتال الخوارج (٥) . وكتب اليه بعض عماله على العراق كتابا وجعل سجلاته غليظة ، فأمر بأشخاص الكاتب اليه ، فلما ورد عليه الكاتب قال له عبد الله : ان كانت معك فأس فاقطع ختم كتابك ثم ارجع الى مملك ، وان عدت الى مثلها عدنا الى اشخاصك لقطعها ، ولا تعظم الطينة جدا وطن كتبك بعد كتبك مناوينها ، فان ذلك من أدب الكاتب ، فان طينت قبل العنان فأدب منتحل (٦) . وقيل انه كان قد وقع من سعى ربي ، ومن لزم المنام رأى الاحلام . وهي ترجمة ما وقع كسرى أنوشروان فانه وقع : هرك روك خورن وهرك خسبذ خواب پيند (٧) .

وهناك رسالته الى المأمون الذي يشكو اليه بعده من حضرته ويسأله الاذن له فسي الاعلام بها (٨) . ورفعت اليه قصة مضمونها ان جماعة خرجوا الى ظاهر البلد للفتح ، ومعهم صبي ، فكتب على رأسها : " ما السبيل على فتية خرجوا لمنتزهم يقضون أوطارهم ، على تسدر

(١) خاص الخاص : ٨٩

(٢) المصدر نفسه : ٩٠

(٣) زهر الاداب ٣ : ٣٣١ ، وكتاب بغداد : ٧٧ - ٧٨ ، وتاريخ بغداد ٦ : ١٤٩ ، وتاريخ الطبري (حوادث سنة ٢٠٦ - ٢١٠) ، وجمهرة رسائل العرب ٣ : ٥٠٠

(٤) نفس المصدر .

(٥) العقد الفريد ٤ : ١٢٤

(٦) المصدر نفسه ٤ : ١٥٩ - ١٦٠

(٧) المحاسن والمساوي للبيهقي : ٣١٠ ، والمحاسن والاضداد للجاحظ : ١٢٨

(٨) المنازل والديار : ١٨٠ ، وخاص الخاص : ٨٩

اخطارهم ، ولعل الغلام بين احدهم أو قرابة بعضهم . ومن كلامه : ممن الكيس ونبل
الذكر لا يجتمعان في موضع واحد (١) .

ومن توقيعاته الى عمال شكاهم الرمية . قد قدمت اليكم الانذار واحتجبت اليكم
الانذار وليت العتاب بالغ ما أردت ولقد هممت بأن أجعل محاقتي لكم معاقبة فلننتبهوا
من سنتكم وانظروا لانفسكم واحسنوا بالاكورة فان الله تعالى جعل أيديهم لنا طعاما وألسنتكم
سلاما ، وظلما حراما وما عند الله خير وأبقى أفلا تذكرون (٢) .

٥- شعره :

لعبد الله بن طاهر الأمير الاديب شعر مليح (٣) ، قال ذلك في مواضيع مختلفة
لسلطته الشعرية وشعره هذا يفسر نفسيته وأخلاقه وفزارة أدبه . فهو يقول في الشجاعة
والفخر ، والغزل والنسيب ، والعفو والمعذرة ، والوفاء والاخلاص ، والجد والهزل ، والصدقة ،
والمدح والوصف ، والافتعال والخجل ، وحسن المعاشرة والمودة والاخوة ، وفي الصبر على
المكاره والتسلي من نوائب الدهر ، والقناعة والبخل ولعله تطرق الى جميع الموضوعات سوا
وصلت نماذج منها ام لم تصل مما يدل على قدرته على قرص الشعر في المناسبة وبالبدية
فهو مطبوع في شعره يسير على مذهب القدماء ومنهجهم وهو من طبقة اسحاق الموصلي الذي
كان يوالي القديم ويدافع عنه ويكره الاجتهاد والاعتاب والتعنييع والتضع فهو شاعر من طبعه
يقول الشعر من فطرته دون أن يحمل نفسه المشاق في جمع ما أراد كما كان يفعل أبو تمام .

(١) وفيات الاميان ٢ : ٢٧٣

(٢) خاص الخاص ٨٩١ - ٩٠

(٣) المنتحل ٣٢٢

ومن قول عبد الله بن طاهر في الفخر بنفسه وضعفه امام الغواني ا قوله :
نحن قوم تليننا الحـدق النـجـل على اننا نلين الحديد
طوع أيدي الظباء تقتادنا العـسـيين ونقتاد بالطعان الاسود
نملك الصيد ثم تملكنا البيـس المصونات امينا وخدودا
تتقي سخطنا الاسود ونخشي
سخط الخشف حين يبدي الصدودا
فترانا يوم الكريهة أحـرا
را في السلم للغواني مبيدا (١)
وهذا الشعر يجمع بين الرقة والشجاعة (٢) .

وقال عبد الله بن طاهر بن الحسين بيتين هما :
اغمدى السيف وقولي جم يا سيف طويلا
قد فتحت الشرق والغـر ب وآمنت السبيلا
يريد بأنه أخذ فتن الغرب في الشام ومصر وفتن الشرق بالجبال وخراسان ، ثم
ألقاهما على قينة ، وأمرهما ان تنشدا المأمون بهما ، ثم أهداها للمأمون ، ففعلت ذلك (٣) .
وكان ابو دلف يتنقل من العراق الى جبال فارس ، ففي الصيف يسكن الجبال وفي
الشتاء يسكن العراق وذلك لبرد الجبال في الصيف وحر العراق في الشتاء وكان يقول :

وأنى امروء كسروى الفعال أصيف الجبال وأشقوا العراقا
وألبس للحرب أثوابها وامتق الدارمين امتاقا

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٢٣ ، اعلام النبلاء ١ : ١٩٥ ، آثار الازهار ١ : ٢١٠
(٢) المنتحل للثعالبي ٣٣٢ :
(٣) كتاب بغداد ١٠ :

وبلغ قول أبي دلف مبد الله بن طاهر ، فنظم مبد الله يقول جوابا لقول أبي دلف :

ألم تر أننا جلبنا الخيول من أرهق بابل قبا متاقا
فما زلن يخطرن بالدارو ————— من طورا كحزونا وطورا رفاقا
الى أن درين بأذنا بها قلوب رجال أرادوا النفاقا
وأنت أبا دلف ناعمنا تصيف الجبال وتشتو العراقا (١)

ولما دخل عليه وعجمل الخزامي يقول :

جئت بلا حرمة ولا سبب اليك الا بحرمة الادب
فاقضى ذمامي فاني رجل غير ملح عليك في الطلب

افتعل مبد الله ودخل الى الحرم ووجه اليه بصورة فيها ألف درهم وكتب الى دعبيل :

أعجلتنا فأتاك عاجل بسرنا ولو انتظرت كثيره لم يقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تسلم ونكون نحن كأننا لم نفعل (٢)

وحدث له مثل هذه الحالة حينما قدم عليه الشاعر المستعري وقال أبياته ، فأجابه مبد الله بن طاهر :

لم أنس حظك فاستعن بالصبر وافتح بشغلي منك باب العذر
لا تياسن اذا الامور تعمست فاليسر منتظر خلال العسر (٣)

وبلغنا من شعره أبيات قالها في الشجاعة هي :

يببت ضجيعي السيف طورا وتارة بعض بهامات الرجال مضاره

(١) نزهة الابصار ٢ : ٤٧٥ ، الاغانى ١١ : ١١

(٢) الاغانى ٢٠ : ١٤٣ ، نشر النظم وحل العقد ٣٢ : يجيب بهما لشاعر آخر غير دعبيل .

(٣) نشر النظم وحل العقد ٤٦ :

أخو ثقة أرضاء في الروح صاحباً وفوق رضاء انني انا صاحبه
وليس أخو العدياء الا فتى له بها كلف ما تستقر ركايبه (١)
وروى صاحب النجوم الزاهرة لعبد الله بن طاهر ثلاثة ابيات من الشعر هي :

نبتته وظلام الليل منسدل بين الرياح دفيناً في رياحين
فقلت : خذ قال : كفي لا تطاومني فقلت : قم : قال : رجلي لا تواتيني
اني فقلت من الساقى فصيرني كما تراني سليب العقل والدين (٢)

ولهذه الابيات حكاية طريفة جاء عليها صاحب كتاب العقد الفريد وذكر الابيات بترتيب آخر (٣)،
وكان عبد الله بن طاهر قد حاصر عبيد الله بن السري بمصر سنة ٢٠٩ هـ ، فقال في وفاءه
واخلاصه للمأمون :

بكوت تسبيل دمعاً اذ رأيت وشك براحي
وتبدلت صقيلاً ويمينا بوشاحي
وتعادت بسير لغدو وروح
زعمت جهلاً بأنسي تعب غير مراح
أقصرني مني فأنسي سالك قصد فلاح
انا للمأمون مبدد منه في ظل جناح
ان يعاف الله يوماً فقريب مستراح
أو يكن هلك فقولي بعويل وصياح
حل في مصر قتيل ودمي منك التلاح (٤)

(١) المستطرف ١ : ٢٦٦

(٢) النجوم الزاهرة ٢ : ٢٠٠

(٣) العقد الفريد ٦ : ٣٤٥

(٤) كتاب بغداد ٨٢ : ٨٣ ، ووفيات الاعيان ٢ : ٢٧٣ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٨٦

ولما فتح عبد الله بن طاهر مصر سنة ٢١٠ هـ ، أعطاه المأمون خراج مصر وضياعها لسنة ، فوهبه عبد الله كله وفرقه في الناس ورجع صفرا من ذلك ، فغاض المأمون فعله ، فدخل عبد الله بن طاهر الى المأمون يوم مقدمه من مصر سنة ٢١١ هـ وأنشد المأمون أبياتا قالها في هذا المعنى وهي :

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| نفسى فداؤك والاعناق خاضعة | للمنايات أبايا غير مهتضم |
| اليك أقبلت من أرض أقمتم بها | حولين بعدك في شوق وفي ألم |
| أقفو مساميك اللاتي خصصت بها | حذو الشراك على مثل من الأدم |
| فكان فضلي فيها انني تبسح | لما سننت من الانعام والنعيم |
| ولو وكلت الى نفسي غنيت بها | لكن بدأت فلم أمجز ولم أتم |

فضحك المأمون وقال : والله ما نغصت عليك مكومة نلتها ولا احدىة حسن منك ذكرها ، ولكن هذا شيء ، ان عودت نفسك افتقرت ولم تقدر على لم شعئك واصلاح حالك . وزال ما كان في نفسه (١) .

وله من الدوبيت في فراق صاحبه وحبيبه ولا ندرى أيقصد بذلك المأمون ام غيره فقال :

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| أقام ببلدة ورحلت منه | كلانا بعد صاحبه غريب |
| أقل الناس في الدنيا سرورا | محب قد نأى منه الحبيب (٢) |

وروى صاحب المستطرف عن ابن طاهر أبياتا قالها في العبر على لقاء الحبيب وهي :

| | |
|-------------------|-------------------|
| حذرني وذا الحذر | ليس يغنى من القدر |
| ليس من يكتم الهوى | مثل من باح واشتهر |

(١) الافاني - دار الكتب ١٢ : ١٠٠ ، وط دار الثقافة ١٢ : ٨٥

(٢) المستطرف ٢ : ٢٢٢

انما يعرف الهوى من على مره صبر
نفس يا نفس فاصبري فاز بالصبر من صبر (١)

وكان ابو السمره الشاعر قد كتب الى مبد الله بن طاهر أبيانا غزلية (٢) ، فوقع مبد الله بن طاهر في ظاهر رقعته بدورها ومعارضها له ؛ (٣)

لا أشتكي من هواك الا
حلفت جهد اليمين الا
الك لا ينفع التشكي
أزول الا اليك عندك
كلفتني السعي في طريق
ومن قليل الانيس ضنك
فرمت (بي) في أسار قلبي
ثم تشاغللت عند فكسي

وكان مبد الله بن طاهر يقول في حسن المعاشرة والمودة والاخوة ومن قوله في ذلك ؛

خليلي للبغضاء حال مبينة
وللحب آثار ترى ومعارف
فما تتكر العينان فالقلب ينكر
وما تعرف العينان فالقلب عارف (٤)

ولما أتاه نعي أبي مبيد القاسم بن سلام قال ؛

يا طالب العلم قد مات ابن سلام
مات الذي كان فيكم روح أربعة
وكان فارس علم غير محجام
خير البرية مبد الله أولهم
لم تلق مثلهم استار أحكام
هما اللذان انا فأفوق غيرهما
وامر ولنعم الثنى يا عام
فازا بقدر مئين لا كفاء له
والقاسمان ابن معن وابن سلام
وخلناكم صفونا فوق أقدام (٥)

(١) المستطرف ٢ : ٧٩

(٢) نذكرها في الكلام من أبي السمره .

(٣) ذيل زهر الآداب ؛ ٢٤٥

(٤) المستطرف ؛ ١ : ١٤٦

(٥) طبقات النحويين واللغويين ؛ ٢١٩ - ٢٢٠

وقال مبد الله بن طاهر في الصداقة والصديق :

| | |
|------------------------------|---------------------------------|
| وما المرء الا اثنان هذا موكل | بما يعجب الاخوان ان قال أو فعل |
| فينزل محمودا اذا حل منزلا | ويرحل مفقودا اذا قيل قد رحل |
| فاما الذي لا خير فيه فانه | وان أطعم السلوى وألحق في مسل |
| يذئب من لحم العدو ومخافة | ويأكل من لحم الصديق اذا أكل |
| وما قلبه الا ولاء معطل | من الود محشو من الغل والدغل |
| ومن قل منه الود للناس لم ينل | من الناس الا مثل ذلك أو أقل (١) |

وقال كذلك في المعنى نفسه :

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| طلبت أخا محصنا صحيحا مسلما | نقيا من الآفات في كل موسم |
| لأمنحه ودي فلم أجده الذي | طلبت ، ومن لي بالصحيح المسلم |
| فلما بدا لي اني غير مبتلي | من الناس الا بالمرحى المسقم |
| صبرت ومن يصبر يجد غب ضرة | ألف وأشهى من جني النحل في الغم |
| ومن لم يطب نفسا ويستبق صاحبا | ويغفر لاهل الود يُعصر ويصم (٢) |

وقال مبد الله بن طاهر في القنامة أبياتا هي :

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| كيف مبرأ منى له كل يوم | فلم دون بلدة منشور |
| واذا الترح حركت صوت طبل | من بعيد فقلبه مذمور |
| يا غنيا من العساكر والبعث | هنيئا لك المقيل الوثير |
| من له كسرة يعيش من الناس | من غنيا فذاك الامير (٣) |

(١) الصداقة والصديق : ٢١٢

(٢) نفس المصدر : ٤٦٨

(٣) نشر النظم وحل العقد : ٨٠

كما قال يمدح الغفرويذكروه بقوله :

ألم تر أن الدهر يهدم ما بني ويأخذ ما أعطى وينفسد ما أسدى
فمن سره ألا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً ينال به فقدا (١)

ونسب إليه الزجاج أبياتاً في ذم البخل والمباطله وهي :

ألا انما الانسان غمد لقلبه فلا خير في غمد اذا لم تكن نصل
ولا خير في وعد اذا كان كاذبا ولا خير في قول اذا لم يكن فعل
فان تجمع الآفات فالبخل شرها وشر من البخل المواميد والمطل (٢)

وقال يصف الذئب :

بهم بنى محارب مزاره أطلس يخفى شخصه غباره في شدقه شفرته وناره (٣)

ويظهر انه كان سريع البداعة كما ذكرنا في بعض المواقف ومنها ان رجلاً كتب إليه يقول :

اذا كان الجواد له حجاب فما فضل الجواد على البخيل ؟

فأجابه عبد الله بقوله :

اذا كان الجواد قليل مال ولم يقدر تعلل بالحجاب (٤)

(١) المستطرف ٢ : ٦١

(٢) أمالي الزجاج ٧٥ :

(٣) الكامل للمبرد ط : المستشرقين ١ : ٢٠٨

(٤) المحاسن والمساوي ١٧٦ :

وقال في الاخروانيات والاخلاص للصديق والوفاء له وقدّه النعالي من أحسن ما سمع وما قيل :

أميل مع الذمام (١) على دمي (٢) وأقضي للصديق على الشقيق
وان ألغيتني ملكا مظاما فانك واجدي بيد الصديق (٣)

وقال بيد الله بن طاهر لاسحاق الموصلي يوما : يا أبا محمد ، اني قد علمت أبياتا فاسمعها ،
قال الموصلي : هاتها ، أمز الله الأمير ، فأنشده بيد الله :

ألا من لقلب مسلم للنوائب أحاطت به الاحزان من كل جانب
نبئن يوم البين ان اعتزاه على الصبر من بعض الظنون الكواذب
حرام على دامي فؤادي بسهمه دم صبه بين الحشى والترائب
أراق دما لولا الهوى ما أراقه فهل يدمي من نائرا أو مطالب (٤)

وذكر ابن الاثير لعبد الله بن طاهر أبياتا ظريفة ظريفة وهي :

اسم من أهواه اسم حسن فاذا صففته فهو حسن
فاذا اسقطت منه نساء كان نعتا لهواه المخترن
فاذا اسقطت منه ياء صار فيه بعض اسباب الفتن
فاذا اسقطت منه راء صار شيئا يعتري عند الوسن
فاذا اسقطت منه ظاء صار منه ميثس سكان المدن

(١) الذمام الحق والحرمة ويجمع على أذمة ، وقد تكون الذمام جمع ذمة وهي العهد والكفالة والمعنى أميل مع الحق .

(٢) قال النعالي : هكذا وجد في الاصل ولكن يلوح انها محرفة (ابن عمي) وبذلك يستقيم المعنى وهو اني أميل على ابن عمي اذا كنت محقا وكان مبطلا ، ولا استواء الصديق والشقيق عندي في المنزلة أقضي للأول على الثاني لا يصدني من ذلك الاخاء .

(٣) أحسن ما سمعت للنعالي : ٣٦

(٤) الافاني ط : دار الثقافة ٥ : ٣٧٨

فسروا هذا فلن يعرفه
فير من يسبح في بحر الفطن

وكان هذا الاسم اسم ظريف غلامه (١) .

وقيل انه كان بالجانب الشرقي من بغداد محلة تسمى باب الطاق ، كان بها سوق الطير ، فاعتقدوا ان من تعسر عليه شيء من الامور فاشترى طيراً من باب الطاق وأرسله ، سهل عليك ذلك الامر . قال القزويني : وكان عبد الله بن طاهر طال مقامه ببغداد ، ولم يحصل له اذن الخليفة ، فاجتاز يوماً فرأى قمرية تتوح ، فأمر بشرائها - وكان صاحبها يمتنع من بيعها الا بخسمائة درهم - وأطلقها ثم أنشأ يقول :

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| ناحت مطوقة بباب الطاساق | فجرت سوابق دمعي المهراساق |
| كانت تغروها الأراك ورمسا | كانت تغرد في فروع الساساق |
| فرى الفراق بها العراق فأصبحت | بعد الأراك تتوح في الاشواق |
| فجعت بانفراج فأسبل دمعيها | ان الدموع تبوح بالمشاساق |
| تعس الفراق وتب حبل وتينه | وسقاء من سم الأسي ود ساق |
| ماذا أراد بقصده قمرية | لم تدر ما بغداد في الآفاق |
| بي مثل ما بك يا حمامة فاسألني | من فك اسرك ان يحل وناقني (٢) |

ويظهر انه كانت له قصيدة ضاعت ولم تصل الينا وقد قالها يفخر فيها بآثار ابيه واهله ويفتخر بقتلهم المخلوع وكان مطلعها :

مدمن الاغضاء موصول
ومديم العتب محلول (٣)

(١) كامل التواريخ ٢٧١: ٥

(٢) آثار البلاد ٣٩٦

(٣) معجم الادباء - دار المأمون ١٢ : ١٩٤ ، والاغاني - دار الكتب ١٢ : ١٠٣ .
ولهذه القصيدة قصة طويلة ذكرها أبو الفرج :

ولم يكن عبد الله بن طاهر يقول الشعر فحسب وإنما كان يتمثل بكثير مما قاله الشعراء
ويستشهد بأبيات لهم وقد أوردنا تمثله بببيتين من الشعر في الرقة حين فرق الأموال ووزع
الجوائز (١) ، كما تمثل بقول أبي كبير الهذلي لما قارب مدينة اليرى وسمع ورشانا
في بعض الافسان يصيح ، فتذكر عبد الله بن طاهر هذه الابيات فقال :

ألا يا حمام الأيك الفك حاضر ، وفصنك مباد ، فقم تنوح ؟
أفنى لا تنح من غير شي ، فأنني بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوما فشطت غربة دار زينب ، فها انا أبكي والفؤاد جريح

ثم طلب الى موف بن محلم ليجز ذلك فأجازه .

(١) معجم البلدان - مادة اليرى .

٣- محمد بن طاهر الثاني

كان محمد بن طاهر الثاني من أهل الأدب ، يكرم الأدباء ، ويقربهم . سمع اسحاق بن راهويه (١) ومحمد بن يحيى الزهرى . وروى عنه احمد بن حاتم المروزي (٢) . وكان يجالس الأدباء كثيرا ويقدر مقامهم ، وله شعر رقيق عذب يدل على روحه الادبية ولكن لم يصلنا من شعره الا أبيات قليلة فمنها ما قال :

ميون اذا ماينتها فكأنها ————— دموع الندى من فوق اجفانها در
محاجرها بيق واحداتها ————— فر وأجسامها خضر وانفاسها مطر
بروضة بستان كأن نباته ————— تفتح وشي حين ياكرو القطر (٣)

ولقد أورد صاحب المستطرف أبياتا في شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتملي من نوائب الدهر نسبها الى ابن طاهر فرجحنا ان تكون لمحمد بن طاهر وليس لجدّه عبد الله بن طاهر الذي كان في رفاه ونعمة وفرة وجاء . أما الابيات فهي :

حذرتني وذا الحذر ————— ليس يفسنى من القدر
ليس من يكرم الهوى ————— مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى ————— من على مره صبر
نفس يا نفس فاصبرى ————— فاز بالصبر من صبر (٤)

(١) شذرات الذهب ٢ : ٢٣١

(٢) تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٧

(٣) البهائم والذخائر : ١٨٥

(٤) المستطرف ٢ : ٧٩

الفصل الثاني

الطاهريون والغناء

اهــستام الطاهـرين بالغـناء

يعدّ الغناء وما يصحبه من الآلات الموسيقية من مظاهر الحضارة والترف عند الشعوب وخاصة في بلاطات الملوك والامراء . وقد شاع في العهد العباسي ببغداد كثيرا وتبعتهما الولايات والمدن الاخرى . ولقد العمال رؤساءهم في ذلك : وكان من أمر ذلك شيوعه بعد أن جلبوا القيان والمغنين واهتموا باقتناء الجوارى المغنيات والمغنين وتهافتوا على شرائهم وتنافسوا في اقتناء أحسنهم وأجودهم ودفعوا لذلك أموالا طائلة وأسرفوا في ذلك .

١- طاهر بن الحسين والغناء :

ومن هذه المدن هي نيسابور بخراسان ، وخراسان كما نعلم هي مهد حضارة قديمة وعريقة ، وقد ذكرنا ان طاهر بن الحسين كان بخراسان ، قبل أن تتحرك به الحال ، يتعشق جارية في جيرانه يقال لها " ديدا " وكانت صناجة بنيسابور بارعة في صناعتها ، فنزل موضعاً يقال له " دروان كوش " وفيه تغني ، ولعل هذا الموضع هو ميدان زياد . ولما تحركت بطاهر الحال أصبح له عدد من الجوارى ، بالقبة الطاهرية من داره بمدينة السلام (١) . ويدعي أن هلاطه بخراسان كان يضم عددا من الجوارى ولا بد أنه كان فيهن عدد من المغنيات . وكان احمد بن سعيد المالكي ، احد قواد طاهر ، مغنيا منقطعا إلى طاهر وولده (٢) وله اخبار في الاغاني .

(١) الديارات ٨٦٤

(٢) الاغاني - دار الكتب ١٢٢٠٦

٢- طلحة بن طاهر والغناء :

وكان طلحة كأبيه يحب الجوارى المغنيات - غير مفرط في ذلك شأنه شأن أبيه - والمغنيين وكانت جوارى أبيه يخرجن اليه . فذكرت خزامى جارية العباس بن جعفر الاشعري الخزامي اليمامة لطلحة جارية مغنية قدم بها من العراق . فأمر طلحة باحضارها ، فأحضرت مع مولاها ، فأدخلت وقعد مولاها خارج الدار فنوولت العود وقيل تغني ، فاندفعت تغني :

شوقي اليك جديد في كل يوم يزيد
والعين بعد دموع مثل السحاب يجود

وهي تبكي ودموعها على مودها تقطر . فقال لها طلحة : ويحك مالك تبكين ؟ فقالت : انها تحب مولاها ومولاها يحبها . فقال طلحة : فلم يبيعك ؟ قالت : الخلة ، فأمر بشرائها فاشتريت باثني عشر ألف درهم ، ودفع المال الى المولى . ثم أمر بمسئله من الخبر فوافسق قول الجارية ، فأمر طلحة بتسليم الجارية اليه وترك المال عليه (١) .

وكان اذا منم على الشرب بعث الى مغن أو مغنية وقد بعث الى محمد بن المثنى بن الحجاج مرة وقال له : بالله غنيني فغناء :

اني لاكني بأجبال من أجبلها وباسم أودية من اسم واديهما
عمدا ليحسبها الواشون غائبة اخرى ويحسب اني لا أباليهما

فقال له طلحة : أحسنت ، والله ، أمد . فما زال يعيدهما عليه حتى حضرته العتمة . فقال طلحة لخادم له : هل بالحضرة من مال ؟ قال الخادم : مقدار سبع بدر . فقال طلحة : تحمل معه . فلما خرج محمد بن المثنى ، تبعه جماعة من الغلمان يستلونهم ، فوزع المال فيهم :

فرجع الخبر الى طلحة ، فكأنه وجد عليه من ذلك ، فلم يبعث الى محمد ثلاثا . فجلس ابن
المننى ليلة فتناول الدواة وأنشأ يقول :

فلمني جودك السماح فما أبقيت شيئا لدى من صلتك
تمام شهرا لا سمحت بهـ كأن لي قدرة كمقدرتك
تتلف في اليوم بالهبات وفي الساعات ما تجتنيه في مسنتك
ولست أدري من أين ينفق لو لا أن ربي يجزى على هبتك

فلما كان في اليوم الرابع ، بعث طلحة الى ابن المننى ، فدخل فسلم ، ورفع طلحة صوته الى
محمد ثم قال : اسقوه رطلين فسقي . ثم قال طلحة : غني ، فغناه محمد بهذه الابيات
الاربعة . فقال له طلحة : أدن . فدنا محمد . فقال له : اجلس . فجلس . فقال له :
أعد الصوت . فأعاد ففهمه ، فلما عرف معنى الشعر قال الخادم له : احضرني محمد
- يعني الطاهري - فقال له ما عندك من مال الضياع ؟ قال ثمانمائة ألف . قال :
احضرنيها الساعة . فجىء بثمانين بدرة . فقال : غلمان ؟ فاحضر ثمانون مملوكا . فقال :
أوصلوا المال . ثم قال لابن المننى : يا محمد ، خذ المال والممالك لا تحتاج أن تعطيهم
شيئا (١) .

٣- مبد الله بن طاهر والغناء :

كان مبد الله بن طاهر - كما وصفه الشعالي (٢) - ادبيا ظريفا جيد الغناء ، ويقع
في الذروة من آل طاهر في اهتمامه بجميع النواحي ولا سيما الشعر والغناء فكان حبه له
كثيرا بحيث قال له المأمون : ليس نيك عيب الا أنك تحب الشعر وأهله (٣) . واهتم بالمغنين

(١) كتاب بغداد : ٩٥ ، ومن الاغانى - ط - دار الكتب ١٦ : ٣٣٦ نسبها الى اسحاق الموصلي .

(٢) المنتحل : ٣٣٢

(٣) كتاب بغداد : ١٦٤

والمغنيات اهتمامه بالادب والشعر . وكان متضلعا في فنون الغناء استازا بارعا وفنانا قديرا ، عالما بالغناء والالحان والاصوات معلما حاذقا وصانعا ماهرا . وكان مجلسه ندوة للموسيقى والغناء ومجمعاً لأهل الادب يرتاده فحول هذا الفن كاسحاق ابن ابراهيم الموصلي الذي كان على صلة وثيقة به وكذلك تخارق وعلوية وغيرهم من أمراء الغناء في ذلك العهد ، وكان لعبد الله هذا رأيه واجتهاده في هذه الامور .

وكان اسحاق الموصلي كبير الملازمة لعبد الله بن طاهر ، ثم تخلف عنه مدة ، وذلك في أيام المأمون ، فقال عبد الله لجاريتته لميس : خذي لحن اسحاق الموصلي في : أماوى ان المال غاد ورائح . فاخلعيه على : وهبت شمال آخر الليل قوة (١) ولا ثوب الا بردها وردائيا . والقيمه على كل جارية تعلمينها وأشهره ، وألقيه على من يجيده من جوارى زبيدة ، وقولي : أخذته من بعض عجائز المدينة ، ففعلت ، وشاع أمره حتى فنى به بين يدي المأمون ، فقال المأمون للجارية : ممن أخذت هذا ؟ فقالت : من دار عبد الله بن طاهر من لميس جاريتته ، وأخبرتني انها أخذته من بعض عجائز المدينة . فقال المأمون لأبي محمد ، اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، ويلك ! قد صرت تسرق الغناء وتدفيه ، اسمع هذا الصوت ، فسمعه اسحاق ، فقال : هذا وحياتك لحنى ، وقد وقع علي فيه نقب من لص حاذق ، وأنا أغوص عليه حتى أمرفه ، ثم بكر اسحاق الموصلي الى عبد الله بن طاهر فقال : أهذا حقى وحرمتي وخدمتي ! تأخذ لميس لحنى فتغنيه في " وهبت شمال " . . . وليس بي ذلك ، ولكن بي أنها فضحتني عند الخليفة وأدعت انها أخذته من بعض عجائز المدينة ، فضحك عبد الله وقال : لو كنت تكثرون عندنا كما كنت تفعل لم تقدم عليك لميس ولا غيرها ، فاعتذر فقبل عذره عبد الله وقال لاسحاق : أى شيء تريد ؟ قال اسحاق : أريد أن تكذب

لميس نفسها عند من ألقته عليها ، حتى يعلم الخليفة بذلك ، قال عبد الله بن طاهر : افعل ،
ومضى اسحاق الى المأمون وأخبره القصة ، فاستكشفها من لميس حتى وقف عليها . وجعل
المأمون يعيث باسحاق بذلك مدة .

وكان لحنه في الرمل ، وهو رمل نادر ، ابتداءؤه صياح ، ثم لا يزال ينزل على تدريج
حتى يقطعه على سجحة (١) .

وهكذا أراد عبد الله تأديب اسحاق الموصلبي بمعاودته وزيارته وأن يبرهن له ولغيره
أنه ان لم يكن أقدر من اسحاق في صنعة فانه لا يقل عنه فرمى بسهمه مصغورين . وليست
هذه المرة التي بها يبرهن على اسحاق وغيره بل كانت صنعة دائمة وقد قال لاسحاق يوما :
اني قد علمت ابياتا فاسمعها . قال : هانها . فأنشد عبد الله بن طاهر صوته :

| | |
|---------------------------------|---------------------------------|
| أحاطت به الاحزان من كل جانب | ألا من لقلب مسلم للنوائب |
| على الصبر من بعض الظنون الكواذب | تبين يوم الدين ان امرأه |
| دم صبه بين الحشا والترائب | صوت : حرام على دامي فؤادي بسهمه |
| فهل بدمي من نائر أو مطالب | أراق دما لولا الهوى ما أراقه |

فقال اسحاق لعبد الله : ما سمعت أحسن من هذا قط . فقال عبد الله لاسحاق :
اصنع فيه . فصنع فيه لحننا ، وأحضره عبد الله وصيفة له . فألقاه اسحاق عليها حتى أخذته .
فقال عبد الله لاسحاق : انما الموت ان أتسلّى به في طريقي لمحاربة بابك الخرمي
- وتذكّرني به الجارية أمرك اذا فنته . فكان كلما ذكر عبد الله ، أتى اسحاق برّه ، الى
أن قدم ، عدة دفعات . وكان خفيف رمل (٢) .

(١) الاغانى (ط - دار الكتب) ٢٢٦ : ٥ - ٢٦٨ و (ط - دار الثقافة) ٢٢٤ : ٥

(٢) نفس المصدر ٤١٣ : ٥ - ٤١٤ نفس المصدر ٢٧٨ : ٥

ففي الصنعة الاولى أثبت حذقه في التقليد وفي الثانية مهارته في الصنعة والعمل .
ولم تتوقف قدرته منذ حد يهما بل تجاوز الى صنعة الالحن " الاصوات " والغناء " التغني " (١).
فنجده يصنع صوتا ثقيلا ، أولا بالوسطى في :

أيا شجر الخابور ما لك مورقا كأنك لم تحزن على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى ولا المال الا من قنا وسيوف

والشعر لاخت الوليد بن طريف الشاري . فعبد الله كان بمحل من علو المنزلة وعظم القدر
ولطف مكان من الخلقة ، يستغنى به من التقريظ له والدلالة عليه - على حد قول أبي الفرج -
وأمره مشهور منذ الخاصة والعامة ، وله في الادب والغناء المحل الذي لا يدفع (٢) . وقد
عمل صوته أيضا في شعر مسعود بن شداد أو غيره وهو :

هلا سقيتم بني سهم اسيركم نفى فداؤك من ذى غلة همدانى (٣)
والغناء فيه خفيف ، ثقیل بالبنصر ، صنعه ونسبه الى مالك بن أبي السمع .

ولكنه مع احاطته بالغناء والاصوات فان مبد الله لم يكن يحب ان يشيع عنه شيء من هذا
ولا ينسب اليه لأنه كان يترفع من الغناء ، وما جنى بيلع وترا قط ولا تعاطاه ، مع علمه في هذا
الشأن بطول الدربة وحسن الثقافة ما لا يعرفه كبير أحد . فبلغ من علم ذلك ان صنع أصواتا
كثيرة ، فألقاها على جواريه ، فأخذ ن منه وفنن بها ، وسمعها الناس منهم ومن أخذ عنهم
فكانت داهية جارية لآل الفضل بن الربيع قد أخذت صوت مبد الله المنسوب الى مالك بن
أبي السمع من جوارى مبد الله ، وهي لا تدري انه من صنع مبد الله ، وكانت ترفب الى مبد

(١) الافاني (ط - دار الكتب) ١٢ : ٩٣ و (ط - دار الثقافة) ١٢ : ٨٥
(٢) نفس المصدر ١٢ : ١٠٦ - ١١٠ " " ١٢ : ٩٢ - ١٠١
(٣) نفس المصدر ١ : ٩٦

الله بن طاهر كثيرا ، فلما ندب المأمون عبد الله الى مصر أخذ عبد الله راحة هذه معه وكانت تغنيه بذلك الصوت ، ولم يغش عبد الله لها الامر ، وأخذ الممنون أيضا عنها ورواه لمالك مدة . ثم قدم عبد الله العراق ، فحضر مجلس المأمون وفنى الصوت بحضرته ونسب الى مالك فضحك عبد الله كثيرا . فسئل عن القصة فصّدق واعترف بصنعة ، فكشف المأمون من ذلك ، فلم يزل كل من سئل عنه يخبر عن أخذه منه فتنتهي القصة الى راحة ثم تقف ولا تعدوها . فأحضرت راحة وسئلت فأخبرت بقصته ، فعلم انه من صنعة حينئذ بعد أن جاز على اسحاق الموصلي وطبقته انه لمالك .

نرى في هذا أيضا مهارة عبد الله واستيلاءه على الصنعة بحيث لا يتردد اسحاق بقبول الصوت من صنع مالك بن أبي السمع حتى يعلم أنه لعبد الله ، ولم يعجب اسحاق شي منه وجبه من عبد الله وخذقه بمذاهب الاوائل وحكاياتهم (١) .

والاصوات التي غنى فيها عبد الله كثيرة . وكان ابنه عبید الله اذا ذكر شيئا منها قال : الغناء للدار الكبيرة يعني لابني عبد الله ، واذا ذكر شيئا من صنعة قال : الغناء للدار الصغيرة .

ومن صنعة عبد الله بن طاهر في الالحن فناء لابن طنيرة خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى . أما لحن عبد الله فيه فتشائي ثقيل بالبنصر وهو :

راح صبحي وراود القلب داء من حبيب طلابه لي فناء

حسن الرأي والمواعيد لا يلغسي لشيء مما يقول وفاء

من تعزى من يحب فانسى ليس لي ما حييت منه فزاء

(١) الافاني (ط - دار الكتب) ١٢ : ١١٢ و (ط - دار الثقافة) ١٢ : ١٠١

وكان عبد الله نسبة الى جاريته لميس (١)

ولعبد الله لحن آخر يقول فيه :

فغيرى اذ غدوا فرحا (٢)

فمن يفرح بينهم

وغناؤه في شعر منصور النصرى :

حيّا كما الله بالسلام

يا زائرنا من الخيام

ولم تنالا سوى الكلام

يحزنني ان اطفأتنا بي

بطاعة الله ذى امتصام

بورك هارون من امسام

ليست لعدل ولا امسام

له الى ذى الجلال قربي

وهذا الغناء رمل (٣) .

وكان يعرفه المأمون والمعتصم ويعرفون مكانته وولعه بفنّه وحبّه له ، فكان عبد الله

قد وجد على بساط طبرى اصبهذى أهدي اليه من طبرستان بيتين من الشعر هما :

من هوى لا يساف

لجّ بالعين واكف

هيجه المعازف

كلما كف غرهم

نقال لاسحاق الموصلى ان يغنيه فيهما ففعل ، فأوجب بالصوت ووصله بصلة سنّية ، وكان يشتهيّه

ويقترحه ، فطرحه اسحاق على جوارى عبد الله ، وشاع خبر اوجاب عبد الله به ، فبينما المعتصم

يوما جالس يعرض عليه فرش الربيع ، اذ مر به بساط ديباج في نهاية الحسن عليه هذان

البيتان ومعهما بيتان آخران هما :

(١) الاغانى - دار الكتب ٨ : ٢٦٦

(٢) الاغانى - دار الثقافة ١٢ : ١٠٣

(٣) الاغانى - دار الكتب ١٣ : ١٢٩

انما الموت ان تفــــا رق من انت آلف
لك حَبان في الفسوا د تلبد وطارف

فأمر المعتصم بالبساط فحمل الى عبد الله بن طاهر ، وقال المعتصم للرسول : قل لعبد الله اني قد عرفت شغفك بالغناء في هذا الشعر ، فلما وقع البساط أحبيت ان أتم سرورك به . فشكر عبد الله ما تأدى اليه من هذه الرسالة وأعظم مقداره وقال لاسحاق الموصلي : لسروري بتمام الشعر أشد من سروري بكل شيء . فالحقهما اسحاق في الغناء بالبيتين الاولين بأمره (١) .

ولقد جمع عبد الله بن طاهر يوما بين المغنين وأراد اختبارهم فأخرج بدرة دراهم سبقا لمن تقدم منهم وأحسن ، فحضره مخارق وعلوية وعمرو بن بانه ومحمد بن الحارث بمسخور . فغنى علوية فلم يمنح شيئا ، وتبعه محمد بن الحارث فكانت هذه سبيله . فامتدت الامم الى مخارق وعمرو . فبدأ مخارق فغنى : اني امرؤ من خيرهم عمي وخالي مسن جذام ، فلما جاء دور عمرو نهنه مع انقطاع نفسه حتى غنى :

يا رب سلامة بالمنحني كبحيف سلح جادك الوايل

وكان ابراهيم بن المهدي حاضرا فبكى طربا وقال : أحسنت والله واستحققت ، فان اعطيته والا فخذ من مالي ، يا حبيبي عني أخذت هذا الصوت وقد - والله - زدت علي فيه وأحسن غاية الاحسان . فقال له عبد الله : من حكمت بالسبق فقد حصل له . وأمر بالبدره فحملت الى عمرو بن بانه . فبلغ الخبر اسحاق الموصلي وأيد تفضيل عمرو بن بانه على منافسيه (٢) .

(١) الاغاني - دار الكتب ٤٢٨ : ٥ - ٤٢٩ و (ط - دار الثقافة) ٣٩١ : ٥

(٢) الاغاني (ط - دار الثقافة) ٢١٦ : ١٥ و (ط - دار الكتب) ٢٧٥ : ١٥

نجد عبد الله هنا أدبيا ناقدا وفي كل حالاته - وقد رأينا مع الشعراء في بحث
الادب كذلك - ولكنني أشك في حكمه هنا بالذات هل صدر من ايمان وعقيدة أو أنه احتياط
في الامر وصانع ولم يرد تجريح ابراهيم بن المهدي وهو من الخليفة واثارة غضبه وكرهه
ضده - وقد رأينا ابراهيم كيف ذم ظاهرا فيما سبق بقوله •

- لأنني أرى عبد الله يقول : لو اقتضت على رجل واحد لما اخترت سوى علوية ،
لأنه ان حدثني ألهماني وان غناني أشجاني ، وان رجعت الى رأيه كفاني (١) . فكيف
يناقض قوله فعله ؟ بقي لنا ان نقول : فكيف يفضل اسحاق الموصلي عمرو بن بانه ملى
ملويه ؟ فأرى ان سببه عداؤه لعلوية وكرهه له فلعله كان ملى خلاف مع ملويه أو حقه له
والدليل على ذلك هو أنه لما أخبر بذلك قال له ولعمرو بن راشد الخناق لو شمس
عبد الله لكان في راحة من ذلك لأن مخارق فهو أحسن القوم غناء اذا اتفق له ان يحسن
وقلما يتفق له ذلك ! وأما محمد بن الحارث فأحسنهم شمائل وأملحهم اشارة بأطرافه
ووجهه في الغناء ، وليس له غير ذلك ، وأما عمرو بن بانه فأعلم القوم وأرقاهم ، وأما ملويه فمن
أدخله ابن الزانية ! مع هؤلاء (٢) . واسحاق ذا نفسية حاسدة حاقدة نجده يحسد
تلميذه زرياب ذا المواهب في الغناء فيحس زرياب حمدا استأذه ويسير الى الاندلس
خشية ايقاعه به فيحدث هناك انقلابا في الغناء ويخلد في تاريخ الاجيال الى يومنا هذا •

ومما صنعه عبد الله ونسب الى غيره هو الخفيف الثاني المنسوب الى فليح وقد

غير - كما ظن ابو الفرج - في دور الطاهرية فكان يغنى في زمان أبي الفرج هكذا :

أيا جارتا دومي فانك صادقة ومومنة فينا كذلك وامنة

(١) الاغاني (ط - دار الثقافة) ٣٢٠ : ١١ و (ط - دار الكتب) ٣٤٢ : ١١

(٢) الاغاني (ط - دار الكتب) ٢٧٥ : ١٥

ولم نفترق ان كنت فينا دنيئة ولا ان تكون جئت فينا بياقة (١)

وكان عبد الله لا يكتفي بالقليل في الأدب والغناء فكان يحاول التفوق دائما أصنعه
هو أم صنعه له غيره ولذا فقد أمر اسحق بن ابراهيم ليصنع له لحنا يجمع النغم العشر
فصاغ اسحق بأمر عبد الله لحنه في :

يم تبدى لنا قتيلة من جـــــديد تليح تزينه الاطواق
وشتمت كالافحوان حلاه الطلل فيه مذبذبة واتساق

فلم يكن في غناء العرب جميعا صوتا بطوله (٢) .

ولعبد الله بن طاهر أخبار كثيرة في الغناء والموسيقى مبشرة في الكتب المطبوعة
والمخطوطة التي وصلت إلينا لم تصل . كما عمل يحيى المكي - وهو الامام في الغناء
والموسيقى يومئذ - كتابا في الغناء والنغم يضم نسب الصوت للمتقدمين وأهداء الى عبد
الله بن طاهر ، وهو يومئذ حديث السن ، فاستحسنه عبد الله وضم الكتاب الى خزائنه (٣) .

اما اقتناؤه الجوارى ، فلم يكن لعبد الله بن طاهر جارية واحدة كالميس ، كذلك لم
يتصل به ويرغب فيه مغن واحد أو جارية كداحة ، بل كانت من الجوارى الادبيات والمغنيات
أسراب بحيث فغل التاريخ ذكر كثير منهن أو ضاعت المصادر التي كتبت منهن الا ما يلتقط
من بطون الكتب كشذرات منشورة وقطعات مبثوثة . وقد ذكرت بعض المصادر نفا من
جواريه دون ذكر اسمائهن . فنجد في كتاب المستجد قصة من جارية كانت خطيبة عنده

(١) الاغانى (ط - دار الكتب) ١٢٢ : ٩ - ١٢٣

٦٠ : ٩

(٢) نفس المصدر

١٢٦ : ٩ - ١٢٥

(٣) نفس المصدر

ثم وهبها لكاتب مندم (١) . ونقع على اسم جارية اخرى وهي محبوبة أهداها عبد الله بن طاهر من جملة اربعمائة جارية الى المتوكل (٢)

والمعروف عن عبد الله أنه اذا بلغه من جارية ادبية مغنية أقدم على شراءها مهما كلفت . وكان من اصحابه ابو السمراء يبلغه بذلك ويبحث له عن مثل هذه الجوارى . فدخل ابو السمراء نزل نخاس في شراء جارية ، فسمع في بيت ، بازا البيت الذي كان فيه ، صوت جارية وهي تقول :

وكما كره من قطاني مفازة لدى خفتي ميمش معجب مونق رغد
أصابهما رب الزمان فأفردا ولم نر شيئا قط أوحش من فرد

فقال ابو السمراء للنخاس : أعرض علي هذه الجارية المنشدة . فقال النخاس : انها شعثة مرها ، حزينة ، اشتريتها من ميراث فهي باكية على مولاها . ثم لم يلبث ابو السمراء أن أنشدت الجارية :

وكما كفصني بانه وسط روضة نشم جنى الروضات في ميمشة رغد
فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع فيا فردة باتت تحن الى فرد

فكتب ابو السمراء الى عبد الله بن طاهر يخبره بخبرها . فكتب عبد الله اليه أن ألق عليها هذا البيت ، فان أجابت فلاشتها ولو بخراج خراسان ! والبيت :

بعيد وصل قريب صد جعلته منه لي ملاذا

فالتقاء عليها ابو السمراء . فقالت الجارية في سرورة :

(١) المستجاد من فعلات الاجواد : ٢٣٢

(٢) نهاية الارب ١١٢ : ٥

وعاتبوه فذاب عشقا ومات وجدا فكان ماذا

ناشترها ابو السمراء بألف دينار وحملها الى عبد الله ، فمات في الطريق قبل أن تصل اليه ، فكانت إحدى الحسرات الى عبد الله بن طاهر (١) .

ومن علو شأن الرجل وترفعه عما يسمى سمعته ويضر بجواريه واخلاقهن نجده يستحي أن يعرف عنه انه سمع مثل عبيدة الطنبورية مثلا لتفاهة شخصيتها والاباحية غير المحدودة التي عرفت بها . ولعل عبد الله كان عن شغف اليها ورغب في الاستماع الى غنائها - كلما كان يحضر لغناء شارية ولكنه يبتعد من الطنبورية لانحلال اخلاقها وسمعتها المبيته مع أنها كانت ابنة صباح مولى أبي السمراء الغساني صديق عبد الله ولكن مسألة الاتصال بمثل الطنبورية ومن لف لفها والاستماع اليها ، أو ظهور الرغبة في مجالستها أمر كان يتوقاه بعض الشخصيات المعروفة كعبد الله بن طاهر واسحق بن ابراهيم المصعبي وغيرهما من الامراء والاشراف . ولذلك لا نجد في الاخبار ذكرا للطنبورية ونظائرها في مجالس عبد الله أو حضور عبد الله في مجلس فئت فيها الطنبورية وأمثالها (٢) .

٤- طاهر بن عبد الله :

أما طاهر الثاني فيظهر أن بلاطه لم يخل من الجوارى والمغنيات وان صح رأينا فيما أبديناه في الكلام عن أبيه عبد الله من افتراضنا اهداء محبوبة للمتوكل مع اربعمائة جارية اخرى كان من قبل طاهر وليس من جانب أبيه فقد توصلنا الى هذه الغاية بأن بلاطه كان يموج بالجوارى بحيث يهب أو يهدى اربعائة منهن الى الخليفة دفعة واحدة

(١) الامالي ٢ : ٢٣

(٢) نهاية الارب ٥ : ١١٤

أو دفعات . وهذا ليس بغريب فان ظاهرا ربيب مدرسة عبد الله الاستاذ البار كما
انه أخو عبید الله المتفوق على أهل مصره .

واختفاء اخبار مجالس فنائه لا يدل على عدم وجود ذلك اذ الشرب يستدعي الغناء
ومجالسه فهو شاعر اديب من جهة ، ويهوى الصيد ويقيم مجالس الشرب فيغنيه فيه مغن
أو مخنية على أقل تقدير . وصادف ان خرج مرة الى الصيد وقد خرج معه علي بن الجهم
مرافقا له واتفق لهم مِرْج كثير الطير والوحش ، وكانت ايام الزعفران ، فاصطادوا صيدا
كثيرا حسنا ، وأقاموا يشربون على الزعفران واستأنسوا يومهم وقضوه في مرج وارتياح . ولقد
وصف لنا ابن الجهم ذلك المنظر والمنتزه ومواقف الصيد دون وصف مجلس الشرب ولكن
انبأت الشيء لا ينفي ما عداه . فقال ابن الجهم :

| | |
|-----------------------------|----------------------------------|
| وطئنا رياض الزعفران وأمسكت | علينا البزاة البيق حمر الدراج |
| ولم تحمها الادفال منا وانما | أبحنا حماها بالكلاب النوابج |
| بمستروحات ملابحات بطونها | على الارض امثال السهام الزوالج |
| ومستشرقات بالهوادى كأنها | وما فقت منها رؤوس الصوالج |
| ومن دالعات السنا فكأنها | لحي من رجال خاضعين كواسج |
| فلينبها الغيطان فليا كأنها | أنامل احدى الغانيات الحوالج |
| فقل لبغاة الصيد هل من مفاخر | بصيد وهل من واصف أو مخارج ؟ |
| قرنا بزاة بالصقور وحوست | شواهيننا من بعد صيد الزماج (١) . |

هذه قطرة من بحر طهره لم نعر على أكثر منها وكما يقول المثل الفارسي : مشيت نمونه خروا ورزمت * ، أي ان الحفنة تتبي من أطنان لأنها النموذج والمسطرة لذلك أوردنا ذكر مجلس من مجالسه وما وصل إلينا خبره .

هـ - محمد بن طاهر الثاني :

ومحمد بن طاهر الثاني هو الآخر من ضمرت أخباره وضاعت واختفت إلا ان أبا الفرج احتفظ بشيء يسير جدا يدلنا على كبر اذ الذرة ام الاشياء فنقل خبرا واحدا من كتاب محمد بن طاهر يوحى هذا الخبر بوجود كتاب في الاغانى لمحمد هذا رآه الاصبهاني ونقل عنه ، ولكن طمرته الايام فاخفى من الانظار . أما الخبر فهو لا يخص آل طاهر مطلقا وانما هو من اخبار الرشيد منقول في ذلك الكتاب (١) .

ولعل محمدا - ولا مجال للشك فيه - كان تالي تلو أبيه وجده ومعه عبيد الله ومحمد بن عبد الله يقتني الجوارى الغانيات ويحضر في مجلسه المغنيات أو يحضرهن هو فلا فرق فيه ان الغرض حبه لهذا الفن وتشاغله به وبأخباره .

(١) الاغانى (ط - دار الكتب) ١٠ : ١٧٥ - ١٧٧

الفصل الثالث

الادب والعلم في ظل بني طاهر

تشجيع الطاهريين للآداب والعلم

تشجيع الظاهريين للآداب والعلم والتأليف

١- نظرة عامة :

لقد كان الظاهريون من خيرة المشجعين للآداب والعلم ، فضلا عن اشتغالهم بالآداب ، وكانوا يهتمون بالعلماء والادباء فيغدقون لهم الاموال ومن ذلك ، ما أشرنا اليه قول ابن المعتز في طاهر بن الحسين حيث قال : " انه لا ينفق عنده شيء من متعة الدنيا كما ينفق الأدب (١) . " ولم يكن هؤلاء يسعفون الشعراء المادحين فحسب وانما كانوا ينفقون في ترويح العلم والادب فلقد أمر طاهر بن الحسين القراء أن يصنع لابنهم عبد الله بن طاهر كتاب البهتي (٢) . ومن جليل أعماله في هذا السبيل هو أنه حمل أبا مبيد القاسم بن سلام من مسرو بخراسان وأخذ معه الى بغداد فأصبح هذا فيما بعد من مشاهير العلماء والمؤلفين (٣) . والتاريخ يشهد ببره واحسانه لأهل العلم والآداب .

وكان طلحة بن طاهر يحب العلماء أيضا ويكرمهم ، كما كان يكرم اصحاب الشعر والغناء ، فلما قدم سيويه الى بغداد ، وناظر الكسائي وأصحابه فلم يظهر عليهم ، سأل من ممن يبذل من الملوك ويرغب في الذخو . ف قيل له : طلحة بن طاهر . ف شخص اليه السي خراسان ، ولكنه لما انتهى الى مساره - من نواحي قم - مرض مرضه الذي مات فيه (٤) .

أما الأمير عبد الله بن طاهر الذي كان له اطلاع كبير بالشعر والآداب فقد كان يمتحن

(١) طبقات الشعراء : ١٨٦

(٢) معجم الادباء - مرجليو - ٢ : ١٣٢

(٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥

(٤) نزهة الالباء في طبقات الادباء : ٤١

الشعراء أحيانا . فلما وفد اليه عدة من الشعراء ، وعلم أنهم على بابه قال لخادمه وكان أديبا : اخرج الى القوم وقل لهم : من كان منكم يقول كما قال كلثوم بن عمرو في الرشيد فليأت والا فليرحل . فدخل أربعة . ثم خرج الخادم ثانية وقال : من يضيف الى هذا البيت على حروف قافيته بيتا ؟ وهو :

لم يصح للبين منهم صرد وغراب لا ولكن طيطوى
فقال رجل من اهل الموصل :

فاستقلوا بكرة يقدمهم رجل يسكن حصنى نينوى

فقال عبد الله للرسول : قل له لم تعمل شيئا ، فهل عنده غيره شي ؟ فقال ابو السناء القيسي :

ونبيطي طفا في لجة صاح لما كظم التعطيط وى

فصّوه عبد الله وأمر له بخمسين دينار .

وقال عبد الله بيتا هو :

قبرة تنقر في قرية وسط قراح لبني منقر

ثم قال للشعراء : من كان منكم يجيب ببيت مثله فيه خمس قافات وخمس رايات ؟ فقال بعض الشعراء :

مرت به منقر واستأنست بقرى ينقر مع قسنبر

فصّوه عبد الله وأجازه (١) . كما رأينا استرذل شعروا واستضعفه ورده عليه (٢)

فله اذن آراء النقدية .

(١) كتاب بغداد : ١٦٤

(٢) معجم الادباء : ٦ ، ٩٥ ، وطبقات ابن المعتز : ١٩٠

وكان يحيط به أنصار الشعر المطبوع حتى أنه كان يعتمد عليهم في الحكم بجودة الشعر وردائه . ولذلك فقد رسم في أمر من يقصده من شعراء الاطراف ان يؤخذ المديح منه فيعرض على ابي سعيد المكفوف مؤدب ولده أولا (١) ، وقيل على ابي العمشيل (٢) ، وقيل على كليهما (٣) ، فما كان منه يليق بمثله أن يسمعه من قائله في مجلسه أنفذه ابو سعيد اليه - والقائل له معه ، فأنشده اياه في مجلسه . وما لم يكن بالجيد أو كان مهجنا لم يعرضه ولم ينفذه أو تقدم بين القاصد به .

وتشير الروايات الى أن ردودا حصلت فعلا من قبل هؤلاء الحكماء والمعتمدين ، فلما رحل أبو تمام - وكان امام مذهب الصنعة والتصنيع في الشعر - بلاط عبد الله بن طاهر بخراسان وامتدحه بالقصيدة التي أولها :

أهـن عوادي يوسف وصواحيه فعزما قدما أدرك الثأر طالبه

رفعت القصيدة الى أبي سعيد ، وكان خبر أبي تمام عنده ، فلما قرأ الكاتب عليه أول بيت منها افتأظ لذلك ، وقال للكاتب : ألقها ، أخزى الله حبيبا ، يمدح مثل هذا الملك الذي فاق أهل زمانه كمالا بقصيدة يرحل بها من العراق الى خراسان ، فيكون أولها بيت نصفه مخروم والنصف الثاني مويص ! وتمكن له في نفس أبي سعيد كراهة ذلك . ثم ان أبا سعيد - وقيل أبا العمشيل (٤) - لقي أبا تمام ، فقال له : يا أبا تمام ، لم لا تقول من

(١) الموشح للرمزياني : ٤٩٩

(٢) سر الفصاحة للخفاجي : ٢١٦

(٣) شرح ديوان الحماسة للرمزي نقلا من كلام التبريزي ١ : ٣ - ٤

(٤) سر الفصاحة للخفاجي : ٢١٦

قال التبريزي في شرح ديوان الحماسة أن أبا العمشيل وأبا سعيد قد أسقطا البيت

الاول من قصيدة أبي تمام بعد أن سمعا ما تلاها من الابيات بقوله :

وركب كأطراف الاسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

واستحسننا هذين البيتين وما بعدهما من الابيات وعرضا القصيدة على عبد الله بن طاهر

وأخذاه ألف دينار .

الشعر ما يفهم ؟ قلل له أبو تمام ، وأنت يا أبا سعيد لم لا تفهم من الشعر ما يقال (١) .
ويبدى الخفاجي رأيه في قولهما فيقول : ان الذى قاله أبو تمام وأبو العمّيل صحيح ، لأن
أبا العمّيل طلب من أبي تمام ان كان حاذقا في صناعة الشعر ، وقد قصد مثل عبد الله
بن طاهر بالمديح ، أن يكون شعره مفهوما واضحا يسبق معناه لفظه ، فكان هذا من أبي
العمّيل صحيحا في موضعه ، وطلب أبو تمام من أبي العمّيل ان كان يدعى علم الشعر
ويتحقق بالادب ، ويخدم عبد الله بن طاهر في امتراض قصائد الشعراء ، وترتيبهم على مقدار
ما يستحقه كل منهم بحظه من الصناعة ، ان يكون يفهم معاني الشعر ، ويطلع على الغامض
والظاهر منها ، وكان هذا من أبي تمام صحيحا أيضا ، وكانا فيه بمنزلة من يقول لصاحبه :
لم فعلت ذلك الفعل وهو قبيح ؟ فيقول : كما فعلت أنت ذلك الفعل الآخر وهو قبيح ، فيكون
كل واحد منهما قد أجاب من طريق الجدل ، وان كان لم يدل على أنه اصاب وأخطأ
صاحبه (٢) .

ولقد حدث مثل هذا في موضع آخر وهو أن شاعرا من البصرة يقال له روح قدم على
عبد الله بن طاهر فامتدح عبد الله بقصيدة ومدح عوفا بن محلم بأبيات ، فأنزله ابن محلم
الخزاعي منده وأحسن اليه .

ولما سمع أبياته وجدها ضعيفة جدا ، فقال لروح : أنشدني ما قلت في الامير
- واستدل بما سمع ضعف نمط الرجل - فأنشده روح القصيدة . فقال له عوف : لا توصلها
اليه ، فان الامير بصير بالشعر ، وهو يقول منه الجيد القوي ومثل هذا الشعر لم يقع منسه
موقعا ينفعك ولكني أقول فيه مدحة فانتحلها والقه بها . فأبى روح وظن ان محلم يقول

(١) الموشح للمزنياني : ٥٠٠

(٢) سر الفصاحة للخفاجي : ٢١٢

ذلك حسدا ، وكان الرجل رقيقا لا يظن لعيب نفسه ، فقال له عوف : فشأنك اذا وما تريد .
فأنشد روح قصيدته عبد الله . فقال له عبد الله : بمثل هذا الشعر يلقي الامراء والملوك ؟
أيقبل مثل هذا حر ؟ وردّها عليه . فصار روح الى عوف وشكا اليه . فقال له عوف : ألم
أنصحك ؟ ألم أقل لك : انه لا يقبل مثل هذا الشعر ؟ فلما دخل عوف على عبد الله بن
ظاهر قال له عبد الله : ويحك يا أبا محلم ، أما سمعت شعر هذا القادم علينا فينا ؟ قال
عوف : بلى ، أعز الله الأمير ، قد سمعته ونصحت له فلم يقبل وقال لي ذلك عوف :

| | |
|-----------------------|------------------------------|
| أنشدني روح مدحا له | فقلت شعرا ؟ قال لي : فأيش ؟ |
| فصرت لما ان بدا منشدا | كأنني في قبة الخيش |
| وقلت زدني وتفهمته | والثلج في الصيف من العيش (١) |

وكان عبد الله يشجع المؤلفين ليؤلفوا له كتباً ويبدل لهم بسخا . فكان ممن يشجع
حركة التأليف فقد طلب عبد الله الى الغراء أن يكتب له فألف له كتباً منها كتاب المذكر
والمؤنث وكتاب البهي (٢) . فاستحسنه وشره كثيراً وضمه الى خزائنه (٣) .

وهو الذي جلب معه العلماء والادباء الى نيشابور حين ولي عليها أمثال الحسين
بن الفضل البجلي ، أبو سعيد العزيز ، أبو اسحاق القرشي ، أيوب الرهاوي ، عرام ، أبو
العمثيل ، عوف بن محلم ، أبو العيسجور ، أبو العجنس ، موسى و أبو الغدافير وغيرهم
كثير (٤) . فتوسعت الحركة العلمية بنيشابور أكثر من ذي قبل وكان من متطلبات ذلك

(١) أورد الخبر بالتفصيل طبقات الشعراء لابن المعتز : ١٦٠ ، ومعجم الادباء (مرجليوث)

٩٥ : ٦

(٢) معجم الادباء (مرجليوث) ٢ : ٢٧٨ و ٢ : ١٢٢

(٣) الافاني (ط - دار الكتب) ٦ : ١٧٥ - ١٧٦

(٤) معجم الادباء ٣ : ١٧ - ٢٤

انشاء مكتبة كبيرة تضم مختلف الكتب رائجها ونادرها فأسس مكتبة راقية - مع وجود مكتبات أخرى ترخر بالكتب وجلب اليها أنواع الكتب فسميت بخزائن الظاهرية ظلت عامرة الى نهاية العصر الظاهري بل وما بعد ذلك . فلم تكن نحر على كتاب العين للخليل الا في هذه الخزائن (١) ، وله أعمال جليلة كثيرة في المضمار الادبي .

ولجمعه العلماء في بلاطه بخراسان قصة طريفة هي أنه لما قلده المأمون ولايته خراسان وناولوه العهد بيده قال عبد الله : حاجة يا أمير المؤمنين . قال المأمون : مقضية . قال : يسعفني أمير المؤمنين في استصحاب ثلاثة من العلماء . قال : من هم ؟ قال : الحسين بن الفضل البجلي وأبو سعيد الضرير وأبو اسحاق القرشي . فأجابه المأمون السي ذلك . فقال عبد الله : وطيب يا أمير المؤمنين ، فليس في خراسان طبيب حاذق . قال : من ؟ قال : أيوب الرهاوي . فقال : يا أبا العباس ، فقد اسعفناك بما التمسته وقد أخليت العراق من الافراد . وقدّم عبد الله بمن معه من الافراد خراسان . فأما الحسين بن الفضل فانه بقي في نيسابور يعلم الناس العلم ويفتي الى أن مات ٢٨٢ هـ وقيل منه أنه لو كان في بني اسرائيل لكان من عجائبهم . وأما أبو سعيد فصار بهم اماما في الادب وكان أديب النفس ماقلا يؤيد ذلك ما قاله عبد الله بن طاهر وذلك عندما حضر أبو سعيد مجلس عبد الله يوما قدّم اليه طبق عليه قصب السكر وقد قشروقطع كاللحم ، فأمره عبد الله أن يتناول منه . قال أبو سعيد : ان لهذا لفاظة ترتجع من الافواه ، وأنا أكره ذلك في مجلس الأمير أيده الله . فقال له عبد الله : تناول ، فليس بها حيك من احتشمك واحتشمته ، أما انه لو قسّم عقلك على مائة رجل لصار كل رجل منهم ماقلا . ولقد كان أبو سعيد هذا يختار المؤدبين لأولاد قواد عبد الله بن طاهر ويبيّن مقدار أرزاقهم ويطوف عليهم ، ويتعهد

(١) اخبار الخليل بن احمد الفراهيدي من الفهرست : ٤٢

من بين أيد يهم من أولئك الصبيان ، فاستقبله يوما ، في ميدان الحسين ، بعض أولئك المؤدبين . فقال له : يا فلان ، من أين وجهك ؟ قال المؤدب : من شاذياخ . قال أبو سعيد : زد فيه ألفا ولاما ، فقال المؤدب : من شاذياخال . قال أبو سعيد : اللهم ففرا ، زدهما في أول الحرف ويك ، فقال : ألف لام شاذياخ . فقال : هم صدك كم رزقك ؟ قال : سبعين درهما . فقال : يصرف ويبدل به غيره وهو صاغر صد (١) .

ولم يكن عبد الله قد استصحب معه العلماء فحسب وانما جلب معه جماعة من فرسان طرسوس وملطيق وجماعة من ادباء الامرأب منهم مرام وأبو العنثيل وأبو العيسجور وأبو العجّس وموسجة وأبو الغدافير وغيرهم فتفرس أولاد فواده بأولئك الفرسان وتأدبوا بأولئك الامرأب (٢) .

وكان طاهر بن عبد الله يحب العلماء ويحترمهم ويحترم اساتذته فلما بلغه من القاسم بن سلام علة بعث بمتطبيب اليه مع خادم له الى دار أبي مبيد القاسم بن سلام ليداويه ويعالجه (٣) .

وكان مبيد الله بن عبد الله استاذا في الموسيقى يؤخذ برأيه وفي الشعر والنقد والادب كذلك وقد كان ينافس أخاه محمدا في تكريم العلماء كما فعل ذلك في ايصال الزبير بن يكار (٤)

وكذلك محمد بن عبد الله بن طاهر فانه كان يكرم العلماء ويقدر مقامهم فقد نرى

(١) الصاغر الصد : الدليل الضام .

(٢) معجم الادباء ٣ : ١٢ - ٢٣

(٣) طبقات النحويين واللغويين ٣ : ٤٠

(٤) الاغانى (ط - دار الكتب) ١ : ٤٢ - ٤٣

تكريمه لأحمد بن يحيى نعلب كثيرا ولا سيما ان نعلبا كان معلم ابنه (١) .

٢- الاهتمام بالموسيقى :

ولاهتمام الطاهريين بالغناء شجعوا التأليف في الموسيقى فكان التراجمة عندهم يترجمون لهم الكتب الموسيقية (٢) ، ويقول أبو الفرج : ان كتاب يحيى المكي في الغناء - وهو من أول الكتب التي وضعت في هذا الباب - انما عمله لعبد الله بن طاهر ، وكان لا يزال شابا حديث السن (٣) .

وكان الطاهريون شديدي التعصب للغة العربية كثيرا لأنها لغة القرآن الكريم ولغة الصلاة والدين ولأنهم امتقدوا بأن اللغة الفارسية أصبحت لغة الشرك وقد ولى زمنها فكانوا لا يستعملونها - وكلهم يعرفونها ويتكلمون بها جيدا ، وقد حدا بالطاهريين ولا سيما أمقاب طاهر بن الحسين أنهم كانوا يمنعون نشر الكتب البهلوية ولم يهتموا بالفارسية والدرية (٤) ، بحيث أمروا بحرق ما وجد مكتوبا بالفارسية أو القاءه في الآبار ، وقد بلغنا من عبد الله بن طاهر ، أمير خراسان ، أنه كان جالسا ذات يوم بنيسابور فأتيه رجل ، وقد حمل معه كتابا ليقدمه الى الأمير ، وأهداه كتابا فارسيا . فسأل عبد الله بن طاهر الرجل قائلا : ما هذا الكتاب ؟ فأجاب الرجل انه كتاب وامق والعدراة وفيه قصة لطيفة جمعها الحكماء لأنوشروان الملك . قال عبد الله : انا قوم نتلوا القرآن وليس لنا حاجة في ما سواه ، ولا دامي لمثل هذه الكتب لأنها من صنع المجوس وهو غير مقبول لدينا ، ثم أمر

(١) طبقات النحويين واللغويين : ١٦٣ - ١٦٤ ومعجم الادباء (مرجليوت) ٢ : ١٤٤

(٢) الافساني ٥ : ٢٧٠

(٣) المصدر نفسه ٦ : ١٧٥

(٤) لباب الالباب - محمد عوفي - ط - ليون ٢ : ٢

بالبقاء الكتاب في الماء (١) .

ولعل احراق الكتب والمكتبات كان عملا شائعا في تلك العصور تشفيا من عدو أو نكاية فيه فكان كل فئة تحرق كتب غيرها ففعل ذلك عبد الله وبعث الى الاطراف أنه من وجد شيئا من كتب المجوس فليعدمه (٢) . لذلك لم يجد هناك من أثر أدبي في اللغة الفارسية اللهم الا النادر اليسير لأن الشعراء لم يخوضوا فن الشعر باللغة الفارسية حتى أيام سامان والصفاريين وكل ما وجد من الشعر الفارسي في فترة آل طاهر مدونا لا يتجاوز عدد أصابع اليد وما عدا ذلك - ان كان هناك شيئا - فانه لم يدون (٣) فضع شيئا فشيئا . ولم تظهر القومية الايرانية وآدابها وتقاليدها في الدولة الطاهرية كما لم ينبغ في هذا العهد من الشعراء الفارسيين سوى اثنين هما : حنظلة الباذغيسي ومحمود الوراق الهروي (٤) .

٣- الادباء والعلماء الذين اتصلوا بالطاهريين :

كان عدد هؤلاء كثيرا ، ويكفي ان نعد هنا اسما الذين اتصلوا أولا بطاهريين الحسين ، لنستدل على أن كثرتهم تحول دون التصدي لدراساتهم جميعا ، فمن خدموا طاهرا المخزومي الذي مدح طاهرا بقوله :

ولو رأى هرم معشار نائله لقليل في هرم قد جن أو هرما (٥)

وخالد بن جيلوية (٦) ، واسماعيل بن جرير البجلي (٧) ، مقدسي بن صيفي القلوصي (٨) .

(١) تاريخ الادب في ايران - الدكتور صفا : ٢٦

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي - جرجي زيدان ٣ : ٤٥

(٣) الثقافة الايرانية وأثرها في الحضارة الاسلامية والعربية - الدكتور محمد محمدى : ٢٤

(٤) تاريخ الادب الفارسي - الدكتور رضا زاده شفق - ترجمة الهنداوى : ٢٢

(٥) كتاب الصناعتين : ٣٣٦

(٦) وفيات الاميان ٢ : ٢٠٣

(٧) نفس المصدر

(٨) نفس المصدر ٢ : ٢٠٤

خزيمة بن الحسن (١) ، يحيى البوشنجي القصير ، وكان كاتبه وحاجبه (٢) ، والقاسم بن سلام ، وكان عالما ، (٣) والرقاشي (٤) ، وعوف بن محلم (٥) ، وابو العميثل ، وكان كاتبه وشاعره (٦) والصيني ، وكان شاعره (٧) ، واحمد بن سعيد ، وكان قائدا له ومغنيا (٨) ، وأبوزيد ، وكان كاتبه (٩) ، والعباس بن الفضل ، وكان من وجوه قواده (١٠) وابراهيم المرؤزي (١١) ، وأبو القاسم مسلمة بن مهزم الذي مدحه (١٢) ، ودعبل بن علي الخزامي (١٣) ، وسدل بن بشر بن حبيب بن هاني* ، ابو عثمان هانا ، الاسرائيلي (١٤) ، أيوب الرهاوي (١٥) ، وباسيل (١٦) وغيرهم كثير (١٧) .

ولكني سأحاول في الصفحات التالية أن أترجم لأهم الادباء والعلماء الذين شجعهم الطاهريون وسأعرض أسماءهم حسب صلتههم التاريخية بأمراء الدولة الطاهرية ، فاذا ما صر بعضهم غير واحد من اولئك الأمراء استندت الحديث عنه في موضع واحد ، ولم أعرض لذكره

-
- (١) تاريخ الخلفاء : ٣٠١
 - (٢) كتاب بغداد : ٢٠
 - (٣) تاريخ بغداد : ١٢ : ٤٠٥
 - (٤) طبقات الشعراء : ٢٢٧
 - (٥) نفس المصدر : ١٨٦ : ١٩٣
 - (٦) نفس المصدر : ٤٤٢
 - (٧) نفس المصدر : ٣٠٤ و ٤٤٤
 - (٨) الاغانى - دار الكتب - ١٢ : ١٠٣
 - (٩) الاغانى : ١٠ : ١٣٧ وكتاب بغداد : ١٠٦
 - (١٠) الاغانى - دار الكتب : ١٢ : ١٠٣
 - (١١) نفس المصدر : ٣ : ١٩٩
 - (١٢) معجم الشعراء (كونكو) : ٣٧٣
 - (١٣) الاغانى (ط - دار الثقافة) : ٢٠ : ١٣٩
 - (١٤) تاريخ الحكماء : ١٩٦
 - (١٥) الفهرست : ٢٤٤
 - (١٦) نفس المصدر :
 - (١٧) العقد الفريد : ٢ : ٣٤١ وتاريخ بغداد : ٢ : ٣٥٥

من بعد . كما اني سأقتصر على من كان منهم بخراسان لأن كثيرا من الشعراء مدحوا طاهرا وهو ببغداد أو مدحوا عبد الله وهو بالشام ومصر ، فهو لا ، لا أمرؤن لذكورهم .

١- دعبل بن علي الخزاعي :

عندما هجا دعبل ابراهيم بن المهدي ببغداد ، وكان هجاؤه هذا وراثته للامام الرضا قبله بما يضم من ذم الرشيد قد أثرا في نفس المأمون أثرا بالغا ، فطار دعبل من وجه المأمون من بغداد الى خراسان . ولما جاء طاهر بن الحسين الى خراسان واليا فرح دعبل بقدومه لثقتة به وأنسه اليه ولكن هذا تشاغل عنه وأطرحه زمنا يخاف ان يغدر به المأمون الى أن رضي المأمون من دعبل فوصله طاهر بعد أن أقرأه كتاب المأمون ونصحته بالرحيل الى بغداد (١) . ولقد كان انتظار دعبل بباب طاهر قد طال ولكنه لم يتعجل طاهرا السخط فيثيره على نفسه بل لجأ الى العتاب يتعطفه به ولكن عتاب الكريم الذي يعرف قدر نفسه ولا يحني رأسه لطاهر بل صور له أمله الواسع الذي حمله الى باب طاهر فقال :

| | |
|---------------------------|------------------------|
| أيا ذا اليمينين والدعوتين | ومن عنده العرف والنائل |
| أترضى لمثلي اني مقسم | ببابك مطرح خامل |
| رضيت من الرد والعائدات | ومن كل ما أمل الامل |
| بتسليمة بين خمس ومست | اذا ضمك المجلس الحافل |
| وما كنت ارضى بذا من سواك | أيرضى بذا رجل عاقل |

(١) الاغانى ٢٠ : ١٣٩

وان ناب شغل ففي دون ما تدبره شغل شاغل
عليك السلام فاني امروء اذا ضاق بي بلد راحل (١)

واذا مدح دعبيل طاهرا يوما فلان طاهرا مولى خزاعة ودعبيل خزاعي الاصل (٢)، لانه
عندما هجاء لم يدع مجالا للوصل بل استعمل امر هجاء وأقذع ما في ذلك فقال :

وذى اليمينين وعين واحدة نقصان عين ويمين زائدة
نزر العطيات ، قليل الفائدة أعضه الله ببضر الوالدة (٣)

وقد مرت بنا اقواله وذكرنا من شعره في طاهر فكان كله هجاء وما عدا ذلك فلم نجد له
كثيرا في طاهر وابنائهم سوى هاتين القطعتين وفي الاولى يهجو طاهرا وأولاده ويقول :

تولى طاهر من بعد ان قد اقام فلا ينسام ويسم
وابقى بعده فينا ثلاثا عجائب تستخف لها الحلم
ثلاثة أمجد لأب وأم تميز من ثلاثهم أرم
فبعضهم يقول قريش قومي وقد فعه الموالي والصميم
وبعض في خزاعة منتماء ولا غير مجهول قديم
وبعضهم يهش لآل كسرى ويؤمن انه علق لثيم
لقد كثرت مناسبتهم علينا فكلهم على حال زعيم (٤)

ونجده يفعل ذلك مع عبد الله ويهجوهم مرارا تأتي على هجائه له في بخله . وأما ما جاء

(١) العقد الفريد ١ : ٣١٤

(٢) الشعر والشعراء ٢ : ٨٢٦

(٣) الافاني ٢٠ : ١١١

(٤) نغم المصدر ٢٠ : ١١٢

في مصادر متعددة (١) بأنه مدح دعبل عبد الله لزيادة نعمته والاعتذار اليه بقوله :

هجرتك ، لم أهجرك من كفر نعمة وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر

فهذا مشكوك فيه ، لأن مصادر كثيرة أخرى نسبت هذه القصيدة الى علي بن جبلة كتبها الى أبي دلف (٢) ، وأرى انها قيلت في أبي دلف لأن لدعبل شعر منسوب اليه من أبي دلف يقول فيه :

الله أجرى من الارزاق أكثرها على يدك بخير يا أبا دلف الخ (٣)

وأما ما جاء في النجم الزاهرة أنه لما توجه عبد الله بن طاهر الى خراسان قصد دعبل الشاعر ، وكان ينادمه في الشهر خمسة عشر يوما ، فكان يصله في الشهر بمئة ألف درهم وخمسين ألف درهم (٤) ، فان صح هذا - وقد مر بنا : " هجرتك لم أهجرك كفرا لنعمة . انها لعلي بن جبلة في أبي دلف وليس لدعبل - فذلك من خوف عبد الله لهجا دعبل لأن دعبل هجا الرشيد والمأمون والأمين وأباه طاهرا ، وكان يخفي خوفه ولا يقول لأحد ويتظاهر ويداري دعبل ولم يبح يخوفه أحدا سوى الشاعر الضبي الذي كان أمينا لمسره وذلك بعد العهد والموائيق (٥) .

ومن ذلك ان عبد الله بن طاهر وعد دعبل بغلام ، فلما طال عليه تصدى له دعبل يوما . وقد ركب عبد الله الى باب الخاصة ، فلما رآه دعبل قال : اسأت الاقتضاء ، وجهلت المأخذ ، لم تحسن النظر ، ونحن أولى بالفضل ، فلك الغلام والدابة لما ننزل ان شاء الله

(١) تاريخ بغداد ٤٨٨ : ٩ والنجم الزاهرة ١٩٨ : ٢

(٢) الاغانى ٢٥٦ : ٨

(٣) الاغانى ٣٠٥ : ١٩ ، كفايات الادباء ٢٢ : ٢٢ ، شعر دعبل للاشتر : ٣١٠ والمصادر الاخرى

(٤) النجم الزاهرة ١٩٨ : ٢

(٥) الاغانى ١٣٥ : ٢٠

تعالیٰ ، فاخذ دعیل بعنانه وأنشده :

يا جواد اللسان من غير فعل ليت في راحتك جود اللسان

عین مهران قد لطمت مرارا فاتیقی ذا الجلال فی مهران

مرت فينا فدع لمهران فينا لا تدعه يطوف في العميان

فَنَزَلَ بِهِ اللَّهُ مِنَ دَابَّتِهِ وَأَمْرَهُ بِالْغُلَامِ (١) .

كما دخل دعبل على عبد الله بن طاهر ببغداد فقال :

جئت بلا حرمه ولا أدب اليك الا بحرمة الادب

فاتقن زمامي فأنتني رجل غير ملح عليك في الطلب

فانتعل مبد الله ودخل الى الحرم ووجه اليه بصره فيها ألف درهم (٢) وكتب اليه :

أوجلتنا فاناك عاجل برنا
ولو انتظرت كثيره لم يقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تسلم ونكون نحن كأننا لم نفعل

وكان عبد الله يخاف دعبلا ولسانه كثيرا ولكنه لا يظهر ذلك لأحد الا انه باح بسره

هذا للضبي شاعره المعتمد عليه وذلك بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق ومغلظ الايمان (٣).

وما قيل من دعبل من انه مدح عبد الله بن طاهر بقوله (٤) .

عجبت لحراقه بن الحسين كيف تسير ولا تفرق

وبحران ؛ من تحتها واحد : وآخر من فوقها مطبق

(١) العقد الفريد : ١ : ٢٩٠

(۲) الافانسي ۱۴۳:۲۰

(٢) نفس المصدر ١٢٠ : ١٣٥

(٤) العقد الغرید ٣٦٤، ١

وأعجب من ذاك عيبها أنها وقد مشها كيف لا تورق

وهذا مشكوك فيه أيضا ، لأن هذه الابيات لم تنسب الى دعبل سوى عند ابن عبد ربه فحسب ،
 اما ابن خلكان (١) وجماعة غيره نسبوه الى مقدسي الخلوقي في ظاهر ، وعدد آخرون نسبوه
 الى عوف بن محلم في ظاهر (٢) ونسبت الى علي بن جبلة (٣) أيضا والى ابي الشمعق ،
 فالارجح انها ليست لدعبل .

وهناك أربعة ابيات انفرد بنقلها ابن عبد ربه ولم نجد لها عند غيره وفيها مدح عبد الله
 بن طاهر بعد أن استقبله وهو خارج من الحراقة برقة فيها :

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| طلعت قتاتك بالسعادة فوقها | معقودة بلواء ملك مقبل |
| تهتز فوق طريدتين كأنما | تهفو فينصبها جناحا أجدل |
| ريح البخيل على احتيال مرضه | بندی يدك ووجهك المتمهل |
| لو كان يعلم ان نيلك عاجل | ما فاض منه جدول في جدول (٤) |

ولكن أقواله هذه - ان صحت نسبتها اليه - لمن العجب وتدل على شائبة دعبل
 في القول ولكن انفرد ابن عبد ربه في نقلها ونسبتها مما يثير الشك في القبول . ومع ان
 ابن عبد ربه مات ٣٢٧ هـ فانه لا يعتمد الا على النقل وقلما يذكر مصدر نقله الا بصورة عامة
 فمن أين أتى بهذه الابيات ومن تلقفها ؟ ولذلك نقلناها والعهد عليه . ولعل ابن عبد
 ربه كان يريد نفي بذاة لسان دعبل في عبد الله بن طاهر ، وان كان يقصد ذلك فانه ينافي

(١) وفیات الاميان ٢٠٢ : ٢ وتاريخ بغداد ٣٥٣ : ٩ والغرر والعمد : ٢٦٤ - ٢٦٥
 (٢) طبقات الشعراء : ١٨٩ - ١٩٠ ومعجم الادباء ٢٤٠ : ١٦ وفوات الوفيات ٢٣٢ : ٢
 وشرح شواهد المغني : ٢٧٨ ، ومعاهد التنصيص : ٣٧٥
 (٣) الابانة : ٧٦
 (٤) العقد الفريد ٣٦٤ : ١

ما نقله لنا عن دعبل وقصة غلام عبد الله (١) . وهب ان دعبلا مدح عبد الله بن طاهر في أبيات أو في قصيدة فليس قوله دليل على ايمانه بذلك لأننا نجد يذمه ويهجو ويذكر بخله أكثر من ذكره جوده .

٢- أبو عثمان ، سهل بن بشر بن حبيب بن هاني ، ويقال هانا الاسرائيلي المنجم :

كان صاحب تواليف في احكام النجوم وادعاء لعلم الحدثان ، وكان يخدم طاهر بن الحسين ، ثم الحسن بن سهل ، وتواليفه حسان مشهورة في الاحكام (٢) ، منها كتابه في المواليذ وتحاويلها ، وكتاب تحويل سني العالم ، وكتاب المسائل والاختيارات (٣) .

٣- الرقاشي :

وكان الفضل بن عبد الصمد الرقاشي مولى ربيعة ، من اهل السرى من العجم ، كثير الشعر ، قليل الجيد ، وكان منقطعا الى البرامكة يدحهم ويعيش بهم ، ولم ينسأهم حتى بعد موتهم وزوال ملكهم (٤) . ولما زال أمرهم ، خرج الى خراسان واتصل بطاهر بن الحسين وما زال بها حتى مات (٥) . ويظهر انه كان عزيز النفس لأنه كان يظهر الغنى وهو فقير وكانت بينه وبين أبي نواس مهاجرة مستمرة قيل انها دامت حتى فرق الموت بينهما (٦) .

٤- عوف بن محلم الخزاعي :

هو ابو عبد الله عوف بن محلم الخزاعي ، من بني سعد ، من اهل حران وقيل من

(١) العقد الفريد ١ : ٢٩٠

(٢) تاريخ الحكماء ١ : ١٩٦

(٣) طبقات الامم ٨٨ :

(٤) المنتحل ٣٤١ :

(٥) طبقات ابن المعتز ٢٢٦ :

(٦) تاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٥

رأس العين (١). وهو أحد العلماء الأدباء الرواة الفهماء والندماء الظرفاء والشعراء الفصحاء المحدثين ، صاحب أخبار ونوادير ومعرفة بأيام الناس ، وكان طاهر بن الحسين قد استخلصه واستخضه واختاره لعنادته فكان لا يفارقه في سفر ولا حضر ، فكان إذا سافر طاهر فهو معه يله يحادثه ويسامره ، وإذا أقام فهو جليسه يذاكره العلم ويدارسه . وسبب اتصال موف بطاهر هو أنه كان طاهر ببغداد أيام الفتنة منحدرًا حراقة له بدجلة فأشدد موف ،

وجيت لحراقة بن الحسن — كيف تعم ولا تفرق
وبحران من تحتها واحد وآخر من فوقها مطبق
واعجب من ذاك عيدانها وقد مسها كيف لا تهرق

فقال طاهر : اعطوه ثلاثة آلاف دينار (٢) وأدخله معه . وظل موف مع طاهر إذ ضمه طاهر إليه فكان كلما استأذن طاهرا في الانصراف إلى أهله ووطنه لم يأذن له طاهر ولا يجيبه إلى ذلك بل يعطيه الجزيل ، حتى كثر أمواله . فلما مات طاهر ظن موف أنه قد تخلص وأنه يلحق بأهله ، ويتمتع بما قد اقتناه في بلده ولكن عبد الله بن طاهر لوى عليه يده ، وتمسك به وأنزله فوق المنزلة التي كانت من أبيه ، فعاد معه موف إلى حاله التي كان عليها مع أبيه من الملازمة في الحضر والسفر (٣) . ويظهر أنه التحق بعبد الله في الشام وأطلع على دقائق أخباره بدليل قوله :

شكرا لربك يوم الحسن نعمته فقد حماك بعز النصر والظفر
فأعرف لسيفك يوم الحصن وقعته فانه السيف لم يترك ولم يسذر

(١) طبقات الشعراء : ١٨٦

(٢) وفيات الأعيان ٢ : ٢٠٣

(٣) ولعله طلبه عبد الله من خراسان لأنه حينما توفي طاهر سنة ٢٠٧ هـ كان بخراسان وعبد الله حينذاك كان قد خرج إلى الشام لمحاربة نصر بن شيث . راجع كتاب بغداد ، ٢٥ وغيره من المصادر .

حللت في فتح كيسوم فداك أبي مثواك في الحفريين الوحل والمطر (١)

وتفسير ذلك انه موصى عبد الله - وكان يحم حتى الريح - في الليلة الاخيرة فودك ومكا شديدا والتمس ما يدفنه فلم يكن معهم . فقال : احفروا حفيرة بأسيافكم ، وأمر أن يجمع من مخالي الدواب التبن فيلقى في الحفيرة ففعل ذلك . ثم جلس فيها . وجاءت السماء بهطل شديدا وريق . فقال عبد الله : استروني بتراسكم ففعلوا (٢)

والدليل الثاني ما قاله عوف بن محلم في ملة اعتلها عبد الله وهي حتى الريح :

فان ملك حتى الريح شفقك ردها فعقبك منها ان يطول لك العمر
وقيناك لو نعطي المنى فيك والهوى لكان بنا الشكوى وكان لك الاجر (٣)
وهذا تصريح من عوف بأن كان ممن حملوا التراس لوقاية عبد الله من المطر .

ثم نجده في مصريقول :

يقول أناس ان مصرا بعيدة وما بعدت مصروفيها ابن طاهر
وأبعد من مصر رجال تراهم بحضرتنا معروفهم غير حاضر
من الخير موتى ما تبالي أزرتهم على طمع أم زرت اهل المقابر (٤)

وكان عوف سخيا على الطعام جدا ، صاحب شراب ولهو وخلاعة وكان له اخوان يتمتع بهم ومعهم ، ويعاشرهم ويفضل عليهم وكان الشعراء الاصاغر يقصدونه ويمدحونه ، فيعطيهم ويصلهم ، ويتوسلون الى طاهر فيشفع لهم ويخرج جوائزهم وكذلك من عبد الله . وكان ينهج

(١) معجم البلدان - مادة كيسوم .

(٢) الديارات : ٨٦

(٣) الافاني (ط - دار الكتب) ١٢ : ٨٦

(٤) وفيات الاعيان ٢ : ٢٢٤

الشعراء ألا يدخلوا على عبد الله أن كان شعرهم ضعيفا لأن عبد الله لا يقبل ذلك وحدث ذلك مع الشاعر روح (١) .

وقد عاش معروف طاهرا وابنه عبد الله قرابة ثلاثين سنة ومن شعره فيهم :

| | |
|------------------------|--------------------------|
| وكت اذا صحبت رجال قوم | صحبتهم ويليّ الوفاء |
| فأحسن حين يحسن محسنوهم | واجتنب الاساءة ان اساءوا |
| وانظر ما يسرهم بسعين | عليها من عيونهم غطاء (٢) |

وفي عبد الله بن طاهر يقول معروف يمدحه ويذكره ويذكر أجداده في قصيدة منها :

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| اليك فما حظي لغيري بصائر | ولا أجلي ان حمّ مني بقاصر |
| أفّ واستغني واني لمقتر | فتستر عفاتي على مفاسر |
| واني ليأتيني الغني غير ضار | فأدنوبه من صاحبي ومجاور |
| لساني وقلبي شاعران كلاهما | ولكن وجهي مفحم غير شاعر |
| ولو كان وجهي شاعرا اكسب الغنى | ولكن وجهي مثل وجه ابن طاهر |
| فتى يختشي ان يחדش الذم مرضه | ولا يتقي حد السيوف البواتر |
| غليل وقد أوردت دلوى ببحره | ولا عيب في ورد البحور الزواجر |

(الى أن يقول :

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| بنو مصعب للملك في السلم زينة | وفي الحرب دون الملك بيتي بواتر |
| وحول رواق الملك من آل مصعب | ليوث لأعتاق الليوث هواجر |
| فما حال من ورد الخليفة طاهر | ولا زال حتى غيبته المقابر |

(١) طبقات ابن المعتز : ١٩٠ ، ومعجم الادباء (مرجليوت) ٦ : ٩٥

(٢) طبقات الشعراء : ١٩١

وخلف عبد الله للملك ناصرا وهل مثل عبد الله للملك ناصر ؟
فني لو أسرت نفسه كفر نعمة لحاربها حتى تنجح الضمائر (١)

وكان عبد الله بن طاهر قد عنى المسير الى الحج (٢) ومعه شاعره عوف بن محلم
فعادله في العمارية فن مروا الى السرى يسامره ويحادثه ، فلما شارفوا السرى ، وقد
أدلجوا سحرة ، اذا بقمري يغرد على سررة بأشجى صوت وأرق نغمة ، فالتفت عبد الله الى
عوف وقال : يا أبا محلم ، أما تسمع هذا الصوت ؟ ما أرقه وأشجاء ! قاتل الله أبا كبير الهذلي
حيث يقول :

ألا يا حمام الأيكن فرخك حاضر وغصنك مباد فقيم تنوح

فقال عوف : أحسن والله أبو كبير انه كان في الهذليين مائة وثلاثون شاعرا ما فيهم الا
مغلق وما كان فيهم مثل أبي كبير وأخذ عوف يصفه . فقال له عبد الله تبره ظاهرا وقال :
أقسم عليك الا أجزت شعرا أبي كبير . قال عوف : أصلح الله الأمير ، قد كبر سني وفني
ذهني وأنكرت كل ما كنت أعرفه . قال عبد الله : سألتك بحق ظاهرا لا فعلت ، وكان لا
يسأل بحق ظاهرا شيئا الا ابتدر اليه لما كان يوجبه له ، فلما سمع عوف ذلك انشأ يقول :

أني كل عام غربة ونزوح اما للنوى من ونية فتريح
لقد طلح البين المشت ركائبي فهل أرين البين وهو طليح
وأرقي بالرى نوح حمامة فتحت وذو اللب الغريب ينوح
على انها ناحت ولم تذرد معة ونحت واسراب الدموع سفوح

(١) طبقات الشعراء : ١٨٨ - ١٨٩

(٢) فوات الوفيات ٢ : ١٤٨

وناخت وفرخاها بحيث تراهما ومن دون افراخي مهامه فكبح
ألا يا حمام الأيك الفك حاضر وفصنك مياذ فقيم تنسج
مسي جود عبد الله ان يعكس النوى فتلقى مصا التطواف وهي طريح
فان الغنى يدنى الفتى من صديقه وعدم الفتى بالمغربين طروح

فاستعبر عبد الله ورق له وجرت دموعه لما سمع من تشوقه الى أهله وبلده فقال : يا
أبا محلم ، ما أحسن ما تلتفت لحاجتك ، واستأذنت في الرجوع الى أهلك وولدك ! وانسي
والله بك لضنين ، ومقربك لشحيج ، ولكن والله لا جاوزت مكانك هذا حتى ترجع الى أهلك
وولدك (١) . ثم أخرج عبد الله رأسه من العمارية وقال : يا سائق القى زمام البعير ،
فألقاه فوقف ووقف الخارج ثم دعا بصاحب بيت ماله فقال : كم يضم ملكنا في هذا الوقت ؟
قال : ستين ألف دينار ، فقال : ادفعها الى عوف ، ثم قال : يا عوف لقد ألقيت مصا
تطوافك فارجع من حيث جئت ، فأقبل خاصة عبد الله عليه يلومونه ويقولون : أنتجيز ايدينا
الامير شامرا في مثل ^{هذا} الموضع المنقطع بستين ألف دينار ولا تملك سواها ! قال عبد الله :
اليكم عني فاني قد استحييت من الكرم ان يسيروا بي جملي وعوف يقول : عسى جود عبد الله ،
وفي ملكي شيء لا يتفرد به ، فقال له عوف : (٢)

يا بن الذي دان له المشرقان وأكثر الامربه المغربان
ان الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان
وأبد لتني بالشطاط انحنأ وكنت كالصعدة تحت السنان

(١) معجم الادباء (مرجليوث) ٦ : ٩٩ وطبقات الشعراء : ١٨٨ وفوات الوفيات ٢ : ١٤٩
ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٢ والنجم الزاهرة ٢ : ١٩٩ وتاريخ بغداد ٤ : ٤٨٦
(٢) فوات الوفيات ٢ : ١٤٨

| | |
|-----------------------------|-------------------------|
| وهمتي هم الجبان الهدان | وموضتي من زماع الفتى |
| مقاربات وثنت من فنان | وقاربت من خطأ لم تكن |
| سحابة ليست كسج العنان | فأنشأت بيني وبين الورى |
| الا لساني وبحسبي لسان | ولم تدع في لهستمتع |
| صنع الامير المستنير الهدجان | أدموبه الله وأثني على |
| وبالغواني اين مني الغوان | وهمت بالاولطان وجدابها |
| من وطني قبل اصفرار البنان | فقراني بأبي انتما |
| مسكها حران والرقتان | وقبل منعاه الى نسوة |
| من بعد مهدى وقصور الميان | سقى قصور الشاذياخ الحيا |
| ان تتخطاها هروف الزمان (١) | فكم وكمن دعوة لي بها |

وأجمعت المصادر على أنه مات ولم يصل إلى/حتى ياقوت في معجمه للادباء ولكنه في معجم بلدانه ذكر أنه رجع موف الى وطنه ، فسئل من حاله فقال : رجعت من عند عبد الله بالغنى والراحة من النوى (٢) . وقيل أنه مات في حدود العشرين والمائتين (٣) ، فانصل الخبر بعبد الله فاشتد ذلك عليه وجزع له (٤) مما يدل على شدة علاقة عبد الله به وحيه له ، وتقديره لأديب عظيم مثله . ولعوف بن محلم غير ما ذكر شعر في المصادر المذكورة الا اننا اخترنا ما كان له في ظاهر وابنه .

-
- (١) فوات الوفيات ٢ : ١٤٨ ، معاهد التنصيص ١ : ١٢٤ - ١٢٢ ، معجم الادباء (مرجليوت) ٦ : ٩٨ ، طبقات الشعراء ١ : ١٨٨ ، النجوم الزاهرة ٢ : ١٩٩ ،
شذرات الذهب ٢ : ٣٢ - ٣٣
(٢) معجم البلدان : مادة السرى .
(٣) فوات الوفيات ٢ : ١٤٩
(٤) طبقات الشعراء ١ : ١٨٨

٥- أبو العميشيل ، عبد الله بن خليل :

كان أبو العميشيل مولى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد
المطلب (١) . ولقد كان الرشيد قد أمر أن يبتاع له خويلد ، فسبق العباس بن محمد
فاستراه ، فطهر له خوله الذين كانوا للعباس بن محمد بخيد وأيله (٢) . وأصل أبي العميشيل
من السري (٣) . وهو من الشعراء الفحول ، ذوى الفصاحة والبلاغة واللسن ، وكان فخم
العبارة ، يفخم الكلام ويعثره ، بدوى الشارة ، مكثرا من نقل اللغة ، عارفا بها فكان شامرا
مجيدا (٤) . والعميشيل في اللغة يأتي لمعان منها الاسد الضخم والسيد الكريم (٥) .

قدم ابو العميشيل على المأمون بخراسان ، ايام الفضل بن سهل ، ثم أصبح كاتباً لظاهر
وشامرا له ويقال : ان ظاهرا لم يجفه ، ولم يزل يكرمه حتى مات ظاهرا . ومن أخباره مسح
ظاهرا من دخل على ظاهرا ، وقد جلس ظاهرا للناس ، ولعله ألقى قصيدة ، فقبل يد ظاهرا ،
فقال له ظاهرا : ما أخشن شاربك يا أبا العميشيل ! فقال ابو العميشيل : أيها الأمير ان
شوك القنفذ لا يضرب ببرثن الاسد (٦) . فضحك ظاهرا وقال : هذه الكلمة أمجب السي
من قصيدتك . وأعطاه ألف درهم على قصيدته ، وثلاثة آلاف على كلمته (٧) . وينسب ذلك
ابن خلكان الى عبد الله والأرجح مع ظاهرا عندي لكبر سنهما .

(١) طبقات الشعراء : ٤٤٢ ، وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٦ ، والفهرست : ٤٨

(٢) كتاب بغداد : ١٦٤

(٣) طبقات الشعراء : ٤٤٢ ، وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٦ ، والفهرست : ٤٨

(٤) البيان والتبيين ١ : ٢٢٩

(٥) خزنة الادب ٢ : ٤٨٥

(٦) طبقات الشعراء : ٤٤٢

(٧) نفس المصدر : ٢٨٢

ويظهر انه لما مات طاهر بخراسان أنحدر ابو العميشيل الى بغداد لأننا نجسد
المأمون يقول لعبد الله بن طاهر : ليس فيك ميب الا انك تحب الشعر وأهله ! وقد أمرت
احمد بن يوسف ان يضم اليك رجلا في ناحيتنا هو عندي أشعر من جرير . فضم اليه
أبا العميشيل . وخرج ابو العميشيل خلف عبد الله بن طاهر الى مصر ، فقال قصيدة يصف
فيها المنازل ، مثل قصيدة أبي النوام في الخصب ، وأولها :

| | |
|---------------------------|-----------------------------------|
| خليلي ان الهم لي غير وازع | وقلبي عميد قلب هيمان نازع |
| ألم تراني كلما هبت الصبا | أصب ويقضيني شؤن الدماح |
| جعلت همومي حشو قلبي مشايح | على الهم والوجناء حشو البرازع (١) |

وكانت له منزلة عند عبد الله بن طاهر لأنه كان كاتبه وشاعره ومؤدب ولده بخراسان
ومنقطعا اليه (٢) ، وكان عبد الله يقبل نصحه ورأيه ، فلما وجد عبد الله على أبي تمام
بخراسان (٣) قال أبو تمام أبياته في قسوة الشتاء وقارس برده بخراسان وبلغت أبياته
أبا العميشيل ، أتى أبو العميشيل أبا تمام واعتذر اليه لعبد الله بن طاهر وعاتبه على ما عتب
عليه من أجله ، وتضمن له ما يحبه ، ثم دخل الى عبد الله بن طاهر فقال : أيها الأمير ،
أنتهون بمثل أبي تمام وتجفوه ؟ فوالله لو لم يكن له ما له من النباهة في قدره ، والاحسان
في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شره والتوقي لدمه يوجب على مثلك رعايته
ومواقبته ، فكيف وله بنزوه اليك من الوطن ، وفراقه السكن ، وقد قصدك ما قد ايك أمله ،
معملا اليك ركابه ، متعبا فيك فكره وجسمه وفي ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضيا

(١) كتاب بغداد : ١٦٤

(٢) وفيات الاميان ٢ : ٢٢٦

(٣) الافاني (ط - دار الثقافة) ١٦ : ٣١٤

ولولم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ما سمع الا قوله في قومس :

يقول في قومس صحبي وقد أخذت منا السرى وخطا المهرية القود
أطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجسود

فقال له عبد الله بن طاهر : لقد نبهت فأحسنمت ، وشفعت فلطفت ، وماتبت فأوجعت
ولك ولائي تمام العتبي ، أدمه يا غلام . فدعى - ابو تمام - له فنادمه يومه وأمر له
- لأبي تمام - ألفي دينار وما يحمله في الظهر ، وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه ، وأمر
ببذرقته (١) الى آخر عمله (٢) .

ولا يبي/ من الاشعار الحسان ، فمن قوله في عبد الله بن طاهر :

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| يا من يحاول ان تكون صفاته | كصفات عبد الله أنصت واسمع |
| فلا نصيحتك في المشورة والذي | حج الحجيج اليه فاسمع أودع |
| أصدق وعف وبر وأصبروا هتمل | واصنع وكاف ودار واحلم واشجع |
| والطف ولن وتأن وارفق واتك | واخزم وجد وحام واحمل وادفع |
| فلقد نصحتك ان قبلت نصيحتي | وهديت للنهج الاسد المهييع (٣) |

قال ابن خلكان : ولقد أحسن في هذا المقطوع كل الاحسان .
وقيل انه وصل الى باب عبد الله بن طاهر ، فرام الدخول اليه فحجب ، فقال :

سأترك هذا الباب ما دام اذنه على ما أرى ، حتى يخف قليلا
اذا لم أجد يوما الى الاذن سلما وجدت الى ترك اللقاء سبيلا

(١) البذرة : الخفارة .

(٢) وفيات الاميان ٢ : ٢٧٦

(٣) نفس المصدر

فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر وأمر بإيصاله على أي حال (١) .

ولابن الحمثيل من الكتب ، كتاب التشابه ، كتاب الابيات السائرة ، معاني الشعر ،
وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه (٢) . وكان شعره في ألف جلد (٣) ، ومات سنة ٢٤٠ هـ (٤) .

٦- أبو عبيد القاسم بن سلام :

كان والده مملوكا روميا لرجل من هراة من عمل خراسان ، فولد ابو عبيد بهراة نسي
حدود سنة ١٥٤ هـ ٧٧١م ونشأ بها نشأة اسلامية . وشعر أبو بذكاء ابنه ابي عبيد ، وكان
قد أمره مولاة ان يخرج ابنه الى الكتاب ، فأخرج سلام ابا عبيدا مع ابن مولاة وقال للمعلم ،
يوصيه لابنه ، برطانتة العجمية : " علمي القاسم فانها كريمة " .

ونبغ قاسم وعرف في خراسان فضله ، فعهد اليه بعض الخاصة بتأديب بنيهم ، على
مادة العلية من الناس في تلك الايام ، يدفعون الى العلماء أولادهم لينفقوهم ويهذبوهم .
وعندما توجه طاهر بن الحسين الى مرو - مارا بهراة - طلب رجلا يحدثه ليلسة ،
فقبل له : ما هيمننا الا رجل مؤدب ، فأدخل عليه ابو عبيد القاسم بن سلام ، فوجدته
أعلم الناس بأيام الناس والنحو والفقه واللغة . فقال له : من الظلم تركت انت بهذا البلد ،
ثم دفع اليه ألف دينار وقال له : أنا متوجه الى خراسان الى حرب وليس أحب استصحابك
شفقة عليك ، فأنفق هذا الى أن أعود اليك . ولما عاد حمله معه الى سرمن رأى ودخل
بغداد (٥) .

(١) الفهرست : ٤٨

(٢) وفيات الاعيان : ٢٠ : ٢٢٦ ، والفهرست : ٤٨

(٣) كتاب بغداد : ١٠٦٤ .

(٤) وفيات الاعيان : ٢ : ٢٢٢

(٥) تاريخ بغداد : ١٢ : ٤٠٥

ثم أن أبا عبيد أخذ يستريد من العلم فسمع الحديث ودرس الادب ونظر في الفقه
فأخذ الآداب من أبي زيد الانصاري وأبي عبيدة معمر بن المثنى والاصمعي واليزيدي
وفهرهم من البصريين ، وأخذ من ابن الاعرابي وابن زياد الكلابي ويحيى الاموي وأبي عمرو
الشيباني والكسائي والفسراء وبرع حتى عد أعلم الناس بلغات العرب يحتاج اليه ولا يحتاج
اليهم بحيث قدمه احمد بن نصر الغروي أعلم من نفسه ومن الامامين الشافعي وابن حنبل .
وقال ثعلب فيه أنه لو كان في بني اسرائيل لكان عجبا . ولذلك فقد قال هلال بن العلاء
الرقبي انه من الله على هذه الامة بأربعة في زمانهم : الشافعي بفقهه ، بحديث رسول الله
(ص) والامام احمد بن حنبل في المحنة ، ولولا ذلك لكفر الناس ، ويحيى بن معين لنفي
الكذب عن حديث رسول الله (ص) وأبي عبيد القاسم بن سالم لتفسير الغريب من حديث
رسول الله (ص) ولولا ذلك لاقتحم الناس في الخطأ وقدمه عبد الله بن طاهر رابع أربعة
في زمانهم وهم : ابن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه ، والقاسم بن معين في زمانه ،
وأبو عبيد القاسم بن سالم في زمانه . كما قال ابراهيم الحرجي : أدركت ثلاثة لن يرى
مثلهم أبدا ، تعجز النساء ان يلدن مثلهم ، احمد بن حنبل في علم الاولين والآخرين ،
ويشربن الحارث في العقل وأبو عبيد القاسم بن سالم وهو كالجيل نفخ فيه روح . ومدحه
الاصمعي ، ويحيى بن معين والامام احمد بن حنبل (١) والجاحظ .

وكان أبو عبيد ذا دين وسيرة جميلة ومذهب حسن وفضل بارع ان كان فاضلا نفسي
دينه وعلمه ريانا متقنا في أصناف علم الاسلام من القراءات والفقه والعربية والاخبار ،
حسن الرواية ، صحيح النقل . وكان يقسم الليل اثلاثا فيصلي ثلثه وينام ثلثه ويضع الكتب
ثلثه .

(١) نزهة الالباء في طبقات الادباء : ١٢٣ وتاريخ بغداد : ١٢ : ٤٠٥ ووفيات الاميان ٣ : ٢٢٥

وظل أبو مبيد على ولائه لظاهر بن الحسين ثم لابنه عبد الله من بعده فكان إذا ألف كتابا أهداه إلى عبد الله فيحمل إليه ابن ظاهر مالا خطيرا استحسانا لذلك ، فلما أنجز كتابه " الغريب المصنف " - وكان قد صرف في تأليفه ثلاثين سنة - فعرضه على عبد الله ، فاستحسنه وقال : ان مقلا بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لتحقيق ألا يحوج إلى طلب المعاش . ثم أمر له عشرة آلاف درهم في كل شهر . وبعث أبو دلف أحد أئمة البلافة من الأمراء إلى عبد الله بن ظاهر يستهديه أبا مبيد القاسم بن سلام شهرين ، فأنفذه عبد الله ، فأقام أبو مبيد في كسج شهرين ، ولما أراد الانصراف وصله أبو دلف بثلاثين ألف درهم فلم يقبلها وقال : انا في جنبه رجل لا يحوجني إلى صلة غيره . فلما عاد أبو مبيد إلى ابن ظاهر وصله بثلاثين ألف دينار . فقال أبو مبيد لعبد الله : أيها الأمير ، قبلتها وقد أغنيتني بمعروفك وبرك ، فرأيت ان أشتري بها سلاحا وخيلا وأوجه بها إلى الشجر ليكون الثواب متوفرا على الأمير . ففعل عبد الله ذلك (١) .

وهكذا عاش أبو مبيد بين أشرف القادة والسادة ، يعرف لهم مقامهم ويعرفون لسه قدره ، يتهادونه ويترؤنه ، ويرغبون في الأخذ منه ويعهدون إليه في تخرج ابنائهم . أما هو فلم تبطره الدنيا ولم تخلص لبه المظاهر واشتهر بورعه وكرمه وشفقة نفسه وجوده ، وكانت فيه عزة نفس العلماء مائلة المشول كله ، فقد امتنع من حضور مجلس بعض الأمراء ليأخذوا عنه فقال : العلم يقصد . فغضب صاحب الدار من قوله وقطع منه الرزق ، ثم كتب إلى صاحبه عبد الله بن ظاهر بالخبر ، فكتب إليه عبد الله : قد صدق أبو مبيد في قوله ، وقد أضعفت له الرزق من أجل فعله فأعطه فائته وأدر عليه بعد ذلك ما يستحقه (٢) .

(١) المصادر المذكورة .

(٢) نزهة الالباء : ١٠٣ - ١٧

وروى الناس من كتبه بضعة وعشرين كتابا في القرآن الكريم والحديث وغريبه والفقه
والامثال ، وكتبه مستحسنة معروفة مطلوبة في كل بلد والرواة عنه مشهورون . غلب عليه جمع
المتفرق من الكتب وتفسيره ، وذكر الاسانيد ، وصنف المسند على حديثه ، وأجاد تصنيفه
ورغب فيه اهل الحديث والفقه واللغة لاجتماع ما يحتاجون اليه ، وفانى الشعر ايضا . أما
كتابته فهي كتابة أرقى المؤلفين في القرن الثاني والثالث . زعموا ان كتابه " الغريب
" المصنف " أجل كتبه وقيل ان كتابه " الاموال " هو أحسن ما صنف في الفقه وأجوده ،
وهذا الكتاب هو صورة ناطقة بعلمه وتحقيقه ، يرجح من الآراء ما هو أولى بالترجيح ويبين
من رأيه في أحكام الاموال وصنوفها ، أخذنا بالاقوال الصحيحة المأثورة من صاحب الشرع
ومشيرا الى عمل الصحابة والتابعين من بعده ، والى ما استخرجه الحكم والملوك من هذه
الاموال بعد ذلك . وقد أورد كثيرا من الكتب والمعاهدات والعهود والاقطاع وذكر
فصولا في الصدقات والغنائم والزكوات وثمار الارض وما يجبي منها وما لا يجبي والمعادن
والركاز والمكاييل والمكوس والعشور ومخارج الصدقة وسبيلها التي توضع فيها والوقف ، وفي كل
اولئك يتجلى نور العقل وبعد النظر ووفرة العلم . ومن تصانيفه " غريب الحديث " ، قيل
أنه صنفه للمأمون ، و " المقصور والممدود " في القراءات و " المذكر والمؤنث " وكتاب
" النسب " وكتاب " الاحداث " وأدب القاضي " و " مدد آي القرآن " و " الايمان والندور " وكتاب
" الحيض " وكتاب " الطهارة " و " الحجر والتفليس " وكتاب " الشعراء " (١) .

٧- أيوب الرهاوى :

ومن اختص بعبد الله بن طاهر هو أيوب الرهاوى ، وكان متطيبه ، وكان معه في الشام (٢) .

(١) وفيات الاميان ٣ : ٢٢٢ ، والفهرست : ٧١

(٢) تاريخ الحكماء : ١٠٢٩

ثم أخذه عبد الله الى خراسان فيمن أخذ معه عندما انتقل اليها (١) . وكان أيوب حازقا في الطب ، كما كان في نقل الكتب الى العربية (٢) .

٨- ابو السمراء :

هو العلاء بن عاصم بن عصمة العمكري ، كان نديم عبد الله بن طاهر يأنس به ، ويجاريه الشعر (٣) ، وهو الذي خرج مع عبد الله بن طاهر الى الشام فمصرفا عرضهم الامرابي في الطريق فقال في كل واحد منهم شعرا (٤) ، ولما كان بمصر جاء معلى الطائي يمدح عبد الله ، وكان عبد الله لا يملك مالا ، فاستقرض من أبي السمراء (٥) . وكان عبد الله يناجي اسحاق بن ابراهيم المصعبي يوما وأبو السمراء حاضر فلما أتم عبد الله كلامه نصيح أبا السمراء ببيتين من الشعر (٦) . وكان أبو السمراء متصلا بعبد الله ، فلما خرج عبد الله الى خراسان كانت بينهما مكاتبات - ولعل أبا السمراء ذهب الى خراسان لزيارة عبد الله أيضا - وكان عبد الله يعتد عليه في بعض أموره منها أنه خوله في شراء جارية اديبة له بعد أن أمر بامتحانها (٧) . ولذا فاننا نراه موضع ثقة عبد الله وليست لدينا فيما بين أيبينا أكثر من هذا :

ومن مكاتباتهما الشعرية ما كتب الى عبد الله :

تقول لما جعلت أبكي سلوه بالله ممّ بيكسي

(١) معجم الادباء ٣ : ٢٤

(٢) الفهرست : ٢٤٤

(٣) ذيل زهر الآداب : ٢٤٩

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ١٨٢

(٥) الاغانى (ط - دار الكتب) ١٢ : ١٠٢

(٦) نفس المصدر ٢ : ٤٣٠

(٧) الامالي ٢ : ٣

فقلت أبكي لما أراه مما قليل يقول منك
قالت فلا تخش، قلت ما لي قلب على الدهر يأتئك
لا غرني في الدهر منك ود قالت ولا غرني في التبيك

فوقع عبد الله بن طاهر ظاهرها بديها أوردنا ذلك في باب شعر عبد الله (١).

ومن جيد شعره في جارية له توفيت :

يقول لي الخلان لوزرت قبرها فقلت وهل فير الغواد لها قبر
على حين ان احدث فاجهل فقد ها ولم أبلغ السن التي معها صبر

٩- أبو تمام :

ولما مدح أبو تمام المعتصم ببغداد بعد فتح عمورية ، أمر له المعتصم بدراهم كثيرة ، وهك ماله على اسحاق بن ابراهيم المصعبي . فدخل ابو تمام الى المصعبي وأنشده مدحا له ، فاستحسنه اسحاق وأمر له بدون ما أمر له به المعتصم قليلا وقال اسحاق لأبي تمام : والله لو أمر لك أمير المؤمنين بعدد الدراهم دنانير لأمرت لك بذلك (٢) . ولم يكن أحد أشغف بشعر أبي تمام من اسحاق بن ابراهيم المصعبي وكان يعطيه مطاء كثيرا . ودخل يوما أبو تمام على اسحاق المصعبي وأنشده مدحا له ، وجاء اسحاق الموصلية ، فأنشده أبو تمام عدة قصائد في المصعبي . فأقبل الموصلية على أبي تمام وقال له : أنت شاعر مجيد ، محسن ، كثير الاتكاء على نفسك ، يريد أنه يعمل المعاني (٣) .

(١) ذيل زهر الآداب : ٢٤٩

(٢) اخبار أبي تمام : ١٤٤

(٣) نفس المصدر : ٢٢١

ومن القصائد التي قالها في اسحاق المصعبي في ايقاع اسحاق بالمحبرة بهمدان
ومطلعها : (١)

خشنت عليه اخت بني خشين ! وأوقع فيك قول العاذلين
أنايا واغترابا ؟ أي صبر على البلوى يعرّس بين ذين
ومنها : سل الجبل الممنع حيث اخني عليه زخرفا نكد وحين .

وذلك بعد سنة ٢١٨ هـ لأشّ توجه الى الجبال في شوال ٢١٨ هـ (٢) .

وقال اخرى مطلعها :

أصفي الى البين مغترا فلا جرما ان النوى أسأرت في عقله لما
ومنها : قرّت بقران (٣) عين الدين واشتتت بالاشترين عيون الشرك فاصطلما
ويوم خيمج والالباب طائرة لو لم تكن حامي الاسلام ما سلما
غادرت بالجبل الاهواء واحدة والشمل مجتمعا والشعب ملتثما (٤)

وقال يده في قصيدة اخرى مطلعها :

قل للامير الذي قد نال ما طلبا ورد من سالف المعروف ما ذهبنا
ومنها : في مصعبيين ما لا قوا مريدى ردى للهلك الا افادوا خده تريا (٥)

وفي قصيدة اخرى يقول :

نفسى فداؤك والجبال وأهلها في طرمسا من الحروب بهيم (٦)

-
- (١) انظر ديوان ابي تمام : ٤٨٥
(٢) الكامل في التاريخ (حوادث سنة ٢١٨ هـ) .
(٣) معجم البلدان - مادة قران .
(٤) انظر ديوان ابي تمام : ٢٦٨
(٥) نفس المصدر : ٢٦
(٦) نفس المصدر : ٢٧١

ومع شغف اسحق الكبير لأبي تمام ومدح هذا لذاك نجد الشاعر يهجو مدوحه عندما
اختلف معه (١) في سر من رأى ، وهذا الانقلاب في الشعراء المداحين كثير ومنهم أبو
تمام ! وله قصيدة أخرى في مدح اسحاق مطلعها :

قل للامير الذي قد نال ما طلبا ورد ما سالف المعروف ما ذهب

وأما اخباره مع عبد الله بن طاهر ، فبعد ان مدحه عند فتحه لمصر وايقاعه بأبسن
السرى في قصيدته التي مطلعها :

ومنها : توخوا أمان الاريحي بن طاهر فمن فارس يأتيه طوعا وراجل (٢)
وكان ذلك في شهر محرم سنة ٢١١ هـ .

نراه يتوجه الى خراسان عام ٢١٩ هـ فيسير الى الامير عبد الله بن طاهر حتى اذا
بلغ الثغور قال فيها لاحد مدوحيه :

انا راحل ببلاد مسرور راكب في جودة الاشعار كل مجيد (٣)

وطلب من مدوحه ، محمد بن المسهل ، فرسا يستعين به على قطع طريقه . ولما بلغ
قومس ، وقد طالت عليه الشقة قال :

يقول في قومس صحيبي ، وقد أخذت منا السرى وخطا المهريه القود

أطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود (٤)

حتى اذا ما وصل خراسان ، اجتمع الشعراء اليه ، وسألوه أن ينشد لهم . فقال : قد وعدني

(١) ذكر ذلك الدكتور البهيميتي في كتابه : ١١٨

(٢) كتاب ولاية مصر : ٢٥ ، وكتاب الولاية والقضاة : ١٨٢

(٣) ديوان أبي تمام قافية الدال .

(٤) ديوان أبي تمام : ١٢١

الامير أن أشده فدا ومتسمعونني ، فلما صار الغد دخل على عبد الله بن طاهر وأشده
هائيته الشهيرة ومطلعها : (١)

أهن عوادي يوسف وصواحيه فعزما قدما أدرك السؤل طالبه
إذا المرء لم تستخلص الحزم نفسه فذروته للحادثات وغاربه (٢)

فصاح الشعراء بالامير أبي العباس : ما يستحق مثل هذا الشعر غير الامير أعزه الله .
وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي : لي عند الامير جائزة ومدني بها ، وقد جعلتها لهذا
الرجل ، جزاء عن قوله للامير . فقال الامير : بل نضعفها لك ، ونقوم له بما يجب علينا .
وهذه القصيدة تنطق عزما ، واقدا ما وأملا ، وهو فيها يروض نفسه على الرحيل في سبيل
تحقيق أمله ، وقوة عزيمته فيها ، واختفاء ذلك الروح الحزين اليأس من غزلها ، ليس الا رد
فعل لذلك النجاح الذي لقيه في سنيه التي قضاها في العراق والشعور .

وقد وصف فيها رحلته ، وخاطب ماذلته في جلد واصرار وأغلب الظن انها زوجة في
لفظ عذب رقيق ووصف رائع أخاذ . وكأنه لم يوفق لما أراد ! إذ أنه لما فرغ من قصيدته نشر
عليه عبد الله بن طاهر ألف دينار فلم يمس أبو تمام منها شيئا ، والتقطها الغلمان . قال
ابن خلكان (٣) : فوجد عليه عبد الله ، وقال : يترفع عن برى ، ويتهاون بما أكرمه به .
فلم يبلغ ما أراد منه بعد ذلك .

أما الصولي فيرى أنه لما اجتمع أبو تمام مع جماعة بين زائر وشاعر بباب عبد الله بن
طاهر وحجبوا أياما كتب الى عبد الله أبياتا مطلعها :
أيهذا العزيز قد مسنا الضر جميعا وأهلنا أشتات

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٢ ، والاعاني ١٦ : ٢٠٨

(٢) ديوان أبي تمام ٤٤

(٣) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٢

فضحك عبد الله لما قرأ الشعر ، وقال : قولوا لأبي تمام لا تعاود مثل هذا الشعر فان القرآن أجل من أن يستعار شيء من ألفاظه للشعر ، ووجد عليه (١) .

كما ان الصولي نقل قدوم أبي تمام الى خراسان ووجد عبد الله عليه بصورة اخرى وذلك أنه لما جاء الى خراسان وأنشد عبد الله قصيدته أمر له طاهر بشي لم يرضه ففرقه ، فغضب عبد الله عليه لاستقلاله ما أعطاه وتفريقه اياه (٢) .

ويستدل الصولي لغضب عبد الله دليلا آخر وهو ان ابا تمام هوى بابر شهر وهي نيشابور مغنية تغني بالفارسية ، حاذقة طيبة الصوت ، فكان عبد الله كلما سأل عنه أخبر أنه عندها فنقص عنده (٣) .

ولا أرى لثلاثة من الادلة المذكورة سببا في ذلك ، لأنني قدمت في باب جود عبد الله أن ما ينثر على الشخص سواء كان شاعرا أو غيره لا يلتقطه المنشور عليه وعبد الله الذي عاش في العراق يعلم أنه ليس من العادة أن يجمعه المنشور وليست هذه أنفة من أبي تمام فلا يكون غضب عبد الله بهذا السبب .

وليس سببه تمثل أبي تمام بالقرآن في شعره لأن ذلك ليس فيه اهانة للقرآن وان عبد الله لما رأى شعره ضحك فكان الأجدر أن يغضب اذا رأى اسائه للقرآن .

ولم ينقص ابو تمام عند عبد الله بن طاهر عندما هوى جارية مغنية لأن عبد الله لا يهتم بأمر كهذا بل انه هو الذي كان قد بعث بجارية حسناء وضيئة الى محمد بن أبي حازم

(١) اخبار ابي تمام : ٢١١

(٢) نفس المصدر : ٢١٢

(٣) نفس المصدر : ٢١٣

الباهلي ، ولما وصفها في أبيات بعثها الى عبد الله بن طاهر ، بعث اليه بأخرى ظاهرها
كباطنها (١) . فكيف يغضب رجل هذه شيمته ! من أبي تمام لمواء جارية مغنية وهذا
مردود أيضا .

ولكنني أميل الى الصولي في خبره أن عبد الله لما أمر له بما لم يرضه وفرقه غضب عليه
لاستقلاله ما أعطاه . وأرى استقلال أبي تمام - ان صح الخبر - عمل قبيح لأن عبد الله
كان يردف عطاء مرارا وتكرارا ثم تغريقه للعطاء بمثابة رد العطاء ولا سيما امام أعيينه ورد
الاحسان عمل قبيح ممن صدر . أما غضب عبد الله من أبي تمام فكان أقيح ، لأنني كما
أسلفت في باب جود عبد الله بن طاهر ان الرجل كان ضيفا على أمير خراسان ويجب أن
يغفر زلته ويعفو عنه ولا يجرجه ويؤلمه ويتركه في مسروشة .

وأما ما يرى الدكتور البهيميتي من أن غضبة عبد الله انما جاءت بعد مقدم أبي تمام
خراسان وبقائه زمنا طويلا أو قصيرا . فجاب أرجاءها ومدح جعفر بن عمر الأزدي وصور
خصومة الفرس والعرب . فتهيج عبد الله وغضبه عليه (٢) فلا أرى ذلك سببا . لأن أبا تمام
الذي ينزل ضيفا على أمير خراسان يجب أن يعرف - ولا سيما اذا كان موضع حفاوة وتكريم -
أنه يجب أن لا يهيج مضيفه ومن حوله فاذا كان لأبي تمام معرفة بهذا الامر فالأرجح أن
يكون مدحه لحفص قبل مجيئه لخراسان أو بعد عودته منها واذا كان في سفره هذا فالأرجح
أن يكون غضب عبد الله أقدم وأسبق على مدح أبي تمام لحفص . لأن كسير القلب يهجو
ويذم لا المكرم . وحتى اذا كان نومه لاهل خراسان في سفره اليها فلا أرى عبد الله من
يغضب عليه لذلك . لأن عبد الله هو ذاك الذي هجاه محمد بن يزيد الحصري المسلمي

(١) طبقات الشعراء : ٣٠٨

(٢) أبو تمام الطائي للدكتور نجيب محمد البهيميتي : ١٢٢

وقد أفرط في السب وتجاوز الحد في قبح الرد بقوله لعبد الله بمطلع :

يابن بيت النار موقدها ما لحاذيه سراويل

- فلما مضت الايام ووقع الحصني في قبضة عبد الله عفا عنه وسوّغه خراجه ثلاث سنين (١) .
فكيف يفعل بأبي تمام وهو ضيفه ونزله وعبد الله لا يدين بالعنصرية ويحرق كتب الفرس
ولا يهتم هو وأولاده برغباتهم وميولهم كما فعل طاهر بن عبد الله بن طاهر في قطع
السرو وارساله الى المتوكل (٢) .

اذن فيكون غضب عبد الله بن طاهرا ما عن تغريقه — كما ذكر الصولي — لما أمر له أو
لسبب آخر نجهله .

ويظهر ان أبا تمام قد بعث برقعة فيها شعر الى عبد الله فوق له بشيء فتأخر
عنه وطال بقاؤه في خراسان وحل عليه الشقاء فقال :

- لم يبق للصيف لا رسم ولا طلل ولا قشيب فيستكسى ولا سمل (٣) .
ولما حل به اليأس قال :

- صرع هوى تغاديه الهموم بنيسابور ليس له حميم (٤) .
وفي الدنيا غنى لم انب عنه ولكن ليس في الدنيا كرم !

وأخيرا وسط أبا العميشيل بينه وبين عبد الله فأنشأ قصيدة مطلعها :

ليت الظباء أبا العميشيل خبرت خبرا يروى صاديات الهام (٥)

(١) معجم الادباء ١٢ : ١٩٤

(٢) ثمار القلوب : ٥٩٠

(٣) ديوان ابي تمام : ٣٧٨

(٤) نفس المصدر : ٣٨٠

(٥) نفس المصدر : ٢٨٠

فبلغت الابيات أبا العيشيل شاعر آل طاهر ، فأتى أبا تمام واعتذر اليه لعبد الله بن طاهر وعاتبه على ما عتب عليه من أجله ، وتضمن له ما يحبه ، ثم دخل الى عبد الله بن طاهر فقال له : أيها الأمير ، أتهانن بمثل أبي تمام وتجفوه ، فوالله لو لم يكن له ما له من النباهة في قدره ، والاحسان في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شره والتوقي لذمه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته ، فكيف وله بنزوعه اليك من الوطن ، وفراقه العكن ، وقد قصدك عاقدا بك أملة ، معملا اليك ركائبه ، متعبا فيك فكره وجسمه وفي ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضيا ولو لم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ما سمع الا قوله في قومس . ثم ذكره له البيتين اللذين قالهما ابو تمام في قومس .

فقال عبد الله بن طاهر لأبي العيشيل : لقد نبهت فأحسننت ، وشفعت فلفطفت ، وعاتبته فأوجعت ولك ولأبي تمام العتبي ، أدعه يا غلام ، فدعى له فناداه يومه وأمر له بالنفي دينار وما يحمله من الظهر ، وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه وأمر ببذرقته الى آخر عمله (١) .

١٠- عيسى بن موسى الطيفوري :

خرج الى نيسابور أيام طاهر بن عبد الله ومدحه عند تقلده خراسان وأقام على بابيه (٢)

• مدة •

١١- مدرك بن غزوان الجعفري ، وهو اعرابي حبس بنيسابور مع من حبس من الاعراب ، أيام

المتوكل ، فصنع قصيدة خاطب فيها طاهر بن عبد الله ووصف حلمه وشجاعته (٣) .

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٣

(٢) معجم الشعراء (كرنكو) : ٢٦٢

(٣) نفس المصدر : ٤٠٧

١٢- علي بن الجهم : وقد كتب المتوكل فيه الى طاهر بن عبد الله بن طاهر أنه اذا ورد عليه ابن الجهم صلبه يوما ، ففعل ذلك طاهر ، وقال ابن الجهم في ذلك أبياتا ، وأكرمه طاهر بعد ذلك (١) .

١٣- الشاعر محمد بن سليمان الحريري : كان في خدمة محمد بن طاهر الثاني الى أن زال حكمه على يد الصفار (٢) .

١٤- ولعله كان يتردد الى حضرة محمد بن طاهر الثاني الشاعر محمود الوراق الهروي ويسمعه أبياته (٣) .

١٥- تمام بن أبي تمام الطائي : دخل على محمد بن طاهر لما ولي خراسان وأنشده :

هناك رب الناس هنا ما من جزيل الملك أعطاك

قرت بما أعطيت يا ذا الحجب والباس والانعام عيناك

أشرفت الأرض بما نلت وأورق العود لنجواك

فاستضعفت الجماعة شعره وقالوا : يا بعد ما بينه وبين أبيه ! فقال محمد بن

طاهر لعبد الله بن اسحاق ، وكان يعرفه الناس وهو على أمره : قل لبعض شعرائنا يجيبه . فغمز رجلا في المجلس ، فأقبل على تمام فقال :

حيّاك رب الناس حيّاك ان الذي أملت أخطاك

مدحت خرقا منها ماله ولو رأى مدحا لو أساك

(١) وفيات الأعيان : ٣ : ٤٠

(٢) معجم الشعراء : ٤٠٤

(٣) مجمع الفصحاء : ١ : ٥١١

فهاك ان شئت بها مدحة مثل الذي أعطيت أعطاك

فقال تمام : أعز الله الأمير ، ان الشعر بالشعر را ، فاجعل بينهما رضا من دراهم حتى يحل لي ولك ! فضحك محمد وقال : ان لم يكن معه شعر أبيه ، فمعه طرف أبيه ، اعطوه ثلاثة آلاف درهم ، فقال عبد الله بن اسحق : ولقول أبيه في الأمير عبد الله بن طاهر :

أطلع الشمس تنوى ان يوم بنا فقلت : كلا ، ولكن مطلع الجود .

ثلاثة آلاف اخرى ، قال محمد : ويعطى ذلك .

هو ، هم الذين استطعت أن أتبين لهم صلة بالدولة الطاهرية ، ولا ريب في أن خراسان في عهد الطاهريين جذبت اليها عددا اكثرا من العلماء والادباء ، ولكن أخبارهم لم تصلنا .

وهذا كله قاصر على صلة الادباء بالطاهريين اثناء كونهم ووجودهم بخراسان ،

فأما اذا أردنا دراسة الادباء الذين كانت لهم صلة بهم في غيرها فاننا لا بد أن ندرس العتابي والصيني وابن أبي عيينة وعبد الله بن السمط والبحترى وكثيرين غير هؤلاء توفرنا على المدح والهجاء ، كذلك كان لا بد ان نذكر شعراء الشام ومصر الذين تصدوا لعبد الله بن طاهر عندما دخل هذين القطرين ، ولكن ذلك كله خارج عن سياق هذا البحث .

الختاتمة

لقد استعرضت في رسالتي هذه الحياة السياسية والادبية والفكرية في العصر الطاهري بخراسان فدرست نشأة هذه الاسرة منذ البداية في ذلك الصقع منذ أن قام الجد الاعلى وهو مصعب بن زريق بن ماهان وأخوه طلحة بن زريق ، مع من قام ، في نشر الدعوة العباسية سرا فعلاية . وتعرضت لكل الاخبار ، التي كان بالامكان الافاة منها ، فحللت هذه الاسرة تحليلا حتى نمت وتشعبت وذاع صيتها في آفاق العالم الاسلامي شرقا وغربا يومذاك . وتطرقنا الى الاعمال الهامة والخدمات الجليلة التي قدمتها أسرة الطاهريين للخلافة العباسية والمحافظة على كيان هذه الخلافة واخلاصها ووفائها لها في قمع الثورات واخماد الفتن وتوطيد دعائم الخلافة وازهار الولاء التام للخليفة والخضوع له وتوسيع رقعة المملكة ومحاربة الزندقة والشراسة والخوارج وغيرهم .

وشرحت كيف ادارت هذه الاسرة هذا القسم الشاسع المسمى خراسان وهو الثاني في الاهمية بعد الحضرة على حد قول المأمون^(١) ، ثم كيف كانت السيادة وراثية تنتقل الى الابناء فالاحفاد . وكيف حافظت دولة الطاهريين على مركزها في قلب الخليفة ونفوذها على المنطقة بحيث لم تدع مجالا لذوى الاطماع من الفئات الاخرى أن يقفوا في وجهها لتضعف من توفيقها السياسي وغير السياسي أو يفسدوا رأى الخليفة في هؤلاء الامراء . وقد أسهبت في الموضوع بحيث تناولت كل ما قدرت ان هذه الرسالة تتطلبه . ثم انتقلت الى الناحية الادبية ، فبذلت ما أمكنني من الجهد في دراسة هذه الاسرة من الوجهة الادبية بغنونها والناحية الحضارية بصورة عامة من عادات وطقوس وتقاليد ،

ومذهب ، وهوايات ، وأدب من شعر ونثر وغناء ، وموسيقى . وأفردت فصلا كاملا للأسرة ذاتها في الادب وفصلا للغناء ، وبحث ، مع قلة المصادر وندرة ما جاء في هذه المصادر والمراجع ، بحثنا أرجوان يكون دقيقا . ثم انصرفنا الى تشجيعهم للعلم والادب وأهلهم ، وأفردت لذلك أيضا فصلا خاصا بحيث شمل كيفية جلب هذه الاسرة للعلماء والادباء ، وجمعهم في بلاطهم وتهيئة الاجواء المناسبة واغداق الاموال والعطايا وتوفير وسائل الراحة وتنمية العقول من مدارس ومكتبات والسهر على كل واحد منهم كل حسب مقامه ومنزلته والعطف عليهم بحيث غدوا هؤلاء أوفياء لهذه الاسرة . فألف هؤلاء العلماء والادباء للطاهريين كتباً وعلموا ابنائهم وابنائهم تركوا تراثا انسانيا خالدا قد نستطيع ان نطلق على مجموعه بالتراث الطاهري . وذكرت يسيرا — لقلة المراجع والمصادر — عن كيفية انشاء هذه الاسرة حلقات التعليم الابتدائي والمدارس والمعلمين والمؤدبين وهيئة التفتيش والاشراف على مدارس المدن وضواحيها والقرى واختيار المؤدبين وانتقاءهم بعد تثقيفهم وتعليمهم في دورات تدريبية . وعن كيفية تشجيع هذه الاسرة ، الفارسية الأرومة ، اللغة الاسلامية المطلقة وهي اللغة العربية آنئذ ، فكانت الثقافة العربية هي الغالبة بل الوحيدة في البلاط الطاهري دون غيرها بحيث انهم عمدوا على اعادة ما وجد من الكتب الفارسية ، فكان للطاهريين اذن دور كبير ونشط في نشر الثقافة العربية الاسلامية وآدابها .

وفضلا عن ان الطاهريين تركوا لنا نماذج مشرقة من نثرهم وشعرهم بحيث تنم عن روحهم الادبية وقرائحهم الوقادة وأدبهم الجليل ، فانهم عنوا بتربية عدد غير قليل من أهل العلم والادب بتشجيعهم وتمويلهم وتزويدهم بما يحتاجونه فحافظوا على هذه الجماعة التي تربي الاجيال وتخلق النفوس وتهذب العقول والذين تركوا في المجال العلمي

والادبي آثارا جلية • كما قمت بترجمة عدد من هؤلاء العلماء الافذاذ والادباء الذين عاشوا في ظل الامراء الطاهريين أو اتصلوا بهم •

وقد تسعفني الايام الى الاطلاع على مصادر اخرى — ان وجدت — مخطوطة أو مطبوعة لتصبح هذه الرسالة الصغيرة كتابا يتحدث عن اسرة حاكمة ادبية وعن أعقابها وذرائعها فأقدمها الى المكتبة العربية والاسلامية علّها تستطيع أن تسد فراغا والله الموفق •

المصادر

- ٠١ آثار البلاد وأخبار العباد لذكرها بن محمد بن محمود القزويني المتوفي سنة ١٢٨٣ م .
(٦٨٢ هـ) طبعة (دار صادر ودار بيروت) بيروت ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) .
- ٠٢ احسن ما سمعت لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفي ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) تصحيح محمد افندي وصادق عنبر - مطبعة الجمهور - الطبعة الاولى - القاهرة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) .
- ٠٣ اخبار ابي تمام لابي بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفي ٣٣٥ هـ (٩٤٦ م) تحقيق خليل محمد عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الاسلام الهندي - لجنة التأليف والنشر - القاهرة سنة ١٩٣٧ م .
- ٠٤ الأخبار الطوال للامام ابي حنيفة ، احمد بن داود الدينوري ، المتوفي ٢٨٢ هـ .
(٩٠٠ م) تحقيق عبد المنعم عامر ومراجعة الدكتور جمال الدين الشيال - طبعة دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه (الطبعة الاولى) القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٠٥ أدب الدنيا والدين لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي المتوفي ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) مطبعة الجوائب - القسطنطينية (الطبعة الاولى) ١٢٩٩ هـ .
(١٨٨١ م) .
- ٠٦ أدب النديم لمحمود بن الحسين المعروف بكشاجم المتوفي ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) مطبعة بولاق بالقاهرة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) .
- ٠٧ أشعار اولاد الخلفاء واخبارهم لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفي ٣٣٥ هـ .
(٩٤٦ م) نشرة ج . هيرث . دن . مطبعة الصاوي - القاهرة ١٩٣٦ م .
- ٠٨ الاعلاق النفيسة لأبي علي احمد بن عمر ابن رسته المتوفي بعد سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م) .
(تحقيق ميخائيل جان دوفويه) مطبعة بريل - ليدن ١٨٩١ م .
- ٠٩ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء لمحمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ المتوفي ١٣٧٠ هـ .
(١٩٥١ م) المطبعة العلمية - حلب (الطبعة الاولى) ١٩٢٣ م - ١٩٢٦ م .

١٠. الاغاني لأبي الفرج، علي بن الحسين الاصفهاني المتوفى ٣٥٦ هـ (١٦٦ م) طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ابتداءً من سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) والاغاني طبعة دار الثقافة بيروت .
١١. الامالي لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي المتوفى ٣٥٦ هـ (١٦٦ م) (الطبعة الثانية) طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) .
١٢. الامتاع والمؤانسة لابي حيان علي بن محمد التوحيدى المتوفى ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) ضبط وتصحيح احمد امين واحمد الزين (الطبعة الاولى) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٩ م والطبعة الثانية ١٩٤٢ م .
١٣. الانتصار لواسطة عقد الامصار لابراهيم بن محمد بن أيد مر العلائي الشهير بابن دقماق المتوفى ٨٠٩ هـ (١٤٠٦ م) (الطبعة الاولى) - مطبعة بولاق - القاهرة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) .
١٤. ايضاح المكنون في الذيل علي "كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون" لاسماعيل باشا البغدادي - مطبعة المعارف لطنبول ١٩٤٥ م .
١٥. البخلاء لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ (٨٦٨ م) تحقيق طه الحاجري دار الكاتب المصري بالقاهرة ١٩٤٨ م .
١٦. البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ (٨٦٨ م) تحقيق الاستاذ حسن السندوبي (الطبعة الثانية) المطبعة الرحمانية ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م .
١٧. التاج في أخلاق الملوك لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ (٨٦٨ م) تحقيق الاستاذ احمد زكي (الطبعة الاولى) المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٢٢ هـ . (١٩١٤ م) .
١٨. تاريخ ابن خلدون الكبير للعلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي المتوفى ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) وهو المسي كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر - مطابع دار الطباعة العربية بيروت ١٩٥٦ م .

١٩. تاريخ البيهقي لأبي الفضل محمد بن حسين البيهقي المتوفي ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) ترجمه الى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت - الناشر مكتبة الانجلو مصرية - دار الطباعة الحديثة ١٩٥٦ م .
٢٠. تاريخ حبيب السير في اخبار افراد البشر (فارسي) لغياث الدين همام الحسيني وقد ألفه سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٣ م) .
٢١. تاريخ الحكماء لجمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفي ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) تحقيق جوليوس ليهرت طبع ليبزيك ١٩٠٣ م .
٢٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي المتوفي ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (الطبعة الثانية) المكتبة التجارية الكبرى بمصر - مطبعة السعادة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩ م) .
٢٣. تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي ٣٢٠ هـ (٩٢٢ م) مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٩ م) .
٢٤. تاريخ سيستان (فارسي) تصحيح ملك الشعراء بهار - مطبعة فردين واخوه - طهران ١٣١٤ شمسية (١٩٣٥ م) .
٢٥. تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار لأبي المعالي محمد بن رافع السلاوي المتوفي ٧٧٤ هـ (١٣٧٢ م) ذيل علي تاريخ ابن النجار ، انتخبه التقي الفاسي المكي ، صححه وعلق حواشيه المخامي عباس المعزايى مطبعة الاهالي ببغداد ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) .
٢٦. تاريخ (الكامل في التاريخ) لأبي الحسن علي بن احمد بن الأثير المتوفي ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م) تحقيق الشيخ عبد الوهاب النجار - ادارة الطباعة المنيرية بمصر - ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) .
٢٧. تاريخ كنيده (فارسي) لحمد الله بن ابي بكر بن احمد بن نصر المستوفي القزويني ألفه سنة ٧٣٠ هـ (١٣٢٩ م) باعتناء ادوارد براون طبعة كمبريج لندن ١٣٢٨ هـ (١١٠٠ م)

- ٢٨ . تنمة اليتيمة لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الشعالي النيسابوري
المتوفي ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) عني بنشره عباس اقبال - مطبعة فريدين -
طهران - ١٣٥٣ هـ .
- ٢٩ . تجارب الامم لأبي علي احمد بن محمد المعروف بمسكويه المتوفي ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م)
تحقيق هـ ف . آدروز مع ر . س . مرجليوث - مطبعة شركة التحدن الصناعية بمصر
١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) .
- ٣٠ . تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لابي الحسن الهلال بن المحسن الصابي المتوفي
٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) تحقيق عبد الستار احمد فراج طبعة دار احياء الكتب
العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٥٨ م .
- ٣١ . التبيين والاشراف لابي الحسن علي بن الحسين بن علي السعودي المتوفي
٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) وقد بناء السعودي - كما قال في صفحة ٢٧٩ - على كتاب
الاستكثار لما جرى في سوانف الاعصار - تصوير من طبعة المستشرقين تحقيق
بارون روسن - مكتبة خياط - بيروت ١٩٦٥ م .
- ٣٢ . تهذيب تاريخ ابن عساكر لعبد القادر بن احمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد
بداران الدمشقي المتوفي ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) (الطبعة الاولى بنفقة المكتبة
العربية بدمشق) مطبعة الترتي - دمشق ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) .
- ٣٣ . ثمار القلوب في الخاف والمنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل
الشعالي النيسابوري المتوفي ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) تحقيق محمد ابو الفضل
ابراهيم - دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٣٨٤ هـ (١٩٦٥ م) .
- ٣٤ . جمهرة انساب العرب لأبي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي المتوفي
٤٥٦ هـ (١٠٦٣ م) تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار المعارف بمصر
١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) .
- ٣٥ . الحيوان (كتاب الحيوان) لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفي ٢٥٥ هـ
(٨٦٨ م) تحقيق عبد السلام محمد هارون - مكتبة مصطفى البابي الحلبي
واولاده بمصر (١٣٥٦ هـ - ١٣٦٦ هـ (١٩٣٨ م - ١٩٤٥ م) .

- ٣٦ • خاص الخاص لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفى ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٦ م.
- ٣٧ • الخراج لأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم (الطبعة الثانية) المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) • والخراج لمحمد ضياء الدين الرئيس (الطبعة الاولى) مكتبة نهضة مصر ومطبعتها القاهرة ١٩٥٢ م.
- ٣٨ • خزانة الادب وللباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادى المتوفى ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢ م) (الطبعة الاولى) المطبعة الميرية ، بولاق ، ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) •
- ٣٩ • الديارات لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي المتوفى ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) عني بتحقيقه ونشره كوركيس عواد عضو المجمع العلمي العراقي بدمشق وطبع بمساعدة مالية المجمع العلمي العراقي - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥١ م.
- ٤٠ • ديوان أبي تمام الطائي شرح وتحقيق المعلم شاهين عطية بنفقة لطف الله الزهار صاحب المكتبة الوطنية - المطبعة الادبية - بيروت ١٨٨٩ م.
- ٤١ • ديوان البحترى تحقيق حسن كامل الصيرفي طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م وطبعة الجوائب (الطبعة الاولى) ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) •
- ٤٢ • الذخائر والتحف للقاضي الرشيد ابي الحسن احمد بن الزبير المتوفى في القرن الخامس الهجرى تحقيق الدكتور محمد حميد الله - طبعة الكويت ١٩٥٩ م.
- ٤٣ • رغبة الآمل من كتاب الكامل للسيد بن علي المرصفي المتوفى ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) (الطبعة الاولى) مطبعة النهضة بمصر ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) •
- ٤٤ • زهر الآداب وثمر الالباب لأبي اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم الانصارى الحصرى القيرواني المتوفى ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م) بتحقيق الدكتور زكي مبارك (الطبعة الثانية) المكتبة التجارية الكبرى - المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٩ م.
- ٤٥ • سر الفصاحة للأثير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) تحقيق علي لودة من علماء الازهر (الطبعة الاولى) مكتبة الخانجي، المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٠ هـ = ١٩٣٢ م.

- ٤٦ . سطر اللآلي في شرح أمالي القاضي للوزير أبي عبيد عبدالله بن عبدالمعز
بن محمد البكرى الأوبى الأندلسي المتوفى ، تحقيق عبد المعز الميمنى ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٦ م) .
- ٤٧ . شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح
عبدالحى ابن العماد الحنبلي المتوفى ١٠٨٩ هـ (١٦٧٩ م) ، مكتبة
القدسى - القاهرة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) .
- ٤٨ . شرح ديوان الحماسة لأبى علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى المتوفى
٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) ، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون (الطبعة
الأولى) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥١ م .
- ٤٩ . الشعر والشعراء لأبى محمد عبدالله بن محلم بن قتيبة الدينورى المتوفى
٢٧٦ هـ (٨٨٩ م) ، تحقيق أحمد محمد شاكر - دار احياء الكتب
العربية - عيسى البابى الحلبي وشركاء - القاهرة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٦ م) .
- ٥٠ . صح الأعشى لأحمد بن علي بن أحمد الفزارى المتوفى ٨٢١ هـ (١٤١٨ م)
مطبعة الأميرة بمصر ١٩١٣ م - ١٩١٩ م .
- ٥١ . الصداقة والصديق لأبى حيان علي بن محمد التوحيدى المتوفى ٤٠٠ هـ
(١٠٠٩ م) ، عني بتحقيقها والتعليق عليها ابراهيم الكيلاني - دار
الفكر - دمشق - ١٩٦٤ م .
- ٥٢ . الصنائع لأبى الهلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري الأهوازي
المتوفى ٣٩٥ هـ (١٠٠٤ م) ، تحقيق علي محمد البخارى ومحمد أبو
الفضل ابراهيم ، (الطبعة الأولى) دار احياء الكتب العربية - عيسى
البابى الحلبي وشركاء - مصر - ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) .
- ٥٣ . صورة الأرض لأبى القاسم محمد بن حوقل (الطبعة الثانية) مطبعة بريل -
لندن ، ١٩٣٨ م .

- ٥٤ . طبقات الأمم للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي المتوفي سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ م) ، تذييل الأب لويس شيخو اليسوعي - المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين - بيروت ١٩١٢ م .
- ٥٥ . طبقات الشعراء لأبي العباس عبد الله بن المعتز المتوفي ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، مطبعة دار المعارف - القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٥٦ . طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي المتوفي سنة ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (الطبعة الأولى) ، مطبعة الخانجي بالقاهرة - ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) .
- ٥٧ . العقد الفريد لأبي عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب ابن حدير بن سالم القرطبي المتوفي ٣٢٧ هـ (٩٣٨ م) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٣٥٩ هـ (١٩٤١ م) .
- ٥٨ . العمدة في صناعة الشعر ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني المتوفي ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م) ، الطبعة الأولى) ، مطبعة أمين هندية بمصر ، ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ، و (الطبعة الثانية) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) .
- ٥٩ . العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤلف مجهول من خلافة الوليد ابن عبد الملك الى خلافة المعتصم ، مطبعة بريل - ليدن ، ١٨٢١ م .
- ٦٠ . فتح البلدان لأحمد بن يحيى بن جابر البغدادي الشهير بالبلاذري المتوفي ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) ، (الطبعة الأولى) ، مطبعة الموسوعات - القاهرة ، ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) .
- ٦١ . الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية لفخر الدين محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقي المتوفي ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) ، تصحيح و . آلوارت . غوطا ، برئيس ١٨٦٠ م ، وشركة طبع الكتب العربية بالقاهرة ، ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) ، ومكتبة العرب ، القاهرة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) .

- ٦٢ . فوات الوفيات لأبي عبدالله محمد بن شاکر الکتابي المتوفى ٧٦٤ هـ ،
(١٣٦٢ م) ، مطبعة بولاق ، ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) .
- ٦٣ . الفهرست لمحمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق ، ابو الفرج بن أبي يعقوب النديم المتوفى ٤٣٨ هـ (١٠٤٦ م) ، من سلسلة روائع التراث العربي - مكتبة خياط - بيروت ، ١٩٦٤ م .
- ٦٤ . الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد الميرد المتوفى ٢٨٥ هـ (٨٩٨ م) ، تحقيق وليام رايت - طبعة المستشرقين - لينيزك ، ١٨٧٤ م .
- ٦٥ . کتاب بغداد لأبي الفضل أحمد بن طاهر الکاتب المعروف بأبن طيفور المتوفى ٢٨٠ هـ (٨٩٣ م) ، تحقيق الأستاذ الشيخ محمد زاهد بن الحسن الکوثري - عني بنشره السيد عزت العطار الحسيني - مكتب نشر الثقافة الاسلامیة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) .
- ٦٦ . كشف الظنون عن أسامي الکتاب والفنون لمصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة المتوفى ١٠٦٧ هـ (١٦٥٦ م) ، صححه محمد شرف الدين يالتقايا - مطبعة المعارف باسطنبول ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) .
- ٦٧ . لباب الآداب لأبي المظفر أسامة بن مرشد بن المنقذ المتوفى ٥٨٤ هـ (١١٨٩ م) ، تحقيق أحمد محمد شاکر ، (الطبعة الأولى) ، مكتبة لويس سركيس، المطبعة الرحمانية - القاهرة ، ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) .
- ٦٨ . لباب الألباب لمحمد عوفي (فارسي) علق عليه ادوارد براون - مطبعة لوزاک - لندن ، ١٩٠٣ م - ١٩٠٦ م .
- ٦٩ . اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير المتوفى ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م) ، مكتبة القدسي - القاهرة ، ١٣٥٧ هـ ، (١٩٣٨ م) .
- ٧٠ . لبّ اللباب في تحرير الأنساب لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) ، تحقيق بطرس يوهانس فت ، مطبعة

- لختامس - ليدن ، ١٨٤٢ م .
- ٧١ . لطائف المعارف لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي
النيسابوري المتوفي ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) ، مطبعة بريل - ليدن ١٨٦٧ م .
- ٧٢ . لطائف المعارف (المنسوب) لأبي بكر محمد بن عبدالله بن طاهر المتوفي
سنة ٢٥٣ هـ ، صورة دار الكتب المصرية (أدب ٢٢٩٢) .
- ٧٣ . المحاسن والأضداد لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفي ٢٥٥ هـ
(٨٦٨ م) ، (الطبعة الأولى) محمود توفيق ، مطبعة الفتوح - القاهرة ،
سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ م) .
- ٧٤ . المحاسن والمساوي للشيخ ابراهيم بن محمد البيهقي المتوفي ٤٧٥ هـ
(١٠٨٢ م) ، تحقيق فردريك شوالي طبع ليبزيك ، ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) .
- ٧٥ . المحبر لمحمد بن حبيب البغدادي المتوفي ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) ، طبع
حمد آباد الدكن في الهند ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) .
- ٧٦ . مروج الذهب لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفي
سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (الطبعة
الثالثة) مطبعة السعادة بصر ، ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) .
- ٧٧ . المسالك والممالك لابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصفهاني
المعروف بالكرخي المتوفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري -
تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحسيني ، ومراجعة محمد شفيق
غريال - وزارة الثقافة والارشاد القومي - القاهرة ، ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م) .
- ٧٨ . المستجاد من فعلات الأجواد لأبي علي الحسين بن علي التنوخسي
المتوفي ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م) ، غني بتحقيقه الأستاذ محمد كرد علي -
مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق - مطبعة الترقى بدمشق
سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) .
- ٧٩ . المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد الأشمهي

- المتوفي ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م)، مطبعة بولاق ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م).
- ٨٠ . المشتبه في أسماء الرجال لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفي ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م)، مطبعة بريل - ليدن ، ١٨٦٣ م .
- ٨١ . المعارف لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفي ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م)، تحقيق فرديناند وستنفلد ، غوتنغن ، فاندنهورك وروبرخت ، ١٨٥٠ م .
- ٨٢ . معاهد التنصيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي ، ألفه سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٥ م) ، وتوفي سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م)، مطبعة بولاق ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) .
- ٨٣ . معجم الأدباء للشيوخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المتوفي ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) ، تحقيق د . س . مرجليوث (الطبعة الثانية)، مطبعة هندية بالموسكي بصر ١٩٢٣ م - ١٩٢٦ م . وأخرى تحقيق أحمد فريد رفاعي ، مطبعة دار المأمون القاهرة ، ١٩٣٦ م - ١٩٣٨ م .
- ٨٤ . معجم البلدان لياقوت ، طبع دار صادر ودار بيروت - بيروت ، سنة ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) .
- ٨٥ . معجم الشعراء لأبي عبيد الله بن عمران بن موسى المرزباني المتوفي ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م)، تحقيق فريتز كرنكو ، مطبعة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) .
- ٨٦ . مقاتل الطالبين لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفي ٣٥٦ هـ (٩٦٦ م)، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر - طبع دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاء ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) .
- ٨٧ . المنازل والديار لأسماء بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ

- الكثاني ، عني بنشره انس خالدوف - تصوير أكاديمية العلوم للاتحاد
السوفياتي - معهد الشعوب الآسيوية - موسكو ، ١٩٦١ م .
- ٨٨ . المنتحل لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي المتوفي
سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) ، تحقيق أحمد ابو علي - المطبعة
التجارية - الاسكندرية - مصر ، ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) .
- ٨٩ . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد
ابن علي الجوزي المتوفي ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) ، (الطبعة الأولى) -
حيدر آباد الدكن في الهند ، ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) .
- ٩٠ . الموشح لأبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني المتوفي ٣٨٤ هـ
(٩٩٤ م) ، تحقيق علي محمد الهجاري - دار نهضة مصر ، مطبعة لجنة
البيان العربي - القاهرة - ١٩٦٥ م .
- ٩١ . الموشى أو الظرف والظرفاء لأبي الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء
المتوفي ٣٢٥ هـ (٩٤٦ م) ، طبع دار بيروت ودار صادر - بيروت ،
سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .
- ٩٢ . نشر النظم وحل العقد لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي
النيسابوري المتوفي ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) ، (الطبعة الأولى) ، المطبعة
الأدبية بصر ، ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) .
- ٩٣ . النجوم الزاهرة لجمال الدين يوسف بن تغرى بردى المتوفي ٨٧٤ هـ ،
(١٤٦٩ م) ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٠ م .
- ٩٤ . نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار جمعه عبد الرحمن بن عبد الله بن
أحمد بن درهم المتوفي ١٣٦٢ هـ (١٩٤٤ م) ، مطابع دار العباد -
بيروت - ١٩٥٧ م .
- ٩٥ . نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابي للبركات كمال الدين عبد الرحمن بن

- محمد بن الأنباري المتوفي ٥٧٧ هـ (١١٨١ م)، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي - مطبعة المعارف - بغداد ، ١٩٥٩ م .
- ٩٦ . نهاية الارب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفي ٧٣٣ هـ (١٣٣٢ م)، (الطبعة الثانية)، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ، ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) .
- ٩٧ . الوافي بالوفيات لصالح الدين بن ابيك الصفدي المتوفي ٧٦٤ هـ (١٣٦٢ م) باعتناء هلموت ريتز - دار النشر فرانز شتاينر شبادن ، ١٣٨١ هـ (١٩٦٢ م) .
- ٩٨ . وفيات الأعيان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفي ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (الطبعة الأولى)، مكتبة النهضة المصرية - مطبعة السعادة بصر - ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) .
- ٩٩ . ولاية مصر لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري المتوفي ٣٥٠ هـ (٩٦١ م)، تحقيق الدكتور حسين نصار - دار بيروت ودار صادر، بيروت ، ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) .
- ١٠٠ . الولاية والقضاة لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري المتوفي ٣٥٠ هـ (٩٦١ م)، مهذباً ومصححاً بقلم رفن كست - مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ، ١٩٠٨ م .
- ١٠١ . هدية العارفين لاسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابائي البغدادي المتوفي ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م)، مطبعة المعارف العثمانية - مطبعة الحكومة - اسطنبول ، ١٩٥١ م .
- ١٠٢ . يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر تأليف ابي منصور عبد الملك بن محمد ابن اسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفي ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م)، مطبعة الحنفية بدمشق ، ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) .

المراجع

- ١ . آثار الأدهار للجوزي (الطبعة الأولى) المطبعة السوية ١٢٩٣ هـ (١٩٧٧ م) .
- ٢ . آثار الشيعة الامامية (فارسي) لعبدالعزیز جواهر کلام - مطبعة المعارف - طهران ١٣٠٧ شمسية (١٩٢٨ م) .
- ٣ . أطلس خريطة العالم الاسلامي - هاري ، هزارد - ترجمة ابراهيم زکسي خورشيد - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، ١٩٥٩ م .
- ٤ . الاعلام للزرکلي ، (الطبعة الثانية) ، مطبعة كونستانتينو ماس - القاهرة سنة ١٩٥٤ م - ١٩٥٩ م .
- ٥ . أعيان الشيعة للمرحوم السيد محسن عبد الكريم الأمين العاملي - دمشق وبيروت ، ١٩٣٦ م - ١٩٦٠ م .
- ٦ . بلدان الخلافة الشرقية للمستشرق الانكليزي كي لسترنج نقله الى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد - مطبوعات المجمع العلمي العراقي - مطبعة الرابطة - بغداد ، ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) .
- ٧ . تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار - مطبعة دار المعارف بصر - ١٩٦٢ م .
- ٨ . تاريخ الأدب الفارسي (فارسي) للدكتور رضا زاده شفق - استاذ جامعة طهران - ترجمة محمد موسى الهنداوي ، دار الفكر العربي ، مصر ١٩٤٧ م .
- ٨ . تاريخ الأدب في ايران للدكتور ذبيح الله صفا استاذ جامعة طهران - (الطبعة الثانية) ، طبعة جامعة طهران ، ١٣٢١ شمسية (١٩٤٢ م) .
- ١٠ . تاريخ الأدب في ايران للمستشرق الانكليزي ادوارد جرانفيل براون ، أستاذ جامعة كمبردج سابقا ، نقله الى العربية الدكتور ابراهيم الشواربي أستاذ اللغات الشرقية بجامعة مصر ، مطبعة السعادة بصر ، ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) .

- ١١ . تاريخ تطور النشر الفارسي ، سبك شناسي (فارسي) ، للأستاذ المرحوم ملك الشعراء بهار - أستاذ جامعة طهران - مؤسسة أمير كبير للطبع والنشر ، طهران ١٣٣٧ شمسية (١٩٥٨م) .
- ١٢ . تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان - دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
- ١٣ . تاريخ الشعوب الاسلامية كارل بروكلمان ترجمة الدكتور نبيه فارس ومنير البعلبكي ، (الطبعة الأولى) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٤٨م .
- ١٤ . الثقافة الايرانية وأثرها في الحضارة الاسلامية والعربية للدكتور محمد محمدي ، مطبعة بيمان - طهران ١٣٢٣ شمسية (١٩٤٤م) .
- ١٥ . دائرة المعارف الاسلامية نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي وغيره ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٣٣م .
- ١٦ . دائرة المعارف اللبنانية بإدارة فؤاد افرايم البستاني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٦م - ١٩٦٦م .
- ١٧ . دعل بن علي الخزاعي للدكتور عبد الكريم أشتر (الطبعة الأولى) ، طبعة دائرة الفكر بدمشق ، ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤م) .
- ١٨ . شعر دعل للدكتور عبد الكريم أشتر المدرس في كلية الآداب بدمشق ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٦٤م .
- ١٩ . مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني للدكتور علي ابراهيم حسن ، (الطبعة الثانية) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩م .
- ٢٠ . معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي للمستشرق زامبارو المتوفي ١٩٤٩م ، اخراج الدكتور زكي محمد حسن وحسن أحمد وآخرين ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، ١٩٥١م .

- ٢١ . معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، مطبعة الترقى بدمشق ١٩٥٧ م -
١٩٦١ م .

- ٢٢ . الموسوعة الاسلامية بالانكليزية :

The Encyclopaedia of Islam. Prepared by a
number of Leading Orientalists, Leiden E.J. B
Brill, 1913-1934, London, Luzac & Co.

| | |
|-----------|--|
| | كلمة شكر |
| أ - ب | تصديـــــــــــــــــر |
| ٥ - ١ | المقدمة في الاسرة الطاهرية |
| | الكتاب الاول - التاريخ السياسي |
| | الفصل الاول - طاهربن الحسين ذو اليمينين |
| ٤٢ - ٦ | وتأسيس الدولة الطاهرية |
| ٦٧ - ٤٣ | الفصل الثاني - خلفاء طاهربن الحسين |
| ٧٥ - ٦٨ | الفصل الثالث - نظرة في الدولة الطاهرية |
| | الكتاب الثاني - دور الطاهريين في الحياة الادبية |
| ٨١ - ٧٦ | تمهيد في العوامل المساعدة في نشأة الطاهريين وثقافتهم |
| ١١٦ - ٨٢ | الفصل الاول - الادباء والشعراء من آل طاهر في خراسان |
| ١٣١ - ١١٧ | الفصل الثاني - الطاهريون والغناء |
| | الفصل الثالث - الادب والعلم في ظل بني طاهر |
| ١٧١ - ١٣٢ | تشجيع الطاهريين للاداب والعلم والتأليف |
| ١٧٤ - ١٧٢ | الخاتمة |
| ١٨٦ - ١٧٥ | المصادر |
| ١٨٩ - ١٨٧ | المراجع |
| ١٩٠ | فهرست المحتويات |